

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE (69) - SIXTH YEAR - DECEMBER/JANUARY 1983

العدد (٦٩) - ربيع الأول ١٤٠٣ هـ - السنة السادسة - كانون الأول (ديسمبر) / كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣ م



القوات البرية السعودية - طيران الجيش قوة حق تزهق الباطل



أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
صدق الله العظيم

إلى طريق العز والكرامة ... ولتكن رمز الفداء .

أخي الشاب السعودي الجسور إذا كنت من حملة الكفاءة المتوسطة أو ما يعادلها أو معيد الكفاءة المتوسطة .. بادر بالإنضمام لطيران الجيش بالقوات البرية السعودية .. الذي سيتيح لك فرصة الالتحاق بمعهد الدراسات الفنية بالظهران لدراسة صيانة الطائرات وستتاح الفرصة للابتعاث إلى أمريكا بعد إكمال اللغة الانجليزية بنجاح للتخصص في صيانة الطائرات العمودية والمعدات المتعلقة بها .

شروط الالتحاق:

١. لا تقل سنه عن ١٧ سنة و لا تزيد عن ٢٤ سنة .
٢. ان لا يكون متزوجا .
٣. ان يكون سعودي الجنسية بموجب هيفطة نفوس أو شهادة ميلاد أو هيفطة نفوس والده .
٤. ان يجتاز الفحص الطبي بالمركز الطبي بالظهران .
٥. ان يكون حامل الكفاءة المتوسطة أو ما يعادلها .
٦. ان يكون حسن السيرة والسلوك ولم يسبق ان صدر عنه حد شرعي .

المميزات خلال الدراسة:

١. مكافأة شهرية مقدارها ٧٥٠ ريال لمدة الكفاءة المتوسطة .
٢. مكافأة شهرية مقدارها ٦٢٥ ريال لمدة الثانية المتوسطة .
٣. ملابسة وسكنه ولا عاشة على حساب الدولة .
٤. ارجانة لمدة ٩٠ أسابيع في السنة ١٠٥ أسابيع اجهزة نووية تضاف اليها اجهزة عيب الفطر .
- أ. أسبوعان اجهزة عيب الفطر ب. أسبوعان اجهزة الربيع .

المميزات بعد التخرج:

١. يمين برتبة وكيل رتيبة فيجب برتبة شهرية يصل إلى أكثر من ٥٥٥٠ ريال مع علاوة سنوية مقدارها ١٥٢٠ ريال .
٢. جواز تفسير جواز السفر في كل وقت .
٣. يمكنه طيران الجيش من التفرغ باللقطة الانجليزية بطلقة في فترة معينة والعودة على مهلة فنية تفرغها طوله بمائة وثمانين لك راتباً مغزلاً يساعده على مستوى معيشي رفيع .
٤. السكن المريح حسب ما هو متوفر في القوات البرية .
٥. يعتبر التفرغ من المدونات كالتفرغ في طيران الجيش من القوات البرية كالتفرغ في القوات البرية في المستقبل .

أخي الشاب إذا كنت تجد في نفسك الكفاءة ، سارع واتصل بمكاتب التجنيد في الرياض - قيادة طيران الجيش بوزارة الدفاع والطيران - ت : ٤٧٨٥٩٠ - قوصيلة : ٣١٣٦ - ٣٠٧٨ - ٤٧٠٨ منطقة الطائف - سترال : ٠٢٧٣٦٠٧٤٦ / ٠٢٧٣٦٠٧٤٦ / ١١٩ منطقة تبوك - سترال : ٤٤٤٢٩١٥٢ / ٤٤٤٢٩١٥٢ - خميس مشيط : ٠٢٢٣٨ - ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الفَيْصَل

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY
AL-FAISAL
CULTURAL HOUSE

تصدر عن
دار الفَيْصَل
الثقافية

العدد (٦٩) - ربيع الأول ١٤٠٣ هـ - السنة السادسة - كانون الأول (ديسمبر) / كانون الثاني (يناير) ١٩٨٣ م
ISSUE (69) - SIXTH YEAR - DECEMBER / JANUARY 1983

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

All Correspondence To:

Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine P O Box 3
Tel. 4653026-4653027
Telex 202600 DRFATH SJ

الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفَيْصَل ص. ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

EUROPE - AMERICA - ASIA

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	\$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

المملكة العربية السعودية	٩	ريالات	٤٠٠	فلس	تونس	٤٠٠	دينير
الكويت	١٠٠	فلس	٩	ريالات	الجزائر	٤	دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٢	درهم	٥٠٠	فلس	العراق	١٠٠	فلس
قطر	٦	ريالات	٣٠٠	دينير	سورية	٥	ليرة
البحرين	٥٠٠	فلس	٣٠٠	دينير	لبنان	٥	ليرة
سلطنة عمان	١٠٠	بنة	٥	درهم	ليبيا	٥٠٠	درهم

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R. 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً لغیر الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفَيْصَل

رسمي للإعلان

تهامة

للإعلان والعلاقات العامة
والبحوث التسويقية

جدة - ميدان وزارة الخارجية - برقياً : هاتكو - جدة - تلكس : 401205 (حطان) ص. ب. : ٥٤٥٥ - هاتف : ٩٤٤٤٤٤ (٢٠ خطاً)

شارع الستين - حيارة الشركة العقارية برقياً : هاتكو - الرياض - تلكس : 201305 - 200610 ص. ب. : ٤٦٨١ - هاتف : ٤٧٧١٠٠٠ (عشر خطوط)

شارع الظهران - مدخل حي ابن خلدون - حيارة بفتان - الطابق السابع برقياً : هاتكو - الدمام ص. ب. : ٢٩٦٦ - هاتف : ٨٣٣٣٣٣١ / ٨٣٣٣٣٣٢ / ٨٣٣٣٣٣٣

أم الجود - طريق مكة / جدة - برقياً : هاتكو - مكة - ص. ب. : ١٠٧٤ - هاتف : ٥٤٣٧٠٩ / ٥٤٣٧٠٨٧ / ٥٤٣٧٠٧٩

إلى جاذب فرومها في (الطائف - هاتف : ٧٣٦٦٦٦) ، (تبوك - هاتف : ٤٢٢٠٥٦٤) ، (القصم - هاتف : ٢٣٣٣٣٠) ، (أبها - هاتف : ٢٢٤٥٨١٠)

المركز الصحي الدولي - برقياً : هاتكو - لندن - تلكس : 28522 - هاتف : ٠١٣٥٣٦٨٥٩ / ٠١٣٥٣٦٨٦٩ / ٠١٣٥٣٦٨٧٩

الإدارة العامة وفرع جدة :

فرع الرياض :

فرع الدمام :

فرع مكة المكرمة :

فرع لندن :

صم له شركة طباعة بحرية السعودية (محدودة)

ص م ٢٤٦٣ - ص م ١٧٨٦٨٩٦ - هاتف : ٤٦٥٨٩٩٠

فصل العدد

٩١	الكائنات الحية .. والبرد (موضوع خاص) .. عبد الرحمن حريشاني
٩٩	اعرفك.. تعرف ذاتك .. عبد المحسن صالح
١٠٤	اكتشافات عميقة ..
١٠٦	تكوين (لوحة وقنان) .. علي عبد العزيز الرزوا
١٠٨	الرحيل (قصيدة) .. د. زكي خاير
١٠٩	مع الربيع الأصفر (قصيدة) .. د. زكي خاير
١١٠	الإبداع والأصالة في الفن التشكيلي أنجي .. صبر شريف
١١٤	من آفات الثوب .. الأمطار الحضيضية .. عدنان عسيرة
١١٨	غابرييل غوسيا ماركيز .. روائي العصر .. حسين عبد
١٢٣	قنب شاعر (قصيدة) .. قنحي سعيد
١٢٤	النل وجبران .. بين الخريش .. والواكب .. خليل محمد الشيخ خليل
١٢٧	الطوطو الطبيعي للكلاب عند الطفل وأسباب تأخره .. د. نيه غبرا
١٣١	غذاء عائلي (قصة قصيرة) بقلم : أندريه شيند .. ترجمة : حديجة سليمان
١٣٤	دايو الزنجي (قصة قصيرة) بقلم : غابرييل غارسييا ماركيز ترجمة : ضلعت شاهين
١٣٩	البخلاء للتحافظ (من كتب التراث) .. عرض : مؤيد مصر الدين حسين
١٤٣	الأوبرا (دائرة لغز) ..
١٤٧	مناقشات وتعليقات ..
١٥٠	مع الأصداق ..
١٥٢	مسابقة مجلة الفصل ..
١٥٤	كتب وردت إلى مجلة ..

٦	عائيد .. رئيس التحرير
٨	البسوة والغند ..
٩	الحركة الثقافية في شهر ..
١٩	الديانة .. الوصمة .. والإدانة التاريخية ..
٢٥	موريتاني (في بلاد الله) .. محمد غنار وليام
٣٢	منتخب ما وراء البحر بكتاب (من مشاهد العدم) .. مصطفى أحمد الخرس
٣٥	ودع .. أهد لكروان (كلمة طيبة) .. د. حسين مؤنس
٣٦	وثيقة التجمعات في العالم العربي اليوم .. د. سامي عريخ
٤٠	العلاقات التجارية بين البلاد العربية وبلاد شبه القارة الهندية .. د. عبد الله مشر الخرازي
٤٣	مشكلات قانون البحر .. د. إحسان هدي
٤٦	نقطة شعر (قصيدة) .. د. عرت شندي موسى
٤٧	حافظ إبراهيم والثورة بين الكلمة والوقف .. د. يوسف مولى
٥١	الاستشرى البادي السمي شيون كاشيرو (لغة مع) .. أحمد حميد
٥٥	شوقي .. والويدة الشعرية .. د. مهدي ودي
٦٠	الصناعة الحيوية بين تقدير الإغراب وتفسير معنى .. د. جميل علوش
٦٣	من لكتبة السودانية ..
٦٧	الإسلام والمسلمون في العصر .. د. جمال الدين سيد محمد
٧١	الشجيرة وحالاتها النفسية (عند الكبار والذوي) .. د. عبد الرحمن العسوي
٧٤	دع مدارس عو الأمية وتعلم الكبار في الس التعليمي أخوتي .. د. لطفى بركات أحمد
٧٩	يوسف عز الدين .. الشاعر والأسنان .. د. دود السوم
٧٩	بدايات الشعر البيروني الحديث .. د. نعيم عطية
٨٣	هنا .. ولأن (وجهة في كتب) تأليف : فرنس ميتران .. عرض : د. فكتور الكنت
٨٦	جنود (مطلعات في الكتب) تأليف : اليكس هيلي .. عرض : جميل الطوهوني

قصصيتان هما : «عمار يا مصر»
«الدموع لا تمسح الأحزان»
★ كما صدرت له روايتان
طويلتان هما : «الائق البعيد»
«الممكن والمستحيل»

د. جميل إبراهيم علوش



★ من مواليد بسرييت في
فلسطين عام ١٩٣٧ م.



متنوعة في الرواية والشعر الحديث
والمعاصر من أهمها :

- «شعر شرقي .. الغنائي
والمسرحي» عام ١٩٨١ م.
- «شعر نابجي .. الموقف
والأداة» عام ١٩٨١ م.
- «صورة المرأة في الرواية
المعاصرة» عام ١٩٨٠ م.
- «د. هيكلي .. حياته
وترائه» عام ١٩٦٩ م.

★ صدرت له مجموعتان



★ حضر أغلب المؤتمرات
الخاصة بدراسة اللغات السلافية
عامة ، والصربوكرواتية خاصة .
★ له عدة دراسات نشرتها
المجلات العربية .

د. طه وادي

★ أستاذ الأدب الحديث
بكلية الآداب بجامعة القاهرة .
★ صدوت له دراسات نقدية

د. جمال الدين سيد محمد

★ من مواليد القاهرة عام
١٩٤٢ م.
★ دكتوراه في الآلسن -
جامعة بلغراد في يوغوسلافيا .
★ متخصص في اللغة
الصربوكرواتية .
★ يعمل مترجم أول ومحرر
باللغة الصربوكرواتية بالهيئة العامة
للاستعلامات .

فصل العدد

●● ينشأ البرد . حين يتعرض جسم الإنسان لرياح مَحْمِلَة بالهواء البارد . ذات درجات حرارة منخفضة ، لمدة طويلة ، دون أن يحمي الإنسان نفسه بمأوى يصد عنه تيارات الهواء الباردة ، فتتدن نبعا لذلك حرارة الجسم الاعتيادية ، و .. يشعر الإنسان بالبرد . طالع صر (٩١) .



●● «متحف ما وراء البحار» يقوم بمدينة «برمان» بألمانيا الاتحادية . والاهتمام الغالب عليه هو الطابع التجاري .. إلا أن الهدف الأساسي من فكرته . هو إعطاء فكرة تاريخية . عن حياة الشعوب فيما وراء البحار . موسيقاها وفنونها . بيناتها . وثقافتها . طالع صر (٣٢) .

●● نشر «غابرييل غارسيا ماركيز» رواية «مائة عام من العزلة» عام ١٩٦٧ م ، فأحدثت دويا في مجال الرواية ، ودفعت بؤلفها إلى طليمة الروائيين في العالم . وجعلت منه مليونيرا شهرة ومالا . طالع صر (١١٩) .



●● كانت مدنا تزخر بالحياة . وتفيض بالعلم . وتعمل مشغل الحضارة الإسلامية . واليوم انذر الجفاف باندثارها . وأذنت رمال الصحراء بابتلاعها . إنها مدن في موريتانيا الشقيقة . منها : «شنقيط» ، «تيشيت» ، «ولاته» ، «وادان» . طالع صر (٢٥) .



●● يبيع العقل أساسا من «المخ» . ومن هذه الحقيقة أدرك العلماء أن أي خلل في المخ . يؤدي إلى خلل في التصرف أو السلوك .. فمن يفقد عقله ، يفقد آدميته ، ويصبح أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان ! . طالع صر (٩٩) .



★ يعمل حاليا محاضرا في مركز اللغات في الجامعة الأردنية .
★ كتب في الصحافة الأردنية ، العديد من المقالات ، كما كُتب بعض المقالات في المجلات العربية .

المؤتمرات التراثية والتعليمية .
★ يجيد الإنجليزية وثبتا من الألمانية والفرنسية .
★ له ما يربو على عشرين كتابا في مختلف الاهتمامات الأدبية والنقدية إلى جانب عشرات البحوث باللغتين العربية والإنجليزية .

خليل محمد الشيخ خليل

★ ولد سنة ١٩٥٤ م .
★ شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .
★ عمل في وزارة التربية والتعليم الأردنية أربع سنوات .



د . داود السلوم

★ من مواليد بغداد - العراق ١٩٣٠ م .
★ دكتوراه في النقد الأدبي والأدب المقارن .
★ رأس قسم اللغة العربية - كلية الآداب .
★ يعمل حاليا أستاذا في قسم اللغة العربية .
★ شارك في عدد من

★ دكتوراه (فقه اللغة) .

★ عمل في وزارة المالية والنفط في الكويت ، ومدرسا في المدرسة الأهلية للبنات ومعهد الكلية العربية ، ومعهد المعلمين بالأردن .

★ له عدد من الدواوين الشعرية ، والأبحاث والدراسات النقدية .

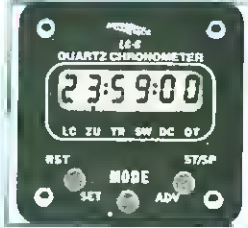
★ شارك في عدد من المهرجانات والندوات الأدبية .

★ يعمل حاليا مدرسا للغة العربية في معهد المعلمين بالسلط في الأردن ، ويدعى الآن معهد كلية المجتمع .



اليوم

الفكر

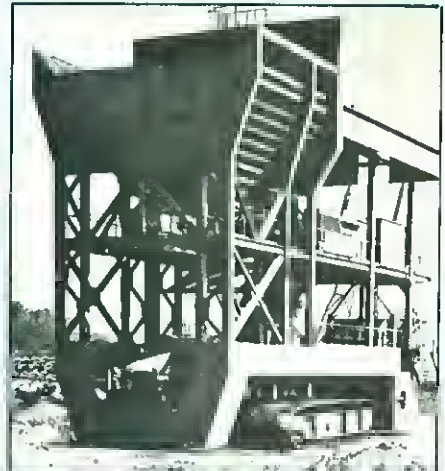


ساعة الطيارين

تقوم هذه الساعة بخدمات جليلة للطيارين أو المسافرين جواً، لذا أطلق عليها اسم «ميكاتية الطائرات». تتميز هذه الطائرة في أنها تعطي ٦ أرقام، وفيها ساعة ميكاتية، وعداد تنازلي مع منبه، ومؤقت لتحديد الزمن الذي تستغرقه مدة الطيران مثلاً.

جهاز الخلاقة الميكروي

هذا الجهاز أصغر من علبة التبغ، ومزود بمحرك كهربائي كامل القوة، حسب ادعاء الشركة (ميتسويشي) اليابانية، وهو يحتوي على ٢٤



التلفزيون يتنافس الحبوب المنومة

هناك الآن برامج تلفزيونية مصممة خصيصاً لجعل المتفرج يستسلم للنوم. فقد قامت إحدى الشركات الأميركية بإنتاج أشرطة فيديو طول كل منها ١/٢ ساعة، يعرض فيها مشاهد طبيعية مثل شواطئ البحار، شلالات مائية، غابات، إلخ، وقد استعملت هذه الأشرطة أيضاً لمعالجة المرضى المصابين بإجهادات عصبية لأنها تساعد على الاسترخاء. وهناك إمكانية لتعديل إضاءة الصورة ومستوى الصوت وذلك حسب تغيرات الحالات العصبية والفيزيائية للمشاهد التي نتحدد بواسطة درجة حرارة يده. (في الصورة: يشاهد المريض مناظر الشاطئ بينما يقوم الفني، على اليمين، بقياس درجة حرارة يده لتعديل شدة الإضاءة ومستوى الصوت).



الساعة الناطقة

«انتبه من فضلك، الساعة الآن هي السابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين صباحاً...» تستيقظ من نومك وتضغط على زر لإسكات الساعة، وإلا كررت النداء مرة كل ٢٠ ثانية. ساعة اليد هذه مزودة بحاسب إلكتروني «ينطق» بالتوقيت أو الزمن المقطوع بين إشارتين وذلك حسب الطلب. هذه الساعة هي من إنتاج شركة (برسونال إلكترونيكس) الأميركية.

الليزر يسرع نمو الأشجار

لوحظت هذه الظاهرة لدى معالجة غبار الطلع بأشعة الليزر قبل التلقيح. هذا ما أظهرته دراسات البيوفيزيائيين السوفييت في جمهورية كازاخستان لدى زراعة بعض أنواع أشجار الصنوبر والإجاص المعالجة بالليزر بغية زيادة مقاومتها للرياح الصيفية الحارة.

شفرة مصنوعة من الفولاذ المقاوم للصدأ. ويبيع معه جهاز لإعادة شحن البطارية النيكل - كادميوم التي تزود المحرك بالكهرباء اللازمة.



كسارة عملاقة

في المناجم السطحية التي يستخرج فيها الفحم البني (أحد أنواع الفحم الحجري المتميز بنسبة رماد عالية وسعة حرارية منخفضة) تستخدم حالياً كسارة لتحطيم الصخور الغرانيتية التي تعيق استخراج الفحم البني. عندما يراد تغيير موقع هذه المنشأة العملاقة التي يبلغ ارتفاعها ١٧,٦ م وطولها ٣٦,٧ م، ووزنها ٥٠٠ طن (وهي من صنع شركة كروب الألمانية)، تنزل تحتها «نقالة» متحركة تحملها وتسير بها إلى موقع العمل الجديد.



* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من إصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا . والله الموفق * *



- بعض الكشوف الأثرية في الوطن العربي .
- جائزة تقديرية للأدب في السعودية .
- وفاة الدكتور محمد البهي ، والأديب الشاعر مطلق مخلص الديباني .
- مؤتمر الآثار العربية العاشر يعقد في الجزائر .
- «اعرف بلادك» اسم مشروع ثقافي في السعودية .
- منهج جديد للغة العربية في الإمارات العربية المتحدة .



- فتح المعهد الإسلامي في الصين .
- افتتاح مدرسة إسلامية بأمريكا ، ومكتبة إسلامية في بريطانيا .
- وفاة العالم النمساوي «هانز سيل» .
- الدكتوراه الفخرية للرئيس الغيني أحمد سيكوتوري .
- في المستقبل القريب : * تاريخ اليمن في مجلدات ستصدر في الاتحاد السوفياتي .
- * مؤتمر عالمي لعلماء الأدب الألماني سيعقد في ألمانيا الغربية .



في الوطن العربي

له ديوانه الأول (أطياف العذارى)، أما عن نشاطه في الإذاعة، فن أشهر برامجه الإذاعية «برنامج البداية» ذلك الذي كان يعده ويقدمه قبل عشرين عاماً، ثم برنامجه «خاطرة أدبية» وكذا «من فترات الأوراق» وهو برنامج أدبي وكذا «النادي الأدبي» و«رحاب الإيمان».

أما عن حياته العملية بالإضافة إلى الإذاعة فقد تقلد عدداً من المناصب غير الوظيفية التي تدخل في نطاق الخدمة العامة مثل:

★ عضويته في مجلس إدارة النادي الأدبي بجدة.
★ مديراً لإدارة النشاطات بفرع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بجدة.

أما أعماله الرسمية في الإذاعة فقد تقلد مناصب عديدة منها:

★ الإشراف على القسم الموسيقي لأكثر من عشر سنوات.
★ مديراً لإدارة الإنتاج بإذاعة جدة، ورئياً للجنة النصوص والأغاني خلال السنوات الأخيرة.

رحم الله الفقيد رأسه فسيح جناته وأهله وذويه وقراءه الصبر والسلوان وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مشروع «اعرف بلادك»

ضمن اهتمامات الرئاسة العامة لرعاية الشباب بإيجاد



★ مطلق الدبابي ★

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأديب والشاعر والفنان «مطلق محمد الديابسي» وذلك يوم الجمعة الرابع من شهر صفر لعام ١٤٠٣ هـ، إثر نوبة قلبية، وكان رحمه الله قد بلغ من العمر (٦٠) عاماً حيث ولد في عام ١٣٤٣ هـ، في عمان بالأردن، درس في الأردن حتى وصل إلى المرحلة الثانوية، أما عن شعره فقد تعلم الشعر منذ صغره، وكان رواية الشعر للملك عبد الله جد الملك حسين عاهل الأردن ولم يكن قد تجاوز العاشرة من عمره، ثم عاد إلى وطنه مع بداية إرسال الإذاعة السعودية منذ أكثر من ثلاثين عاماً حيث كان من أوائل المذيعين بها. وكان مقرها آنذاك مكة المكرمة.

أما عن مواهبه المتعددة فقد ظهرت في مقتل حياته فأجاد الفن الإذاعي كمذيع ومقدم برامج، كما نبغ في الموسيقى عازفاً على آلة العود والكان، ثم ملحقاً ومطرباً وكان قد اختار لنفسه اسماً فنياً هو «سمير الوادي»، أما عن تأليفه في مجال الشعر فقد صدر



★ الأمير فيصل بن فهد ★ الشيخ حسن آل الشيخ ★ د. غازي القصيبي ★

جائزة الدولة التقديرية للأدب

صدرت الموافقة على اعتماد لائحة جائزة الدولة التقديرية للأدب المقترحة من قبل الرئاسة العامة لرعاية الشباب، وما يذكر أن الجائزة سوف تمنح في كل عام لثلاثة من الأدباء السعوديين الذين يساهمون في إثراء الحركة الدينية والفكرية والأدبية، وتتكون من ميدالية ذهبية ومكافأة نقدية مجزية ستصرف للحاصل على جائزة الدولة للأدب مدى الحياة، كما تضمنت الموافقة كذلك على تشكيل لجنة خاصة للجائزة تتكون من:

- ★ سمو الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز رئيساً.
- ★ الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ عضواً.
- ★ الدكتور غازي القصيبي عضواً.
- ★ الدكتور عبد الله عبد المحسن التركي عضواً.
- ★ الدكتور منصور الحازمي عضواً.
- ★ الأستاذ محمد حسين زيدان عضواً.

والجدير بالذكر أنه سبق قبل فترة ليست قصيرة أن تحدثت الصحافة عن هذه الجائزة، وأن قيمة المكافأة النقدية (٥٠,٠٠٠) ريال سعودي سنوياً.

★ د. عبد الله الزكي ★ د. منصور الحازمي ★ محمد حسين زيدان ★



والجامعات وسائر أهيئات المعنية، وذلك بهدف تزويد المكتبات الثقافية بالعديد من المؤلفات التاريخية المتميزة، والمتضمنة لتاريخ المملكة القديم والحديث، كما أن هذا المشروع من خلال كتيباته تلك سيساهم في تطوير برامج المحاضرات عن صورتها التقليدية المألوفة، وبالتالي تشجيع الشباب على ارتياد

دراسات متخصصة في تواريخ المدن والمناطق المختلفة بالمملكة، لذلك فقد قررت وضع مشروع تحت اسم «اعرف بلادك» يدعى إليه الأدباء والمؤرخون للكتابة فيه، حيث سيتم طبع الدراسات التي ستقدم في كتيبات باسم الوثائق، ثم يجري توزيعها على منسوبي الأنسدية والجمعيات

كلمة

الحاسب الإلكتروني في حياتنا

لا نكاد نسمع عن اكتشاف حديث في العلم أو اختراع ما أو تطور في العلوم أو الطب أو وسائل الاتصال أو التكنولوجيا إلا ويكون له علاقة بالحاسب الإلكتروني (الكمبيوتر). لقد دخل هذا الحاسب الإلكتروني في جميع مجالات الحياة تقريباً، وسهل العمل في كثير من الحقول وساعد على حل كثير من المشاكل. ويعود تاريخ الكمبيوتر الفعلي إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادي عندما صنع العالم الفرنسي باسكال أول آلة للجمع، وفي عام ١٩٤٤ م. صنعت أول آلة حاسبة إلكترونية بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة، وكان وزنها يصل إلى أربعين طناً.

وفي عام ١٩٤٦ م، صنعت آلة إنيك بالولايات المتحدة والتي تكونت من ١٨ ألف صمام، وكان في استطاعة هذه الآلة أن تقوم بحل أكثر من مليون عملية حسابية في الساعة الواحدة. وتوقفت بعد ذلك الحاسبات الإلكترونية في مختلف المجالات. وخلال ربع القرن الأخير أمكن ضغط أجهزة الكمبيوتر التي عملاً غرفة كبيرة في شظية أصغر من حجم طابع البريد. وتصنع هذه الأجهزة غالباً من شرائح صغيرة من مادة السيليكون أو الجرمانيوم، وتحوي مئات أو آلاف الدوائر الإلكترونية. وتحاري الحاسبات الإلكترونية الإنسان في القيام بما يطلب منها وتفوقه في السرعة وحل المشكلات المستعصية إلا أنها تعتمد على الإنسان في اختراع البرامج التي تعمل على أساسها، والحاسب الإلكتروني مجرد آلة عملاقة في سرعتها وقدرتها

على التذكر حسب ما يضعه الإنسان في داخلها من أوامر مبرمجة من أجل مساعدته على اتخاذ القرارات.

وقد تقدمت الحاسبات الإلكترونية (الكمبيوتر) تقدماً كبيراً بحيث ساعدت في حل كثير من مشاكل الإنسان والبيئة. وتستطيع بعض الحاسبات الإلكترونية أن تلعب الشطرنج وتؤلف الموسيقى وتتكلم في التليفون وتساعد الأطباء في تقييم المرض وتشخيصه، كما أن بعضها يقود الطائرات ويطلع على الآلات الكاتبة، ويقرأ للمكفوفين. وتسهل الحاسبات الإلكترونية في مجالات البحث العلمي وتطوير التكنولوجيا، كما تساهم في البنوك والشركات والجامعات، وتنظم الأمور المالية والإدارية في الفنادق وتسهل أمور الحجز في الطائرات، وحفظ السجلات المختلفة وعمل الإحصائيات، وتقوم الحاسبات الإلكترونية بحساب احتياطي الدول من مصادر ثرواتها البترولية والمعدنية والمالية، وتقوم الحاسبات الإلكترونية حالياً بمساعدة ربات البيوت في تنظيم أمورهن ومساعدتهن في أعمال الطبخ والتنظيف وترتيب بيوتهن.

والكمبيوتر لا يفكر ولا يتذكر ولا يخترع بل هو ينفذ بدقة ما وضع بداخله من برامج يبتكرها ويطورها الإنسان، ويقوم بالإشراف الكامل على تنفيذها ونسكن الحاسب الإلكتروني (الكمبيوتر) سيدخل بشكل كبير في مختلف مجالات حياتنا، وسنلمس ذلك في الأيام القادمة، ولعل عصرنا هذا سيكون نقطة تحول في تطور الإنسان نحو امتلاك السيطرة على البيئة والتغلب على كثير من مشاكل الحضارة، إننا بحق نعيش في عصر الحاسبات الإلكترونية، عصر الكمبيوتر.

د. أحمد عبد القادر المهندس

قاعات المحاضرات.

ومما يذكّر أن هناك عادة شروط وضعت بهدف النهوض بهذا المشروع أهمها:

★ أن يكون الكتاب المقترح الذي يتضمن الدراسة المعنية لمنطقة ما من الحجم الصغير لتتراوح عدد صفحاته بين ٧٥ إلى ١٠٠.

★ أن يتضمن محتواه وصيداً تاريخياً يفسر الظواهر الاجتماعية السائدة بأسلوب علمي مبسط.

★ أما عن الموضوعات فإن هناك لجنة حددتها بالتواريخ الخاصة بالمنطقة أو المدينة، وكذا الخصائص الجغرافية والاجتماعية لها، وكذا العادات والتقاليد وكل ما يتعلق بها.

هذا، وقد وضعت الرئاسة مكافآت للباحثين الذين سيساهمون في تنفيذ المشروع.

الفائزون بمسابقة نادي الطائف

أعلن نادي الطائف

الأدبي عن نتيجة مسابقته الأدبية السنوية لعام ١٤٠٢ هـ، حيث فاز كل من:

★ في مجال القصة:

حسن أحمد الغمي عن قصته «دوائر زمنية».

أحمد ربيع الأسواني عن قصته «الابتزاز».

أحلام عبد اللطيف حاوي عن قصتها «وجرفني التيار».

يحيى عبود بن يحيى عن قصته «الحظ العاشر».

إبراهيم محمد الحريبي عن قصته «الريشة والجنون».

★ في الشعر:

محمد عبد الرحمن الحفظي حيث فاز بالجائزة الأولى.

محمد صالح الخولاني حيث فاز بالجائزة الثالثة.

أما الجائزة الثانية والرابعة والخامسة فقد حُجبت.

★ في البحث والمقالة:

هاشم حسن كفي حيث فاز بالجائزة الثالثة.

جميل حامد القسامي حيث فاز بالجائزة الرابعة.

آمنة عبد العزيز الهليل حيث فازت بالجائزة الخامسة.

أما الجائزتان الأولى والثانية فقد حُجبتا.

كشف أثري

اكتشفت بعثة الآثار بالمنطقة الغربية (جدة) بعض الأحجار الكبيرة الحجم وعليها نقوش ورسوم لإنسان ما قبل التاريخ، وكذا للحيوانات التي كانت تعيش في المنطقة، وقد تأكدت من أن محتويات هذا الكشف والبالغة (سبع قطع) كبيرة تعود إلى ما قبل خمسة آلاف سنة من الآن وذلك من قبل لجنة مشكلة لدراسة هذا الكشف الأثري الهام، ومما يذكر أنه قد تم العثور عليها في حدود مدينة (جدة).

★ كتب جديدة ★

● «الجنس الناعم في ظل الإسلام»، تأليف سعيد

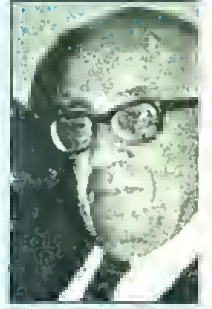


في الوطن العربي

عبد العزيز الجندول، صدر
عن تهامة للنشر بجدة ضمن
سلسلة «الكتاب العربي
السعودي».

● «خزانة الأدب ولب
لباب لسان العرب»، تأليف
عبد القادر بن عمر
البغدادى، تحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون،
ج ٩. صدر عن دار الرفاعي
للنشر بالرياض.

● «رفع الحرج في
الشريعة الإسلامية»، تأليف
الشيخ مناع القطان، صدر
عن الدار السعودية للنشر
والتوزيع بجدة.



★ عبد السلام
هارون

رسائل جامعية

● «منهج التصنيف - موسوعة حديثة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة، تقدم بها السيد عبد القادر أحمد عبد القادر.

● «فوائح السور في القرآن الكريم»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة تقدم بها السيد فاروق حسين محمد أمين.

● «شرح الرضي الاسترأبادي على كافية ابن حاجب»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية
الآداب - جامعة دمشق، تقدم بها السيد محمد التكريتي.

● «المعونة في علم الحساب الهوائى» لأحمد بن محمد المقدسي، موضوع رسالة لنيل شهادة الدبلوم
العالي، نوقشت بمركز إحياء التراث العلمي العربي للدراسات العليا ببغداد، تقدم بها السيد خضير
عباس المشندادوي.

● «كنز العلوم والدر المنظوم في حقائق علم الشريعة ودقائق علم الطبيعة»، لابن تومرت محمد بن
عبد الله الأندلسي، موضوع رسالة لنيل شهادة الدبلوم العالي، نوقشت بمركز إحياء التراث العلمي
العربي للدراسات العليا ببغداد، تقدم بها السيد عامر عطا عبد الغني.

● «شرح الحدود النحوية»، لعبد الله بن أحمد الفاكهي - دراسة وتحقيق، موضوع رسالة
ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، تقدم
بها السيد صالح بن حسين العائد.

● «طبيعة مكونات ما قبل التحف تحت سطحية المنطقتين الوسطى والشمالية الغربية من
المملكة - جيولوجيا البرزخ -»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية علوم الأرض التابعة لجامعة



في دائرة الضوء

السعودية في مواجهة العصور
الحديثة Le Royaume d'Arabie
Saoudite à l'épreuve des temps
modernes وهو من تأليف كاتبين
أوروبيين هما : جان لوي سوليه
J.L. Soulie ولوسيان شام بونوا
Lucien Champenois ، ومن
منشورات دار ألبان ميشال
(Albain Michel Editions) ويقع في
٢٤٨ صفحة من الحجم الكبير .
أول ما يلفت النظر أن الكتاب
مؤلف من طرف كاتبين ، ومن
خلال المقدمة يتجه المؤلفان إلى

● الكتاب : المملكة
العربية السعودية في مواجهة
العصور الحديثة

● لمؤلفيه : جان لوي
سوليه ولوسيان شام بونوا
Le Royaume d'Arabie Saoudite à
l'épreuve des temps modernes
Auteurs: J. L. Soulie - Lucien
Champenois

في باريس صدر كتاب يحمل
عنوان : المملكة العربية

الجزء من شبه الجزيرة العربية باسم
«المملكة العربية السعودية» .
والكتاب يشتمل على
قسمين رئيسيين وهما :

● القسم الأول : وهو
عبارة عن دراسة تاريخية تشمل
الفصول الآتية . وهي حسب
الترتيب التالي :

- (١) الإسلام التقليدي .
 - (٢) الإسلام الثوري .
 - (٣) مملكة آل سعود .
 - (٤) عبد العزيز آل سعود .
 - (٥) تولي فيصل الحكم .
 - (٦) بروز آل سعود .
 - (٧) خالد يرث الحكم .
- القسم الأول يجيب على
التساؤلات المطروحة في مقدمة
الكتاب ، قادمة البلاد تأتي من
كون أن المملكة العربية السعودية

تعداد الأسباب الحقيقية والعملية
التي جعلت من هذا البلد يحتل
المكانة المرموقة التي أصبحت نقطة
اهتمام العالم . ويعبر المؤلفان عن
رغبتها في إعطاء المزيد من الأجوبة
لكل الذين يتساءلون عن السبب أو
الأسباب التي جعلت «المملكة
العربية السعودية» تتبوأ المرتبة
اللائقة لا في منطقة الخليج فحسب
بل في العالم . ويطلق المؤلفان لفظة
«مذهلة» على المكانة ، نظراً
للتطور السريع الذي حصل في
البلاد في شتى المجالات الاقتصادية
والاجتماعية والفكرية والحياتية بصفة
عامة ، وذلك في مدة قصيرة
لا تتعدى نصف قرن تقريباً ، أي
منذ ٢١ جمادى الأولى ١٣٥١ هـ ،
الموافق ٢٣ أيلول (سبتمبر)
١٩٣٣ م ، وهو تاريخ تسمية هذا

وفاة الدكتور محمد البهي

انتقل إلى رحمة الله تعالى المفكر الإسلامي «الدكتور محمد البهي» ذلك الذي نذر نفسه للعلم وشرع قلمه للدفاع عن الإسلام، فقد أخرج رحمه الله كثيراً من الكتب التي كشفت الثورات المعادية للإسلام مثل اليسارية، الشيوعية، الرأسمالية، اليهودية، الصهيونية، وحركات الماسونية، وقد لقيت كتبه إقبالاً كبيراً واضطرت «مكتبة وهبة» لإعادة طبعها مرات كثيرة نظراً لندوبها المحمود الكبير. من كتبه كتاب «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي»، كما ألف غيره أكثر من (٦٠) كتاباً من بينها «مشروعه لتفسير القرآن الكريم» الذي كتب فيه عدة أجزاء، وفوق هذا

الملك عبد العزيز بجدة، تقدم بها السيد عبد العزيز عبد الله اللعيون.

● «شعر الرثاء بين شوقي وحافظ»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغة العربية التابعة لجامعة الأزهر، تقدم بها السيد محمد قمر عالم.

● «العلاقات السياسية والاقتصادية بين الدول العربية الإسلامية ودول الروم البيزنطية حتى نهاية العصر الأموي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة القاهرة (كلية الآداب)، تقدم بها السيد راضي عبد الله عبد الحليم.

● «العلاقة بين وزن الجسم والأعراض الإكلينيكية والتغيرات بالأشعة في حالة تآكل غضاريف الركبة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بجامعة القاهرة (كلية الطب)، تقدمت بها السيدة صفاء بسيوني.

● «القاضي أبو يوسف وأثره في الفقه الحنفي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بفرع البنات - بجامعة الأزهر، تقدمت بها السيدة ستي رملة محمد شكري.

● «نظام حجز الضريبة من المتبع - دراسة مقارنة مع التطبيق على جمهورية مصر العربية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة المنصورة، تقدم بها السيد أحمد قللي.

● «المعري ناقداً»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية الآداب بجامعة بغداد بالعراق، تقدم بها السيد وليد محمود خالص.

● «الهجاء في الشعر العربي في العراق - من بداية القرن الرابع الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري»، موضوع رسالة دكتوراه، نوقشت بكلية الآداب - جامعة القاهرة، تقدم بها السيد شفيق محمد إبراهيم.

● «حروف الجر بين الألمانية والعربية»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر، تقدم بها السيد محمد أحمد منصور.

أفضل للبلاد بتأمين حاجيات المواطن السعودي بفضل خطط التنمية التي تحددها الدولة.

ولا بد أن نشير أن الكتاب قد زُود بوثائق تاريخية واقتصادية جعلت منه كتاباً لا يخلو من أهمية، ومن خلال عنوان الكتاب يظهر أن هناك إقراراً بدخول المملكة العربية السعودية في عصر من عصور التكنولوجيا الحديثة، ودليل آخر على تحدي هذا البلد العربي المسلم لآفاق سنة (٢٠٠٠).

ويبقى الكتاب على كل حال جديراً بالدراسة والتحليل..

أحمد المكيثي
(سلا - المغرب)

التحليلي الذي يتسم به في تتبع التطور المائل الذي وصل إليه هذا البلد، وهنا يجيب المؤلفان عن أسئلتها المطروحة في أول الكتاب، فيعد المكانة «الروحانية» التي تحتلها البلاد، هناك المكانة الاقتصادية والنقدية التي تحتلها البلاد في العالم، حيث كان لظهور البترول الأثر الكبير في تطور البلاد ونموها، هذا التور الاقتصادي المضطرب سنة بعد أخرى.

ويتطرق سوليبي وشام بونوا إلى السياسة الخارجية للبلاد، حيث تسمى المملكة العربية السعودية إلى تحقيق الاستقرار والرفاهية داخل البلاد، وتسهيل سبل التعاون بين جميع الشعوب. وهكذا تسعى الجهات المسؤولة إلى تحقيق غد

الأحداث التي يطول المقام لذكرها، ثم يتعرض لحياة الملك الراحل فيصل والدور الذي لعبه من أجل خدمة بلاده والعالم الإسلامي والعربي، ويتطرق في الجزء الأخير من هذا القسم إلى شخصية الملك خالد، والفترة التاريخية التي تسلم فيها الحكم. أما القسم الثاني: فهو عبارة عن محاولة تحليلية تحتوي على الفصول الآتية، وهي:

- (١) الوسط الإنساني.
- (٢) الحكم ومؤسساته.
- (٣) النمو الاقتصادي.
- (٤) العلاقات الخارجية.
- (٥) المستقبل الموعود.

وهذا القسم الأخير من الكتاب مهم نظراً لما جاء فيه من معلومات، ونظراً كذلك للطابع

مهد الإسلام وموطن العروة، حيث مكة المكرمة والمدينة المنورة مقيط الوحي والرسالة المحمدية ومنطلق الدعوة الإسلامية، وهكذا تطرق المؤلفان إلى الإسلام ومدى تأثيره على المنطقة منذ ظهور نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم في بداية القرن السابع الميلادي حيث ألهجرة المحمدية (٦٢٢ ميلادية) تاريخ انتشار الإسلام.

كما أن القسم الأول يتعرض لبعض الأحداث التاريخية المهمة في المملكة العربية السعودية كقصّة استرداد الرياض عاصمة المملكة حالياً من طرف الملك الراحل عبد العزيز آل سعود بعد أجيال وعهود من التفكك والضعف.. إلى غيرها من



في الوطن العربي

الكويت :

مهرجان دولي للكتاب

أقيم في (الكويت) المعرض الدولي الثامن للكتاب العربي، تحت إشراف وتنظيم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويتي خلال الفترة من ١٨ محرم الماضي إلى ٢٥ منه، وذلك على أرض المعارض الدولية في منطقة مشرف. اشترك في المعرض (٢٣٤) داراً للنشر والتوزيع من ست عشرة دولة عربية إضافة إلى سبع منظمات دولية. هذا وقد

كان له دوره فيما يسمى «بتطوير الأزهر»، كما كان له موقفه في كثير من الأمور المتعلقة بالدين الإسلامي.

كشف أثري

اكتشفت بعثة أثرية مصرية أنقاض مدينة سكنية يرجع تاريخها إلى الأسرة (١٩٨) إبان عصر سبتي الأول وابنه رمسيس الثاني، وهي مؤلفة من ثلاث طبقات كانت تقطنها مجموعة من العاملين التي أقامت (١٣٤) عموداً من الأعمدة الضخمة الملونة.

نافذة

الذوق الأدبي

إذا كان النقد الحديث يتميز باستخدامه المعرفة وتبسيطها على الأدب للكشف عن القيم الجمالية فيه، فإنه يستعين أيضاً بالذوق أو الحساسية وبالدكاء، ويقصد بالمعرفة، قدرة الناقد على الإحاطة بنظرية الأدب، وبالأسس الفنية الخاصة بالأجناس الأدبية، والإحاطة بالتيارات الفكرية، من تاريخ وفلسفة وعلم اجتماع واقتصاد وعلم نفس، تلك التي تمكن الناقد من تفسير العمل الأدبي، وأما الذوق فإنه يتحكم في تفسير العمل الأدبي بناء على دوافع إنسانية، غالباً ما تكون غامضة ومعقدة.

ومعنى ذلك، أن النقد له جانب موضوعي، يغلب عليه التحرير من الأحكام الذاتية، لأنه يعمل على تحديد القيم الخاصة بالعمل الأدبي بالنسبة لغيره من الأعمال الأدبية الأخرى، وجانب ذاتي، يغلب عليه الذوق، لأنه يستمد مباشرة من فلسفة الناقد الخاصة في الحياة والأدب. إلا أنه من الصعب أن نقف على نقد موضوعي خالص، أو نقد ذاتي خالص، لأن الموضوعية ترتبط بالذات ارتباطاً وثيقاً.

وكلمة الذوق من الكلمات الشائعة على السنة النقد، لشدة اتصالها بما

● «محمد شوقي الأيوبي - حياته وتراثه الشعري، عرض ونقد»، تأليف الدكتورة نورية السرومي، صدر ضمن سلسلة «دراسات خليجية» عن شركة المطبعة الأهلية ومكتباتها في الكويت.

الإمارات العربية

منهج جديد للغة العربية

أقرت اللجنة العليا للمناهج بدولة الإمارات العربية المتحدة المنهج الجديد للغة العربية الذي عالج قضية المؤلف، وطريقة التدريس، فضلاً عن اهتمامه بالتدريب على الأنماط اللغوية في المرحلة الابتدائية، والتطبيقات اللغوية بالمرحلة الإعدادية، كما أكد المنهج على

اشتمل المعرض على أكثر من (١٠٠) جناح للعرض والبيع شملت أكثر من (٣٠,٠٠٠) عنوان في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، ابتداءً من الكتب العلمية البحتة إلى الكتب الخاصة بثقافة الطفل.

* كتب جديدة *

● «مسرقيات يتيمة في المجلات الكويتية خلال الأعوام من ١٩٤٧م - ١٩٥٤م»، تأليف خالد سعود الزيد، صدر عن دار الريعان الكويتية للنشر والتوزيع.

* خالد سعيد الزيد *



يصدر من أحكام. وأول صعوبة يلقاها الباحث في تحديد هذه الكلمة، لا تعود إلى طبيعة الذوق الغامضة أو المعقدة، وإنما تعود إلى عدم الدقة في استعمال هذا اللفظ.

والكلمة في حد ذاتها تحمل معاني كثيرة. فالذوق في قاموس المحيط بمعنى «اختيار الطعام وتذوقه، أي ذاقه مرة بعد مرة». وفي المنجد، الذوق ملكة تدرك بها الطعموم، والذوق الطبع. ويقال هو حسن الذوق للشعر أي مطبوع عليه.

فالذوق في معناه الحسي، علاج للأشياء باللسان لتعرف طعمها، ثم انتقلت الكلمة بعد ذلك إلى علاج الأشياء بالنفس لتعرف خواصها الجميلة أو الذميمة.

ويعرف الذوق بأنه قوة يقدر بها الأثر الفني، أو هو ذلك الاستعداد الفطري المكتسب الذي تقدر به على تقدير الجمال والاستمتاع به ومحركاته.

إن فعالية النقد الأدبي، تتداخل مع فعاليات عقلية وأدبية مختلفة، وتتفاعل معها وتأتي أحياناً كمحصلة لها. وذلك أن النقد الأدبي يتناول طبيعة الأدب ووظيفته، وغيرها من المسائل التي تدخل تحت عنوان نظرية الأدب. وإذا كان النقد الأدبي فعالية متداخلة مع فعالية الخلق الأدبي، فإن العلاقة بين الذوق الأدبي والنقد قوية، بحيث يبدو الذوق جانباً من جوانب عملية النقد الأدبي. وهذه العلاقة تهم على كل دارس للنقد، فهم طبيعة الذوق الأدبي.

وتبدو هذه العلاقة بين النقد والذوق طبيعية، فالنقد الأدبي لا وجود له بغير الذوق. وفي هذا المجال، يقول آبر كرومبي لاسيلس صاحب كتاب قواعد النقد الأدبي: «إن دولة الأدب تحتلها ملكات ثلاث: الأولى ملكة

الاهتمام بالجانب الوطني للغة بحيث يربط بين التعليم اللغوي وموافات الحياة اليومية.

* كتب جديدة *

● « لغة إحصائية » ، صدر عن الدائرة الاقتصادية لإمارة الشارقة .

* سورية *

* كتب جديدة *

● « ما جاء على فعلت وأفعلت بمعنى واحد » . تأليف أبي منصور الجواليقي ، حققه وعلق عليه وقدم له ماجد الذهبي ، صدر عن دار الفكر للطباعة والنشر بدمشق .

● « المغرب في ترتيب المغرب » ، للإمام أبي الفتح

ناصر الدين المطرزي ، حقق نصوص الكتاب محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ، صدر عن مكتبة أسامة بن زيد للطباعة والنشر والتوزيع بحلب .

* الجزائر *

مؤتمر للآثار العربية

عقد في مدينة (تلمسان) الجزائرية مؤتمر الآثار العربية العاشر ، استمر عشرة أيام ، حيث عقد خلال الفترة من ١ إلى ١٠ من شهر صفر الماضي عام ١٤٠٣ هـ ، نوقشت فيه القضايا المتعلقة بالآثار والمتاحف العربية وموضوع حماية الآثار الفلسطينية والمدن التاريخية العربية ، كما تمت فيه مناقشة موضوع إنشاء المركز العربي لإحياء التراث الفني في

الإنتاج أو الإنشاء ، والثانية ملكة الذوق ، والثالثة ملكة النقد ^(١) . وأهم ما تمتاز به ملكة النقد أنها يمكن أن تكتسب ، في حين أن الذوق في أصله هبة طبيعية .

ويرى الدكتور محمد مندور : « إن الذوق يجب أن لا يشغل إلا المرحلة الأولى في العملية النقدية ، وإنه لكي يصبح وسيلة مشروعة للمعرفة ، التي تصح لدى الغير ، ولكي يقبل الغير أحكامنا الذوقية الثابتة ، لا بد أن نعرف هذه المرحلة بمرحلة أخرى موضوعية تستند إلى أصول الأدب والفن المستمدة من روائع الأدب والفن » ^(٢) .

والحقيقة أن مسألة الذوق والنقد تثير مناقشات كثيرة ، ويتساءل الدكتور طه حسين في هذا المجال ، فيقول : « ما هو الذوق ؟ وإلى أين ينتهي ؟ وما المؤثرات المختلفة التي تكونه وتسلك به سبل التطور المختلفة المتباينة ؟ أهو عقل خالص قوامه البحث والنقد والتقدير والحكم ؟ كلا . فلو كان الذوق عقلاً لضاعت آيات فنية خالدة ، ولما استطاع هذا الجيل أن يعجب بكبار الشعراء والخالدين من أصحاب الفن . ومع ذلك فقد كان أفلاطون يفتت هوميروس وشعره ويحظر درس هذا الشعر في مدينته الفاضلة ، ولكنه إلى ذلك كان يستشهد به ويستخلص منه حكماً لا تفتي .

أهو شعور خالص قوامه الحس والتأثر والانفعال الذاتي الذي لا روية فيه ولا اختيار ؟ كلا . فلو كان كذلك لضاعت آثار كبار الشعراء الخالدين من أصحاب الفن » ^(٣) . وعلى هذا الأساس لبس الذوق ملكة بسيطة كما قد بتوهم ، ولكنه مزيج من العاطفة والعقل والحس . وليس الذوق عقلاً خالصاً ولا شعراً خالصاً ، وربما كانت العاطفة أهم عناصره وأوسعها سلطاناً في تكوينه ومظاهره وأحكامه .

الذوق الفني .. والبيئة

والنقد الأدبي ، لا يبني على الذوق الخاص فقط ، لأنه تحليل فكر شخص آخر

(الرياض) . حضر المؤتمر العديد من ذوي الاختصاص من الدول العربية .

* تونس *

* كتب جديدة *

● « الثقافة رهان حضاري » ، تأليف الشاذلي القليبي ، صدر عن الدار التونسية للنشر والتوزيع .

● « سيرة القيروان : رسالتها الدينية والثقافية في المغرب الإسلامي » ، تأليف محمد العروسي المطوي ، صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس .

● « رعشة الحلم » . تأليف نعيمة صفحة ، صدرت المجموعة في تونس .

* العراق *

* كتب جديدة *

● « الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام » ، تأليف عبد الإله الصانع ، صدر عن دار الجاحظ ببغداد .

● « الجزء الثاني من كتاب العين » ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور مهدي الخزومي وإبراهيم السامرائي ، صدر ضمن منشورات وزارة الثقافة والإعلام .

* فلسطين *

* كتب جديدة *

● « مخطوطات البحر الميت » . تأليف حسين عمر

غير القارئ نفسه ، ومن هنا فإنه وسيلة لنقد الأدب على أساس العوامل التي يقوم عليها نقد الأدب . وينفسم الذوق إلى ذوق عام يشترك فيه أبناء الجبل الواحد في البيئة الواحدة ، وإلى ذوق خاص يتأثر بالشخصية الفردية . ونتحكم في الذوق عوامل متعددة تختلف باختلاف الأجيال والبيئات واختلاف الظروف الوفنية الطارئة التي تؤثر في القارئ أو الناقد .

كما نتحكم في الذوق عوامل أخرى لا علاقة لها بالجبال إطلاقاً ، كالشعور الجمعي بالولاء للقبيل أو مذهب ديني أو أخلاقي . وحكم الناس على الآثار الفنية كثيراً ما يتأثر بهذا الشعور الجمعي ^(٤) . وكل ما ينبغي أن نحذر منه ، ألا يكون التألف مجرد الاشتراك في المذهب أو الشعور بالألفة ، بل لا بد أن يخلص القارئ من العصبية الضيقة ، وأن يتجاوز أفاقه النفسي . وألا يقع تحت تأثير الألفة والغربة .

^١ فبعض الأفراد برقصون الأثر الجميل قبل أن يناملوه ، لخروجه على مألوفهم . كما يحجم قسم آخر عن تذوق عمل أدبي ، يصدر عن مذهب بخصه . كما نجد أن اختلاف البيئات الجغرافية والحضرية يؤثر في أحكام بعض النقاد ، كما يقدر كل منهم الأشياء قدراً ملائماً لحاله .

ولا يزال هناك نفر من الناس يتصورون أن كل شيء جميل يحمل في طبيعته على نحو ما جاتباً من المنفعة ، والواقع أننا إذا كنا قد استخلصنا الفن في إبداءه من النفع العام والنفع الخاص ، فإن من الواجب أن نبرئ الذوق الفني بدوره من الارتباط الوثيق بالانتفاع ^(٥) .

وحدد الأستاذ أحمد الشايب في كتابه « أصول النقد الأدبي » المؤثرات التي يخضع لها الذوق ، وهي البيئة أي (الخواص الطبيعية والاجتماعية) . والزمان والجنس والتربية والشخصية الفردية (أو المزاج الخاص) ^(٦) .



في الوطن العربي

صدرت عن مؤسسة الدراسات العربية للنشر بيروت.

● «شهداء بيروت»، شارك في تأليفه عدد كبير من الكتّاب والصحفيين، صدر في بيروت.

● «الدعوة إلى الإسلام: مضامينها ومبادئها»، تأليف عبد الكريم الخطيب، صدر عن دار الكتاب العربي بيروت.

● «الإسلام في معركة الحضارة»، تأليف شفيق منير، صدر عن دار الكلمة بيروت.

حمادة، صدر في فلسطين.

● «حكاية عائد»، رواية تأليف أحمد حرب، صدرت عن منشورات الرواد بالأرض المحتلة.

● «جذور الصبر»، تأليف عمر عناني، صدر عن دار الرواد للكتب الثقافية والنشر بالقدس.

لمستأن

* كتب جديدة *

● «الشبكة»، رواية تأليف الدكتور شريف حتاته،

المدن السعودية .. تركيبها، انتشارها

● ستعقد في قسم الجغرافيا بكلية آداب جامعة الملك سعود بالرياض ندوة بعنوان «المدن السعودية - انتشارها، تركيبها الداخلي» وذلك خلال الفترة من ٩ - ١١ من شهر شعبان (القادم) عام ١٤٠٣ هـ، سيشارك فيها المختصون في الجامعات السعودية والجهات المسؤولة عن المدن بالمملكة.

معرض للتراث الشعبي

● سيقم النادي الأدبي في أبها بالمملكة العربية السعودية معرضاً للتراث الشعبي لما قبل ثلاثين عاماً، حيث سيحتوي على المستخدمات القديمة في المنطقة من جميع النواحي العمرانية والتعليمية والصناعات المحلية.

كتب جديدة

● ستصدر الكتب التالية عن نادي أبها الأدبي:

- ★ «جناب الشعر الحر»، تأليف أحمد فرج عقيلان.
- ★ «شعاع الراحلين»، ديوان شعر وهو من إعداد آل الحفظي.
- ★ «باقة البنفسج»، ديوان شعر للدكتور عبد الهادي حرب.
- ★ «النباتات في عسير»، تأليف محمد حسن الألمي.

لأن العمل الأدبي يمثل موقفاً شعورياً لا علاقة له بالحقبة العملية، يحتفل فيه الشاعر بمطابقة التعبير لما في نفسه من دقات شعورية، أي أنه يحتفل بالصدق النفسي لا بالصدق الخارجي أبداً كان. وليس الذوق في نهاية الأمر سوى الالتفات نحو جماليات الموضوع الناجمة عن وحدة عناصره والتماسه بمادته التي تعطيها شكله الفني، وهو من العناصر الأساسية في الأدب، لما ينشئه الكاتب هو ثمرة ذوقه الأدبي وصورته الدقيقة. وكما أحب أن أعرف الطابع الذي يطبع ذوقنا العربي العام في هذه الأيام التي نعيش فيها!

د. قسطندي شوملي

والتذوق في حد ذاته من التقمص الوجداني، أو عماكاة باطنية^(٧) Empathy للعمل الأدبي، تهدف إلى الإدلاء بحكم جمالي، إلا أنها لا تنفك عند هذا الحد، بل هي إحساس بالجانب المادي من العمل الأدبي. بحيث نلتم الأحاسيس والأفكار التي تعطي للعمل الأدبي تصوراً فنياً. ولعل هذا التركيب هو من أسباب اختلافه باختلاف الأفراد. لأن الناس مختلفون في حظوظهم من العقل والشعور والثقافة وظروف الحياة المختلفة، فيقدر كل واحد منهم الأشياء قدرأ ملائماً لحاله، فلا يتفقون إذا حكموا فرادى، ولكنهم على كل حال يشتركون في مقدار ما من هذا العقل وهذا الشعور وظروف الحياة الأخرى^(٨).

والمقرر أن الذوق هبة طبيعية تولد مع الإنسان، ولكن رقيه وتهذيبه إنما يكون بالتربية الصحيحة. ويشير الدكتور كمال زكي إلى أنه بقدر ما يوهب الذوق فطرياً، يكتب معارف وخبرات تولد خارج الذات. ومن هنا كان الذوق سليماً وفاسداً^(٩). ونحدث المرحلي في كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه» عن الذوق المثقف أو السليم، فوصفه بأنه ذوق صفله الأدب وشحذته الرواية وجلته الفطنة فألهم الفصل بين الرديء والجيد.

ويرى كانت KANT أن الذوق يرتبط بالجمال ويصعب فصله عنه. ويؤكد أن الذوق هو مادة الشعور بما تبصره أو نسمعه أو نتخيله. وهو يصدر حكمه بالرؤى أو بعدم الرضى على موضوع ما، مبتعداً ما رسعه عن الهوى، ومتفتحاً في الوقت نفسه على الكمال والمثال، دون أية محاولة لجعل الجميل كاملاً أو مثالياً، وإنما حسب ما يكون سبيلاً إلى تطور مثال الكمال على أي حال.

والحكم الجمالي موضوعي رغم عناصره الذاتية، لأنه لا يمكن أن يتحرر من موضوع العمل الأدبي. ويعارض هذا الاتجاه الذين يرون الذوق عملاً ذاتياً مرتبطاً بإشباعاات الموضوع وبما يثيره من الخيال. وعلى المتذوق عند النظر للعمل الأدبي ألا ينصرف إلى المنطق العقلي وحده ولا إلى المنهج العلمي،

الهوامش

- (١) آبر كرومبي لاسبلس، قواعد النقد الأدبي، ترجمة محمد عوض، ص ٦٥، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٣٦ م.
- (٢) النقد والنقد المعاصرون، ص ٧٧ - ٧٨.
- (٣) أحاديث، المجموعة الكاملة، ص ٦٨٢ - ٦٨٣، ج ١٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤ م.
- (٤) عبد الحميد بونس، الأسس الفنية للنقد الأدبي، ص ١٣٩ - ١٤١.
- (٥) نفس المرجع، ص ١٣٩.
- (٦) ص ١٣٦.
- (٧) أحمد كمال زكي، النقد الأدبي الحديث، ص ٣٩.
- (٨) طه حسين، أحاديث، ص ٦٨٣.
- (٩) أحمد كمال زكي، المصدر السابق، ص ٤١.



فكر العالم

سيكوتوري» وذلك تقديرًا لجهوده في خدمة القضايا الإفريقية والإسلامية. هذا وقد تم حفل التسليم بقاعة الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر بحضور عدد كبير من المسؤولين المصريين.

كينيا

اكتشاف بقايا الإنسان الأول

عثر في كينيا على (٢٢) من الأسنان، وقطعة من فك متحجر يعود تاريخها إلى (١٥) مليون سنة، وهي للإنسان الكيني الأول. ويفضل هذا الاكتشاف سيمكن معرفة ما حدث في إفريقيا منذ (١٥) مليون سنة.

أمريكا

مدرسة المدينة

خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) من عام ١٩٨٢م، افتتحت بولاية كاليفورنيا «مدرسة إسلامية جديدة» باسم (مدرسة المدينة) وذلك بمدينة لوس أنجلوس لتعليم أطفال الجاليات العربية والإسلامية اللغة العربية والدين الإسلامي، إضافة إلى ذلك فقد أصبح للجالية العربية في لوس أنجلوس إرسال إذاعي وتلفزيوني باللغة العربية لمدة ساعة كل أسبوع.

معرض للفن البدائي

أقيم في متحف

ألمانيا

وفاة هانز سيلبي

توفي عن (٧٥) عاماً العالم التماسوي «هانز سيلبي» مكتشف أعراض مرض الضغط العصبي. مما يذكر أن هانز ولد عام ١٩٠٧م، ودرس العلوم الطبية والفلسفة وعمل وظائف الأعضاء وذلك في كل من تشيكوسلوفاكيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة قبل أن يستقر في كندا في أوائل الثلاثينات، وقد اكتشف هذا العالم التماسوي «أسباب مرض الضغط» بعد أبحاثه على الفئران، ونشر أول نتائجه في عام ١٩٣٦م، في المجلة الطبية الإنجليزية، وتمكن من معرفة أثر الضغط العصبي على أمراض الروماتيزم، كما أنشأ معهداً دولياً لبحث أعراض الضغط.

غينيا

الدكتوراه الفخرية لسيكوتوري



* أحمد سيكوتوري *

منحت جامعة الأزهر الدكتوراه الفخرية في التاريخ الإسلامي للرئيس الغيني «أحمد

تاريخ اليمن في مجلدات

● ستصدر (دار العلم) في الاتحاد السوفياتي عدة مجلدات عن «تاريخ اليمن» كتبها مستشرقون من موسكو وليننغراد وذلك تحت إشراف «أكاديمية علوم الاتحاد السوفياتي»، ويأتي هذا الاهتمام ورغبة من حكومة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حيث طلبت من الأكاديمية عمل ما يمكن عمله لمعرفة شيء عن تاريخ اليمن. مما يذكر أن عدد المجلدات (أربعة) تتحدث عن تاريخ اليمن منذ العصر الحجري وحتى الوقت الراهن مختصرة على أكثر من خمسين ملزمة باللغة الروسية ستترجم فيما بعد للغة العربية ومن ثم إلى اللغة الإنجليزية. هذا وقد ساعدت العاملين في إعداد هذه المجلدات آثار كانت بحوزتهم يعود تاريخها إلى (٣٠٠) ألف سنة شاهد على أن جنوب شبه الجزيرة العربية كان واحداً من مراكز نشوء وتطور المجتمع البشري.

مؤتمر عالمي حول الأدب

● سيعقد في ألمانيا الغربية في بداية عام ١٩٨٥م، المؤتمر العالمي لعلماء الأدب الألماني. سيقام المؤتمر أدباء وعلماء متخصصين في الأدب الألماني من خمسين دولة، يرأسهم البروفيسور «البريخت شوني» المتخصص في الأدب الألماني القديم والحديث ورئيس رابطة اللغات الجرمانية وأدائها، وستناقش في المؤتمر خصائص ومميزات الأدب الألماني، وأثر الأدباء أمثال (جونو) وغيره على الأدب وتطوره.

● «خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية»، تأليف عبد الله التل، صدر عن المكتب الإسلامي ببيروت.



* د. أحمد محمد الخوري *

● «الحياة العربية في الشعر الجاهلي»، تأليف الدكتور أحمد محمد الحوفي، صدر عن دار القلم ببيروت.

● «الأدب والغربة»، تأليف الدكتور عبد الفتاح كيلطو، صدر عن دار الطليعة ببيروت.

● «الفقه الإسلامي بين الواقعية والمثالية»، تأليف محمد مصطفى شلبي، صدر عن الدار الجامعية للطباعة والنشر ببيروت.

● «التجديد في المسلمين لا في الإسلام»، تأليف الدكتور عمر فروخ، صدر عن دار الكتاب العربي ببيروت.

* د. عمر فروخ *



● «الوجه الآخر لجبران»، تأليف رياض حنين، صدر عن دار النهار للنشر والطباعة ببيروت.



في العالم

فرنسا :

«المتروبوليتان» مدينة (نيويورك) معرض للفن البدائي حيث ضم مجموعة سميت بمجموعة روكفلر تضمنت حوالي (٣٥٠٠) عمل قدمها للمتحف نيلسون روكفلر تكريماً لذكرى ابنه مايكل روكفلر الذي مات خلال قيامه بجمع نماذج من الفن البدائي من (قبيلة الاسمات) في غينيا الجديدة .

* أحدث الكتب *

- «رحلة المسافات الطويلة»، تأليف مارغريت ستوروات، صدر في الأسواق الأميركية.
- «الأيام الصعبة»، للكاتبة سارة كولتين، صدر في الأسواق الأميركية.
- «قصة للحياة»، تأليف جاك وايتبكر، صدر في الأسواق الأميركية.
- «مسألة توازن»، تأليف جون فارلي، صدر في الأسواق الأميركية.

كندا :

* أحدث الكتب *

- «التراث العربي»، تأليف يوسف الملح، صدر باللغة الإنجليزية عن دار بساط الريح بتورنتو.
- «أسرار حياة الجنين»، تأليف توماس فيرني، صدر في أوتاوا

دائرة معارف للأطفال

أصدرت دار بيجاليون الفرنسية للنشر «دائرة معارف لألعاب الأطفال» في عشرة أجزاء، بشمل كل جزء على نوع معين من الألعاب التي كانت منتشرة بين الأطفال الفرنسيين خلال الفترة من عام ١٨٣٠م، وحتى عام ١٩٢٠م، وقد اشتملت الدائرة على (٤٠) صورة فوتوغرافية للعديد من اللعب حيث جاءت الألعاب الميكانيكية في مقدمة الألعاب .

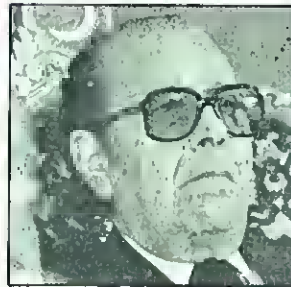
* أحدث الكتب *

- «هيجو لياد»، تأليف يوجين يونسكو، صدر عن دار النشر (غاليمار) بباريس .
- «تبشير الإسلام»، تأليف روجيه جارودي، صدر في باريس .

الصين :

إعادة فتح المعهد الإسلامي

أعيد فتح المعهد الإسلامي الوحيد في الصين من (كين) من (كين) منذ أن أغلق في بداية الثورة الثقافية الماوية في عام ١٩٦٦م، هذا وقد قل فيه بعد افتتاحه (٤٠) طالباً المسروق أنه أُنشئ عام ١٩٥٥م، وتشرف عليه «الرابطة الإسلامية في الصين»، وفي إطار التعاون بين المعهد وجامعات العالم الإسلامي فقد أرسل عشرة من الطلبة إلى (جامعة الأزهر) لمواصلة تعليمهم وهم أول طلبة يرسلون للخارج من قبل الرابطة التي لا يوقف عملها على الإشراف على هذا المعهد، بل رعاية المسجونين وحارة تركيهم لتطهير «الصين» من الممارسات القبايل المعادية حيث قامت خلال العامين الماضيين بطبع ١٦٠,٠٠٠ نسخة من القرآن الكريم لتوزيعها على مسلمي الصين الذين يبلغ عددهم (١٣) مليوناً .



المذبحة .. الوصمة

.. والإدانة التاريخية

لا نبالغ حين نقول إننا نعيش عصراً فقد عقله ..
وبالتالي فقد إنسانيته!! وإذا كان لهذا العصر ميزة تاريخية
فهي أنه عصر الظلم والوحشية ، وسفك الدماء ، والقوى
الدمرة لكل مقدرات الإنسان الحضارية والأخلاقية!!
إن المذبحة البشعة التي حدثت في مخيم صبرا ،
وشاتيلا في بيروت الغربية بלבان العربي .. هذه المذبحة
التي أزهدت فيها أرواح ستة آلاف فلسطيني ولبناني كما أشار
السيد ياسر عرفات في مجلة « انجلة » العدد (١٣٩) في صور
متناهية البشاعة والاعطاط ، هذه المذبحة تؤكد أن شرعية
الغاب هي المسيطرة على قوى العصر .
لقد تعاونت في تنفيذ هذه « المذبحة الوصمة » الصليبية

بالتاريخ الأسود لإسرائيل .. والعالم لا ينسى مذبحتها التاريخية في «دير ياسين» عام ١٩٤٨ م.

أما الصليبية الجديدة التي قادها سعد حداد ومن تبعه فإنها تحيي بعملها هذا حقدها التاريخي المزمّن حين دخلت بيت المقدس عام ١٠٩٩ م، فقتلت وأحرقت آلاف المسلمين بصورة روى المؤرخون أن دماء ضحايا المسلمين الأبرياء سالت فغطت الركب .. كما تعيد للعالم ذكرى محاكم التفتيش عام ١٥٤٢ م.

ليس غريباً أن يرتكب المجرم جريمته .. إنما الغرابة أن تقف السلطة مع المجرم ، وأن يستمر في إجرامه تحت حماية القوة الغاشمة .. والأضواء الكاشفة .

لقد شاهدت وسائل الإعلام المذابح التي نفذتها إسرائيل في لبنان العربي .. وكان العالم مكتفياً بمشاهدة ما عرضته هذه الوسائل من صور بشعة !! .

ونحن هنا ننشر بعض صور مذبحه غيمي «صبرا ، وشاتيلا» مع ترجمة ما نشرته مجلة «تايم» الأميركية كشهادة تاريخية تدين اليهودية الصهيونية ، والصليبية الحاقدة ، بدعم الولايات المتحدة الأميركية .. والله المستعان يا عرب !! . وهذه ترجمة ما نشرته مجلة «تايم» عن مذبحه غيمي «صبرا ، وشاتيلا» .

المذبحه الوصمة والإدانة التاريخية

المتمثلة في جماعة «سعد حداد» ، واليهودية الصهيونية المتمثلة في إسرائيل ، برئيس حكومتها المريض «بيجن» ، ووزير دفاعها السفاح «شارون» رغم تعهد حكومة أميركا بواسطة فيليب حبيب بعدم دخول إسرائيل بيروت الغربية ، وضمان حماية الفلسطينيين الذين يسكنون الخيماء ، وذلك بعد خروج المقاومة الفلسطينية .

ولو أضفنا إلى هذه المذابح ضحايا غيم «عين الحلوة» ، ومدن النبطية ، وصور ، وصيدا ، لوجدنا أن عددهم قد بلغ ٧٢ ألف شهيد وجريح ومفقود .

إن مذبحه غيمي «صبرا ، وشاتيلا» ، وغيرها من المجازر التي ذهب ضحيتها آلاف الأبرياء من النساء والأطفال والمعجزة ، والحوامل من الفلسطينيين واللبنانيين ، تذكرنا



مذبحة اغتيات كما يصفها صحفي غربي

كانت هناك فقط أصوات البكاء
والجثث، وأكوام الجثث المنتشرة:
رجال ونساء وأطفال. بعضهم أطلق
عليه الرصاص في رأسه، وآخرون
قطعت رقابهم، وبعضهم قيدت أيديهم
خلف ظهورهم، وشاب صغير السن
خصي.. ونساء وبنات في منتصف
العمر، وبعضهن يبلغن الثالثة فقط
من العمر كانت أيديهن وأرجلهن
ممددة وقد غطتها أكوام التراب من
المبنى المنهار، وأجزاء من الرؤوس قد
طارت بعيداً. وعثر على امرأة تضم
رضيعاً إلى جسمها.. ونفس الرصاص
التي خرقت صدرها قتلت الوليد. وقد
وصف لبناني الموقف بقوله: «إنها
مذبحة لا يمكن أن يفهمها العقل».

وحيثما قام رجال الانتفاذ التابعين
للدفاع المدني والصليب الأحمر بنقل
الجثث كان بعض المشاهدين للمنظر



يصرخون من الرعب عند رؤية الملامح المشوهة لصديق أو قريب. وقد وقفت امرأة مزقتها الحزن فوق إحدى الجثث وهي تصرخ: «هل أنت زوجي؟ إلهي من سيساعدني؟ لقد ولى كل أولادي وزوجي ذهب بلا رجعة، ماذا سأفعل؟».. وأولئك الذين تعرفوا على أقاربهم سمح لهم بأخذهم ودفنهم في مقابر خاصة بهم، وبقي الجثث المغطاة بالجير دفنت في قبور جماعية.

بنهاية الأسبوع سجل المسؤولون في الصليب الأحمر ٣٢٠ قتيلاً في معسكري شاتيلا وصبرا. وعدة مئات كانوا في عداد المفقودين. وظل كثير من الضحايا وبينهم لبنانيون من سكان المعسكرات مدفونين في منطقة حفرها القتلة السفاحون بالبلدوزرات على عجل بالقرب من مدخل شاتيلا عندما أكملوا عملهم الدموي. وقرر عمال الإنقاذ عدم نبش القبور. ويبدو أن ضحايا الآخرين بقوا في المنازل التي دمرتها المتفجرات في محاولة لتغطية آثار العدوان. وجرائم المعتدين.

وبينما اكتشف العالم فداحة مذعة صبرا وشاتيلا بدأت تفاصيل حقيقة ما حدث تبرز ببطء من أقوال الأحياء المختلطة وشهود المأساة الآخرين. لكن الحقيقة الوحيدة الواضحة هي أن سكان شاتيلا وصبرا لم يكونوا بأي طريقة مستعدين للهجوم الدموي الذي بدأ بعد ٢٤ ساعة فقط من دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت الغربية. ولم يكن هناك تخطيط لمقاومة تقدم الإسرائيليين في المعسكرين فقد كان عدد الفلسطينيين المسلحين في المنطقة قليلاً.

وبالرغم من أن منطقتي صبرا وشاتيلا يسميان (مخيمات) فقد أصبحتا مناطق سكنية تمتد في غير اتساق تتخللها الملاجئ من الغارات الجوية ومستودعات الأسلحة، ويسكنها فلسطينيون ولبنانيون. وقد أحاط الإسرائيليون بالمعسكرات من ثلاثة جوانب. لكن الجانب الجنوبي ترك مفتوحاً في انتظار وصول رجال الميليشيات الذين أعدتهم القوات الإسرائيلية لهذه المجزرة الرهيبة.

وفي المساء قبل بدء المذبحة راح سكان المخيمات للنوم كما كانوا يفعلون

قبل أسابيع وهم يسمعون صوت الممارك في وسط بيروت، على بعد ميلين. وكان هناك صوت القذائف الممتد لكن العمل العسكري في منطقة النجم كان متقطعاً. وفي صباح اليوم التالي ذهب فلسطينيون قلائل إلى «مستشفى غزة» الواقع بالقرب من الخط الفاصل بين غيمسي شاتيلا وصبرا لمعالج بعض الجروح، وبحلول الساعة الثانية بعد ظهر يوم الخميس ضربت قاذفات قنابل مكثفة الجزء الجنوبي لشاتيلا. وذكرت زوجة فلسطينية تعيش في النجم أنها حاولت هي وزوجها وأطفالها الانتظار خارج القصف متخفين في الطابق الأرضي لمنزلهم الصغير. وفي حوالي الخامسة قرروا الفرار. وتمكنوا من الوصول إلى شارع شاتيلا الرئيسي بسلام. وبعد السادسة مساءً اضطر الزوج للعودة إلى المنزل للبحث عن لبن مجفف للطفل فلم يرجع وعثر عليه في وقت لاحق مقتولاً.

ويصف فلسطينيان شابان هما طالب العملي (٢٦ سنة)، وأخوه فوزي (٢٢ سنة) بدء الاغتيالات. كانا في منزل على بعد نصف ميل من مدخل شاتيلا الجنوبي يجتنبون من القصف الإسرائيلي، وشربون الشاي مع بعض الأصدقاء. وفي حوالي السادسة والنصف مساءً بدأوا يسمعون إطلاق



منازلهم ، بينما سحب آخرون للخارج ليقتلوا . وكما يتضح من الأوساخ المتروكة استمتع بعض الجنود بتناول الوجبات الخفيفة والسجائر أثناء قيامهم بالمذبحة .. وقد انتشرت في المكان صناديق حصص الميدان من الطعام ، وكتب على بعضها مصنوعة في الولايات المتحدة ، وأخرى كتب عليها بالحروف العبرية .

وحاول بعض الفلسطينيين بالرد مستخدمين أسلحة صغيرة وقليل من القرائن . وربما كان لمقاومتهم بعض الأثر ، ففي صباح الجمعة بدأ رجال الميليشيات يوقفون تقدمهم في الخيماء . وعند انتشار نباء المذبحة في الخيماء هرب اللاجئون المتجمعون في مستشفى غزة راجلين بحثاً عن مأوى بعيد إلى الشمال . وذهب معهم ٤٥ مريضاً من المستشفى هربوا من أسرهم . وذكر بعض الأحياء من سكان الخيماء أنهم شاهدوا رجال الميليشيات المسيحية يقومون بوضع حواجز لإغلاق الطريق بالقرب من المدخل الجنوبي للمخيمات ، بينما كان مئات الجنود الإسرائيليين يشاهدون الموقف .

وحيثما بدأت إراقة الدماء تسير ببطء في الخيماء بدأ رجال الميليشيات يوجهون انتباههم إلى مستشفى عكا .

النار في كل مكان . وكانت نيران الأسلحة الصغيرة هي البائدة بعد الظهر ، وخرج اثنان من المجموعة وعادا ليذكرا أنها شاهدا أشخاصاً يعتقدون أنهم تابعون للمليشيات المسيحية التي يرأسها سعد حداد . وقد هربت المجموعة إلى مستشفى غزة حيث أمضوا المساء مع مئات الفلسطينيين الذين لجأوا إليها . ولجأ حوالي ٥٠٠ شخص من معسكر شاتيلا في مستشفى عكا .

وقضى رجال الميليشيات الليل في التقتيل ، ودعوا الجيش الإسرائيلي لقصف الخيماء لتغطية العمل الذي قاموا به . ووصف مساعد طبي في مستشفى غزة الموقف بقوله : « كان مساء الخميس جحماً . لم تكن السماء داكنة بتلك الصورة من قبل . ولم يتوقف إطلاق النار أبداً ، وكان الناس يصرخون » .

ولم يكتف القتلة بمجرد إطلاق النار فاستخدموا الحبال والفؤوس ، وقيدوا بعض الضحايا سواً وقاموا بالقتيل بهم . وقتل بعض الأشخاص في



وفي صباح الجمعة بعد فرار اللاجئين الذين أمضوا الليلة هناك . حاول أربعة أطباء مغادرة المستشفى وهم يحملون الأعلام البيضاء . لكن أقيمت عليهم قرانيت فقتل ثلاثة منهم ، وبعد ساعات دخلت مجموعة من رجال الميليشيات المستشفى وهددت العاملين . وقد اغتصبت ممرضة فلسطينية ثم قتلت . ثم أخذ رجال الميليشيات طبيبين فلسطينيين إلى مكان غير معروف . ومرار الوقت أصبح صوت العنف في الخيمات أكثر تقطعاً . وبعد الظهر بدأ رجال الميليشيات تغطية الأعمال التي قاموا بها . وفي حوالي الساعة الثالثة شاهد دبلوماسي أوروبي «بلدوزر» يسوي شارعاً جانبياً . وكان البلدوزر مليئاً بالجنث . وبعد ساعات لاحظت قافلة للصليب الأحمر وصلت عكا كوماً من الجنث ، بلغت تسعين جثة بالقرب من مدخل شاتيلا .

وفي الساعة الرابعة غادر حوالي ٥٠٠ شخص المنطقة شمال مستشفى غزة بحثاً عن ملجأ في وسط بيروت الغربية ، فقابلوا مجموعة من الجنود الإسرائيليين أرغمهم على الرجوع . وانتدب الرجال أحدهم للتقدم والتفاوض مع الجنود بينما بقي الآخرون في الشارع في انتظاره . وقد أخبر الرجل الجنود أن رجال سعد حداد يقومون بتقتيل الناس في الخيم ، وأنهم يبحثون عن مأوى . فرد عليه الجندي بأنه لا يستطيع مساعدته .

«وأنه سيطلق عليه النار إذا بقي أكثر من عشر دقائق» . وبدأت دبابة في التحرك نحو الخشد ، فأقلموا عن فكرتهم .

وفي صباح السبت تقدم رجال الميليشيات في حماية القوات الإسرائيلية إلى مخيم صبرا المأهول بالسكان . وأعلنوا بمكبرات الصورة أنهم إسرائيليون ، وطلبوا من الفلسطينيين التجمع في الشارع . واستجاب البعض بينما أجبر آخرون على الخروج بتوجيه البنادق نحوهم .

واستمرت أعمال القتل الفردية بينما كان البحث جارياً ، وقام مسلحون بقطع رقبة صاحب متجر صغير كان مختبئاً في الداخل . وفي مستشفى غزة جمع الأطباء والمرضون ومعظمهم أوروبيون وأخذوا بعيداً . وعند مرور



مجموعة الأطباء على رجال الميليشيات سحبوا طبيباً فلسطينياً من المجموعة وقاموا بقتله . وفي وقت لاحق تعرفوا على ممرض فلسطيني فقاموا بإطلاق النار عليه . وأخذ باقي موظفي المستشفى خارج الخيم ، وبعد خضوعهم للاستجواب أحيوا للجنود الإسرائيليين عبر الطريق من شاتيلا . وتبعهم الفلسطينيون المدنيون الذين جمعوا في صبرا ، وكان لهم مصير مظل . وبعد أن أمر الرجال أن يسيروا بعد عربة (لاندروفر) واقفة أشار رجل إلى فصل بعض الأشخاص عن الباقين واقتيد الذين فصلوا بعيداً . ولم يعرف مصيرهم .

واقاد بقية المدنيين بعيداً بواسطة رجال الميليشيات في اتجاه (استاد بيروت الرياضي) .

وبعد انتهاء المأساة في شاتيلا ، وعند دخول أول جندي لبناني الخيم ليرى ما حدث ، وبعد مشاهدة الجنث وهي راقدة جرى إلى الخارج وهو يتقيأ .

وصباح الاثنين عند بدء تنظيف ما تركته المذبحة وبينما بدأ متطوعو الدفاع المدني حفر حفرة كبيرة لدفن قتلى شاتيلا سرى نبأ في الخيم يقول إن رجال الميليشيات سيعودون . حينئذ هرع آلاف الفلسطينيين خارج الخيم واتجهوا إلى منتصف بيروت .. وإذا خرجت من المذبحة فلن تنسى ذكراها .

موريتانيا



★ سيرة شفيط ★

● أنست مجلة « الفیصل » قبل فترة بزيارة وفد من علماء المغرب الشقیق جاء إلى المملكة العربية السعودية لدعوة المسؤولين في المملكة للمساهمة في صون آثار معالم مدينة « فاس » المهددة بالاندثار .

ونذرة هم الذين یجهلون مدينة فاس ، وجامعتها المشهورة « القرویین » وما قدمته في تاريخنا العربي والإسلامي من خدمات في مجال الثقافة والتعليم ، ونشر دعوة الإسلام السمحة ، وحمارية الاستعمار ، والحفاظ على لغة القرآن الكريم . وسوف تنشر مجلة « الفیصل » استطلاعاً تاريخياً مصوراً عن مدينة فاس مساهمة منها في الدعوة إلى صون هذه المدينة والحفاظ على آثارها ومعالمها .

وهناك مدن أخرى في العالم العربي الإسلامي في حاجة إلى الالتفات إليها ، والإسراع في إعادة الحياة إليها في وقت نحن أحوج فيه إلى الحفاظ على أصالتنا وتاريخنا وآثارنا ومعالمنا . من هذه المدن مدينتا « ميدي » و « اللحية » في اليمن الشقیق ، وغيرهما من المدن التي كانت في يوم من الأيام منائر علم ، وركائز تجارة واقتصاد ، وطرق بحرية وتجارية لها استراتيجيتها التاريخية .

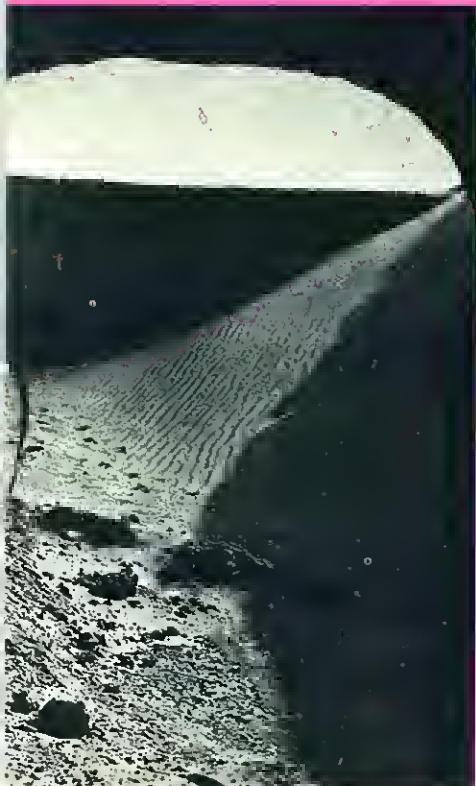
واليوم ننشر هذه السطور السريعة عن مدن في موريتانيا الشقيقة مساهمة منا في الدعوة إلى الإسراع في صيانتها ، وإعادة الحياة إليها في وقت أصبحت مهددة بالاندثار . وأملنا كبير في أن يجد هذا النداء سبيله إلى المخلصين في الوطن العربي والإسلامي حكومات وشعوباً للإسراع في إنقاذ مدنهم التاريخية .



بقلم:
د. محمد المختار ولد أبيه



★ السجد تبثله الرمال ★



★ منظر عام للمدينة ولات ★

المعارف ، فاستطاعت أن تصبح مركزاً للإبداع والإلهام ، ومصدر إشعاع لحياة دينية غنية ، ولأنشطة علمية وفنية عديدة .

لقد ازدهرت مدارسها وخرجت علماء كثيرين انتشروا في الأرض ، فأسسوا المدارس قرب البصرة في مدينة الزبير ، ودرسوا العلم في دبي ، وفي مصر والحجاز .

شنقيط

من هذه المدن «شنقيط» ذات الشهرة العالمية . عرف الناس علماءها في كل بلد ، وعرفت بها جميع البلاد . كانت تسمى «أيبر» وهو تصغير البير . وتعود نشأتها الأولى إلى منتصف القرن الثاني الهجري ، ثم ظهرت من جديد في موقعها الحالي وحملت اسم

هي مدن كانت تزخر بالحياة وتفيض بالعلم . محط رحال قوافل التجارة وطلبة الدراسة ، ومراكز تبادل البضائع والمعرفة . واليوم أنذر الجفاف باندثارها وآذنت رمال الصحراء بابتلاعها ، وذلك بعدما حملت طيلة عدة قرون مشعل الحضارة الإسلامية ، وأشمت نور المعرفة والفكر حولها ونشرته في جميع أصقاع البلاد الإسلامية . لمعت أسماء هذه المدن من المحيط إلى الخليج .

قال عنها المدير العام لليونسكو :

«إن وجود هذه المدن في مفترق فكري تلتقي فيه الأندلس بأقصى إفريقيا ، جعلها تفتح أبوابها في آن واحد لتجارة السلع ، ولتبادل



★ أبنية قرية تيشيت وتظهر صومعة الجامع القديم ★

الكبير ولد رازقه، والفقيه محمد بن المختار بلعمش صاحب النوازل الفقهية المعروفة، والعالم الورع الشيخ ولد حامي.

تيشيت

وأما «تيشيت» فقد أسسها العالم الكبير الشريف عبد المومن، واشتهرت بحق بأنها من أجمل مدن المنطقة. وتبدي الأحجار التي استخدمت في بنائها مجموعة من الألوان الخفيفة التي يضفي تأثيرها الزخرفي على هذه المجموعة رونقاً فريداً.

ويعود بناء تيشيت إلى أواخر القرن السادس الهجري، ويرد في الحكايات المتداولة بين أهلها أن الشريف عبد المومن الذي كان تلميذ القاضي عياض لما أبصر واحتها في

شنقيط (عيون الحيل) في القرن السابع، ثم ما لبثت أن صارت، كما يقول مدير اليونسكو «مركز المبادلات التجارية، ونقطة تجمع لقوافل الحجيج». وأصبحت مركزاً مرموقاً للدراسة والفكر والتعليم الديني، وملتقى ثقافياً بلغ من التأثير والإشعاع مبلغاً عظيماً إلى حد أنه ما زال يطلق على موريتانيا حتى الآن اسم «بلاد شنقيط». وقد ترسخت فيها أبرز خصائص الفن المعماري... ويبدو ذلك في جامعة ذي المأذنة البارة، التي شيدت بمجارة وضعت ببساطة بعضها فوق بعض دون أي ملاط يبتها، ولا تزال حتى اليوم صامدة لعوامل الزمن لا شيء سوى دقة ترتيبها.

وفي هذه المدينة أيضاً التي تضم مكتبة شهيرة غنية بأندر المخطوطات، عاش الشاعر

★ مدخل الجامع ★





المشهوره ، ومن أبنائها الحسن بن أغبـد
الذي ملأ الدنيا صيتاً وعلماً .

ولاية

لقد ظلت «ولاية» المنافسة الأولى لمدينة

ولم تزل هذه القرية تضم كنوزاً من
المخطوطات العربية النفيسة التي تنبئ عما
وصلت إليه تيشيت من أوج الحضارة في
القرون الماضية ، فلا ننسى أنها قرية
الشرفاء أبناء حما الله أصحاب النوازل

★ من الزخرفة في ولاية ★



من كل جانب أعجبه فقال « تي شئت » فكان
ذلك اشتقاق اسمها هذا ، مع العلم أن الخرائط
القديمة نتحدث عن نيشيت بسين مهملة .
أما سكانها الذين استوطنوها قبل الشرفاء
فهم زنوج ماسينا ، وما زالت بقية منهم
نقطنها إلى اليوم .

وقد ازدهرت الحياة العلمية في نيشيت من
عهد تأسيسها إلى نهاية القرن الثاني عشر
المجري ، حيث نزح أهلها وأصبحت قرية
صغيرة يصعب الوصول إليها ، لا تحتضن سوى
مئات من السكان يشدهم الماضي إليها غنشين
في أبنية ننداعى يوماً عن يوم .



بين سجنهاسة والسودان ، ومصر
والصحراء .

ومن الحوادث التاريخية التي كان لها الأثر
في تفوق مراكزها الحضارية هجرة علماء الطوارق
إليها حينما احتل «سوفي عالي» تمبكتو عند

السادس المجري كان ذلك بداية عهد جديد في
حياتها الثقافية .

ولما زارها ابن بطوطة بعد قرن
ونصف من هذا التاريخ ، رأى أنها
أصبحت مركز علم وتجارة ، وصلة وصل

تمبكتو في ميدان الثقافة الإسلامية ذلك أنه حينما
تصدعت أركان المملكة الغانية تحت ضغط
أمراء صوصو ، وهاجر مسلمو غانا وعلمائهم
بقيادة الشيخ إسماعيل إلى ولاتة المعروفة في
ذلك الوقت باسم بيرو ، وفي أواخر القرن

البحارة البرتغاليين في القرن التاسع الهجري .

ويعتقد أهل المدينة أن كلمة « وادان » تعني أن في هذا المكان واديين أحدهما ملىً لخلأً وقرأً ، والثاني ديناً وعلماً .

وليس من شك أن وادان ظل طيلة قرون مركزاً للعلوم والتدريس ، حتى أنه يذكر في الروايات الشعبية أنه في الإمكان إحصاء أربعين داراً متتالية في نهج واحد ، في كل منها عالم له حلقة تدريس . ومن أشهر علماء وادان ابن القاسم التتوي ١١٨٦ م ، وهو أول من درس مختصر خليل في وادان . كما أن كتاب « موهوب الجليل في شرح الخليل » كان أقدم شرح لهذا الكتاب .

ويقول المدير العام لليونسكو في ندائه : « ولكن هذه المدن التي أكملت حتى يومنا

منتهى القرن التاسع الهجري ثم صارت ابتداء من هذا التاريخ مهد علم وحضارة راقية ، فعلا كعب علمائها في ميادين الثقافة الإسلامية ، وأصبحت مدرستها الفقهية من أهم مدارس البلاد .

وقد قيل عنها : « إنها كانت في آن معاً مركزاً تجارياً مزدهراً ، ومركز علم تخرج فيه كثير من العلماء ، وقد عاش فيها الفقيه محمد يحيى الولاتي ، ومحمدي ولد سيدي عثمان . وهذه المدينة التي نعتبر ورشة غبكتو ، والتي تشتهر هندستها المعمارية بـ « زخارفها المتميزة » .

وادان

لقد عرف « وادان » في المراجع الأوروبية يهودن هكذا كان اسمه عند



★ من مباني شنتيف ★

★ من بيوت وادان المتداعية ★





▲ من مبال نيشيت ★

«فالمشكلات المالية والفنية التي يشيرها تحقيق الأهداف التي حددتها السلطات الموريتانية تتجاوز بالفعل إطار الجهود التي يمكن بذلها على الصعيد الوطني . وهي تقتضي وتستحق تعبئة واسعة النطاق للموارد على الصعيد العالمي . لذلك طلبت الحكومة الموريتانية من اليونسكو دعم جهودها عن طريق دعوة جميع الدول والشعوب إلى التضامن معها .

«وإني أتمنى أن يلقى هذا النداء بدوره أذاناً صاغية . وأرجو أن ترقى المساهمات إلى مستوى الآمال الكبار التي تحدد اليوم مختلف فئات السكان والسلطات الموريتانية ، وأن يتسنى بذلك صون أربع مدن حفظت بين ربوعها طيلة سبعة قرون من الزمان سرّاً من أسرار مستقبنا ، ألا وهو ازدهار كل فرد بفضل التضامن بين الجميع » .



هذا بفضل حيوية سكانها وإبداعهم ، رحلة امتدت سبعة قرون ، يتهدها اليوم خطر الاندثار تحت الرمال . فبعد أن تحولت الطرق التجارية وطرق القوافل التي كانت تمر بها ، تضاعف ازدهارها رويداً رويداً ، ونضبت شيئاً فشيئاً شبكة المبادلات الضخمة التي كانت تغذي أنشطتها الخاصة . وبعد ذلك أحدثت فترة الاستعمار ، التي نقلت مراكز اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية إلى المدن الجديدة ، وأحدثت تحولات في أساليب الإنتاج والاستهلاك ، اعتزازاً مطرداً في البنى التقليدية للمجتمع الموريتاني .

«ومن جهة أخرى ألحقت فترات الجفاف الطويلة بالمدن أضراراً بتعذر إصلاحها . ولقد أصبحت ، وقد رحل عنها جزء كبير من سكانها ، نهباً لزحف التلال الرملية الذي لا يرحم ... وهذه المدن يجب إنقاذها .

▼ راحة وادان ★





متحف ماوراء البحار بالمانيا

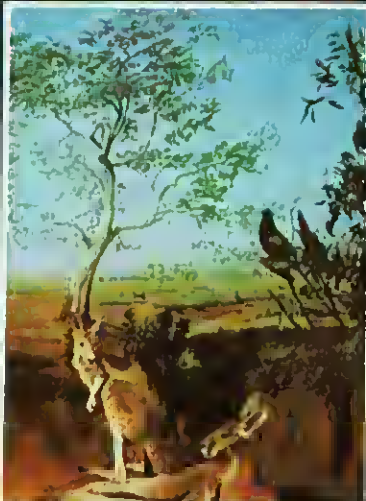
إعداد: د. الصفصافي أحمد المرسى

المنطلق، معهد بحث،
ودراسة وتشقيف للباحثين
والباحثين عن المعرفة.

والصناعي، والفني،
بأساليب عرض جذابة.
ويعتبر المتحف من هذا

ومجموعات التاريخ
الطبيعي، أو الصور،
وتطور التقدم العلمي،

المتحف، منشأة
علمية، وثقافية، هدفها
عرض التراث الإنساني،



★ نموذج لركب تمهاري عام
١٩٠٠ م ★

★ نموذج لبيت سكنية منذ عام
١٩٠٨ م، بغيا الجديدة ★

★ نموذج لحديقة مسالاة، بها
كنجاسو أحمر، وطائر
الكاكادوس .. موطنها جنوب
أستراليا ★

نصف قرن من بلاد اقطاعية
مفككة اجتماعياً واقتصادياً
ومتخلفة إلى أهم دول أوروبا
الغربية حرياً واقتصادياً واستمر
التوسع الاقتصادي الصناعي
والتجاري السريع ، وأضيفت إليه
برامج التوسع الاستعماري
والبحري والتجاري في عهد وليم
الثاني فشكل ذلك رخاءاً
اقتصادياً وثقافياً وصل ذروته في
عام ١٩١٤ م ، وفي تلك الفترة
شهدت ألمانيا نهضة ثقافية ورغبة
طموح في التعرف على شعوب
البلدان الأخرى .

من هذا المنطلق ظهرت فيها
مجموعة كبيرة من المتاحف التي
تتم بالشعوب البعيدة والتي
تسمى « ما وراء البحار » .
والمتحف الذي نصحبك إلى
زيارته اليوم في مدينة
« برمان » بشمال « ألمانيا
الاتحادية » . كتب على لوحته
التي تتصدر الساحة [متحف
ما وراء البحار] ، وقد
تأسس عام ١٨٩٦ م ، بناءً على
قرار مجلس شيوخ المدينة . . وهو
في الأصل يختص بما يتعلق
بالتجارة وشؤونها .

ومدينة « برمان » هذه إحدى
المدن التجارية الهامة ولها تبادل
تجاري مع شعوب ما وراء
البحار . وقد احترف سكانها
التجارة فركبوا البحر وارتبطت
حياتهم بالتجارة . . وقد استأثرت
هذه المهنة والحرفة على جماهير
« برمان » أثناء المد الاقتصادي . .
فتجمع التجار ليشكلوا نواة
متحف ضم كل ما جمعه من

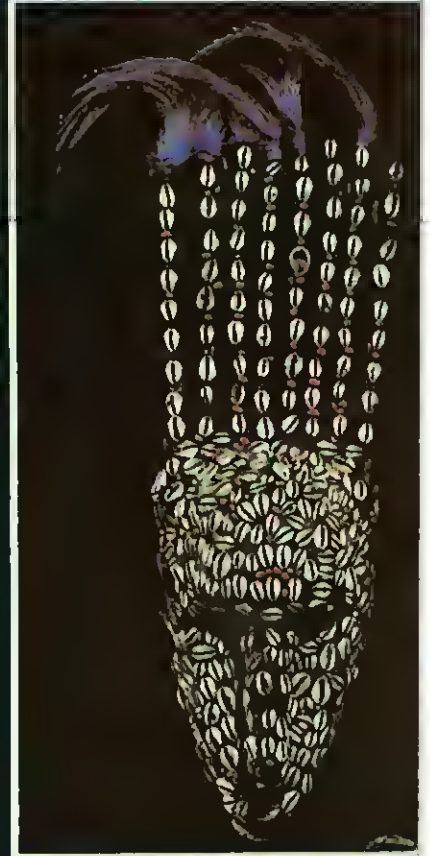
★ فن القناع من النحت
الإسبريق على شكل
غوزة - جنوب وسط
زائير ★



جرمي ، لكنها ظلت اتحاداً مكوناً
من ممالك [بروسيا -
وسافارسيا - وفوتنبورج -
وسكسونيا] ودوقيات كبرى مثل
[بادن ، هسن ، ساكس] .
تطورت ألمانيا في مدى

ملك بروسيا إمبراطوراً على
ألمانيا سنة ١٨٧١ م ، وضمت
الإلزاس واللورين للإمبراطورية
الجديدة ، واتحدت تحت حكم
مشترك ومجلس « دياط » اتحادي
عُرف بالريشتاخ واتحاد

★ نموذج آخر لحديقة يابانية ،
والشيتو Shinto ★



★ قناع « ميارا » الخاص بملوك الأسرار
والشعر المدنية (الكوري) التي تسمى وجه القناع ★

على هذا الأساس شهدت
المدن الألمانية - كغيرها من المدن
والعواصم العالمية - كثيراً من
المتاحف التي تطورت في القرن
الأخير ، وتعددت ، وتخصصت
في أهدافها وأصبحت من أهم
وسائل نشر الثقافة والمعرفة .
وفي نهاية الحرب الفرنسية
البروسية أعلن وليم الأول

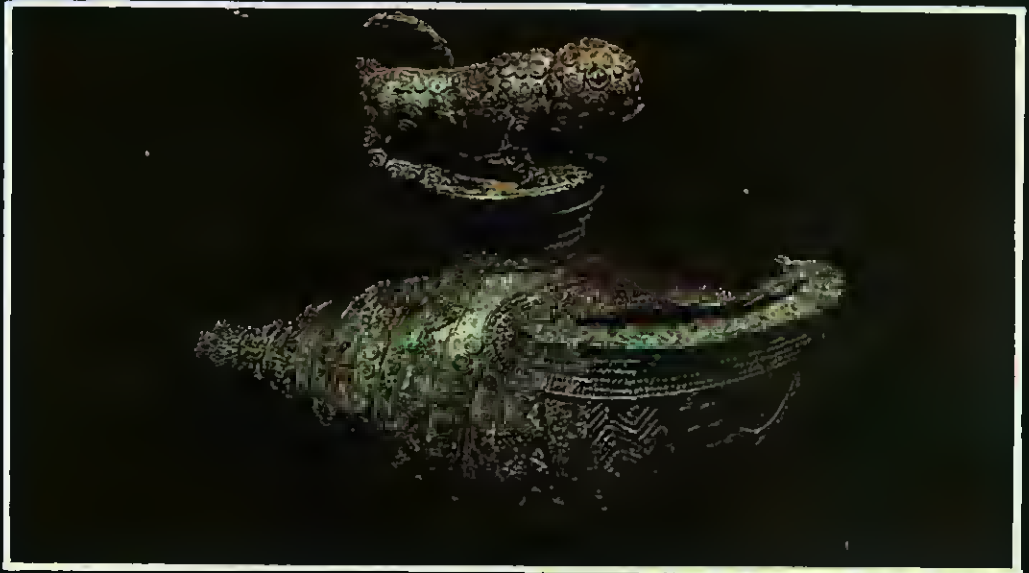
●● الطابق الثاني :

خصصت أجنحته لـ «إفريقيا» و «أمريكا» ولم تنس «ألمانيا» نفسها، فخصصت الطابق الثالث لمعارضات شمال ألمانيا.

والاهتمام الغالب على المتحف هو الطابع التجاري، وإن كان يحتوي في عروضه على النواحي الحضارية المقارنة بين ما تركته الشعوب وغط الحياة في تلك الدول وتطورها العلمي لتكتمل الصورة.

ويقرر المسؤولون عن المتحف أن الهدف من فكرته هو إعطاء فكرة تاريخية عن حياة الشعوب فيها وراء البحار، وليمكن الزائر والشعب الألماني وأطفاله من مشاهدة بيئات الشعوب الأخرى بشكل يقرب من الواقع.

والجدير بالملاحظة في هذا المتحف أنك في الوقت الذي تسمع فيه موسيقى الشعوب المعروضة حياتها أمامك تستطيع أن تطالع «صحفها» وتشاهد «فنونها» عن طريق المسجلات الصوتية والمرئية دون أن تكلف نفسك عناء السفر لتلك المناطق.. وهذا المتحف ربما كان يحكم اهتمامه الأساسي بالتجارة وما يتعلق بها، من المتاحف القليلة النادرة في العالم.. وقد استطاع القائمون عليه إضافة كثير من العروض إلى جانب الموسيقى حتى يتمكن الزائر من الاستمتاع بما يشاهده.



★ وعاء من البرونز .. لعله سراج؟ .. (نيجيريا) ★

بين جنباته وأقسامه «موسيقى الشعوب». وقد قسم المتحف إلى طوابق ثلاث:

●● الطابق الأول :

يحتوي على معروضات من «أستراليا» و «آسيا» و «نيوزيلندا».

التكاليف وتكفل المجلس بالنصف الآخر.

وبالرغم من أن جزءاً من هذا المتحف قد نالته يد الدمار في الحرب العالمية الأولى والثانية إلا أنه قد أعيد بناؤه.

والمتحف مجهز تجهيزاً خاصاً لتسمع وأنت تتجول

معلومات عن الحياة والمعرفة حول العالم، ويشمل نظرة عامة على نمط حياة شعوب ما وراء البحار، وقد كان هذا بالجهود الفردية والدائية في بادئ الأمر، ثم عندما تدخل مجلس شيوخ المدينة وقرر المساهمة في إنشاء هذا المتحف، دفع التجار نصف

★ هذان الرأسان يتجاسمان، مقارنة بين الحضارات، على الهيكل رأس من صلبان وودي اللون لأمون حوالي ١٣٥٠ ق.م. وإلى اليسار من أودو (نيجيريا) ويرجع في الغالب إلى القرن ١٥ م ★



وداعاً.. أيها الكروان!

أول ما سكنت هذا الحي من خمس عشرة سنة كنت أسعد بشدو الكروان في الليل . هذا الطائر الجميل الأبيض الذي لا يخلو له التحليق في الجو إلا في الليالي المقمرة . كان يسعدني بصوته . كانوا يقولون لنا ونحن صغار إن انشاده يقول : الملك لك لك يا صاحب الملك . كانت هذه الكلمات تتوافق مع صوت هذا الغريد الذي يفوق صوته صوت البلابل . كنت أفهمه وأحس وقع صوته في قلبي لأنه كروان والكروان مصري فهو عربي ، أما البلبل فهندي وشدوه هندي ولهذا فلست أفهمه بل لا أحبه . كان قلبي ينشد مع الكروان : الملك لك لك يا صاحب الملك .

كان بيتي محاطاً ببيوت جميلة ذات حدائق . كانت منيات (بضم الميم) والمنية في لغتنا العربية هي الفيلا ، فالمنية هي القصر الريفي الذي كان سراة العرب ينشؤونها في الأرياف بين الخضرة . كذلك كانت الفيلا عند الرومان واسمها الكامل فيلا روستيكا أي البيت الريفي . كانت تلك القصور جميلة كالحدايق التي تحيط بها . إنها قطع فنية معمارية أنشأها باشوات العشرينات والثلاثينات . كان ذلك عصرأ ذهبياً في مصر . عصر رخاء وهدوء واستقرار اجتماعي عظيم . كانوا سراة يسوسون الأمر في هدوء وحكمة ، وكان فيهم ترفع ، لكنهم كانوا يتطلعون إلى كل ما هو رفيع جميل . كنا ونحن شباب لا نحبه لأن عصرهم كان عصر الاحتلال . كانوا يعيشون مثل الكروانات التي تصدح فوقهم : يغفون دون أن يشعروا بالدنيا من تحتهم . كنا لا نحبه ، وربما كنا على حق ، ولكننا اليوم نبتكهم . بعد أن شاب شعرنا وفهمنا الدنيا أصبحنا نردد مع الشاعر العربي القديم :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهلهم سادوا

شيئاً فشيئاً أخذت أصوات الكروانات تقل . لم أفهم السبب أول الأمر ثم عرفت بعد فوات الأوان . المنيات من حول بيتي تختفي وتقوم مكانها ، وعلى مساحتها الكاملة بما في ذلك الحدائق طفرت في الجو العمار الضخمة : مكعبات من الأسمنت والحديد والألومينيوم والبطوب والرخام الصناعي والزجاج . زالت الحدائق وأشجارها الجميلة ، ولم تجد الكروانات أشجاراً تمسح فيها فاخفتت . بدلا من شدو الكروان أصبحت اسمع صخب شرائط الاستريو من تلك العمار الجديدة . غابات هوائيات التلفاز حلت محل الأشجار .

مع اختفاء الأشجار والحدائق اختفى الربيع وتلوثت زهور الصيف ووروده . كلها ذهبت إلى حيث ذهب الكروان . قال لي واحد من أصحابي : الحضارة في زحفها قضت على ذلك كله . قلت : هذه ليست حضارة . إنها تخريب . عمار الأسمنت هذه أشباح رهيبة قضت على كل ما هو إنساني ورفيع في حياتنا . أمام العمار اصطفت السيارات وتصاعد البنزين . غلب الصفح هذه تسد علينا الطريق وتسمم الجو . إذا استمر الحال على ذلك فسيجيء قطعاً اليوم الذي تختفي نحن فيه أيضاً كما اختفت الكروانات والأشجار والزهور . لا أنسى يوماً من أيام الربيع من خمس سنوات ، عدت من رحلة طويلة في أوروبا . كانت متعتي الكبرى في الصباح أن أتناول الإفطار في شرفتي وتحت بصري حديقة أنيقة في قصر صغير جميل على ضفة النيل . روعني أن أجد أن حديقتي الحلوة قد زالت ورايت مكانها هيكل أسمنت مسلح يصعد ، وعشرات العمال صاعدون هابطون . اختفى جانب عظيم من جوانب المتعة في حياتي . الآن اكتملت هذه العمارة واختفى وراءها النيل الجميل . في موضع الجنة الصغيرة قامت عمارة هائلة تحجب عنا النور والهواء وتكتم أنفاسنا . هذه ليست حضارة . إنها زحف همجي رهيب . هؤلاء الناس الذين يسكنون في هذه العمارة من أين أتوا؟ كلهم أحداث مال وطارئون على عالم الغنى . إنهم همج وأولادهم همج أسوا . لقد داسوا بأقدامهم الحضرة والجمال والأشجار وقتلوا الكروان . إنهم شياطين تسمع الاستريو وتقتل حياتنا بهذا الشيء العجيب الذي يسمونه فناً !! .

ولكن لا بأس . هنا ركن صغير بين العمار أرى منه قطعة من النهر وتنفذ إليّ منه أشعة من نور . انشأت في هذا الموضع الصغير حديقة متواضعة : أصصر زهر وأشجار ظل . هنا أيضاً وضعت شجرة ورد لأنني لا أستطيع أن أحيي إلا إذا كانت بقربي شجرة ورد . الورود عندي أجمل الزهور . إنها أنيقة أرستقراطية مترفعة ، وهي عاطفية أيضاً . إن شجرة الورود تنمو بالحُب : لا بد أن ترعاها وتسقيها وتجلس إليها بين الحين والحين لكي تأنس إليك . ويدون أنس لا ينمو الورود . لا يعرف الناس أن هذه الزهور والأشجار الصغيرة كلها تحتاج إلى حب . إنها تأنس لمكانها ، فإذا نقلتها من مكانها أو إذا أسأت معاملتها ذبلت وماتت . إنني أرفع شجيراتي وأجلس إليها وأحدث معها ولا أترك العناية بها لخادم أبداً . أحياناً ، عندما تطول غيبتني في السفر أجد أنها أخذت تذبل ثم تدب فيها الحياة عندما أعود .

هذه الحديقة الصغيرة هي عزائي اليوم ، إنني أجلس إليها في الصباح وبعد الظهر وأتناول الشاي وأنا أحدث معها . من أسف أن الكروان لن يعود ... هذا الصديق الكريم مضى لأنه في حاجة إلى أشجار وسماء صافية وضوء قر . هذه كلها اختفت فلم يعد له مكان . لا بد أنه هاجر إلى موضع آخر لينشد فيه بصوته الجميل في الليالي المقمرة : الملك لك ، لك لك يا صاحب الملك .

د. حسين مني سر

وظيفة الجامعة في العالم العربي



مع أن الغاية الأساسية للجامعة لم تتغير مع الزمن ، وقد بقيت دائماً على ما كانت عليه في أي وقت من الأوقات وهي «نقل المعرفة وتطويرها بشكل يساعد في تهذيب الفكر والسلوك الإنساني» .

إلا أن ترجمة هذه الغاية إلى أهداف محددة ووظائف تفصيلية للجامعة قد حلت في طياتها الكثير من القضايا التي كانت تثير الجدل ، وذلك لأن الترجمات كانت تعكس فلسفة المجتمع الذي توجد فيه الجامعة ، وحاجات ذلك المجتمع ، وتطلعات ممول الجامعة ، كما كانت تلك الترجمات تعكس أيضاً الآثار التي تركها تقدم العلم الحديث ، واستخدام المنجزات التكنولوجية في ميسادين متعددة ، والتفجر السكاني مع ما رافقه من زيادة في الإقبال على المعاهد العلمية ، إلى غير ذلك من المؤثرات .



بقلم: د. سامي عريفيج



أغراض التعليم الجامعي

ويستطيع المتتبع لأغراض التعليم الجامعي والعالي في بلدان كثيرة أن يلمس اختلافات لافتة للانتباه، وحتى لا ندخل في مناقشات طويلة دعنا نتجاوز موضوع الاختلافات في الأغراض باختلاف البيئات لنقف عند ما هو متفق عليه، ولنسلم جدلاً مع (جاسبرز) كما جاء في كتابه The Idea of The University بأن هناك ثلاثة أمور لا بد وأن تتطلب من الجامعة وهي: التدريب على مهنة، البحث العلمي، والثقافة العامة. لأن الجامعة هي المدرسة المهنية، ومعهد البحث، والمركز الثقافي في آن واحد. وإن من يحاول دفع الجامعة لأن تختار بين الوظائف الثلاث، أو من يحاول دفعها لأن تصبح ثلاثة مراكز أحدها للتدريب المهني، وآخر للتعليم، وثالث للبحث يكون قد جرها إلى الانتحار لأن حياتها تقوم على تفاعل الوظائف الثلاث وتكاملها.

إعداد الطالب

أما فيما يتصل بإعداد الطالب الجامعي لأن يكون مهنيًا وعضوًا في حياة مهنية، فهذا أمر تقتضيه طبيعة المجتمعات، التي تتطلب أن يكون للفرد في المجتمع دور في التقسيم العام للعمل، ولا يمكن أن يعق خريج الجامعة من أن يأخذ دوراً يكسب عيشه من خلال تأديته

السياسي

بدلاً من أن يعيش عائلة على غيره . وبما أن الإنسان لا يستطيع أن يؤدي دوره على خير وجه إن لم يتلقَ تدريجياً يتفق مع مواصفات ذلك الدور ، فقد تصدت الجامعات لهذه المهمة منذ نشأتها ، إذ اهتمت (بولونا) في العصور الوسطى بتخريج القانوني ، كما اهتمت (سالرنو) بتخريج الطبيب ، و (باريس) بتخريج معلم اللاهوت أو الفلسفة والأدب . إن هذه المهن ومهن أخرى غيرها مما تكفلت الجامعة بالإعداد له تتطلب معرفة متخصصة تحددها طبيعة المهن نفسها ، بحيث يصل الشخص في مستوى إلمامه إلى الحد الذي يساعده على أن يشق طريقه إلى اكتشاف أسرار مهنته ، على أن يكون ذا بصيرة واعية فيما يتصل بمواجهة المشكلات الميدانية التي تعترضه في أثناء ممارسته لمهنته بحيث يتمكن من إيجاد الحلول الذكية لها .

والتفحص لطبيعة المهن التي تعد الجامعة طلبتها للقيام بها ، كما يقول (جاسبرز) : « يجد أنها من ذاك النوع الذي لا يكفي فيه أن يلم الشخص بالمعلومات والمعارف المتحصلة في ميدان تخصصه حتى يصبح سيد عمله ، بل يحتاج إلى إعداد يساعده على أن يتم باستمرار من خلال ممارسته للعمل » لأنه يمارسه من خلال عقلية علمية تولدت في رحاب الجامعة ، حيث يتعلم الإنسان أن العلم لا يتجزأ ، وأن العلم إن كانت له بداية فليس له نهاية ، وأن الحلول التي يتوصل لها الناس ليست حلولاً نهائية ، بل أفضل الحلول الممكنة إلى حين .

ومن هنا يرى الجامعي ضرورة للسؤال باستمرار ، وضرورة للبحث والتجريب ، وضرورة لتوسيع دائرة معارفه . وهذا ما يساعد على النجاح في عمله كطبيب أو معلم أو قاض أو محام ، فكل واحد من هؤلاء لا يتعامل مع مشكلة بعينها ، بل يتعامل مع الإنسان ككل ، وكل إنسان حالة فريدة في نوعها ، وكل مشكلة إنسانية تعتبر جديدة في نوعيتها ، مما يجعل معالجة أي مشكلة في حقل التعليم أو الطب أو القضاء لا تحل بمعادلة معروفة بل يستدعي دراسة حالة وتجريب ، وبحث مستفيض يقود إلى

ابتكار حلول ، وبالتالي إلى إنتاج معرفة . وهذا الأمر يقودنا إلى الوظيفة الثانية من وظائف الجامعة ، وهي البحث العلمي .

البحث العلمي

لما دامت الجامعة لا تعتمد في تدريب المهنيين على تلقينهم مجموعة المعارف المتحصلة في ميادين التخصص وحسب ، بل تفترض فيما تفترضه أن الإعداد يتطلب إلى جانب المعرفة توليد القدرة على طرح السؤال ، واختيار الفروض ، والدراسة العلمية المنظمة ، وابتكار الحلول . فعنى ذلك أنها لا بد أن تهتم بإنتاج العقلية الباحثة ، ومن هنا تأتي الضرورة لأن يزدهر البحث العلمي في الجامعة ، فيكون التعليم فيها متخذاً أسلوب البحث العلمي ، حتى إن بعضهم قال : إن المواد الدراسية التي لا تقبل البحث يصعب اعتبارها جزءاً من المنهج الجامعي . بل إن بعضهم قال : إن التعليم في الجامعة لا بد أن يبدأ بالبحث .

والعلاقة واضحة بين تعلم النظريات وبين ابتداعها ، وما نسميه بالحقائق العلمية ليست حقائق ثابتة مطلقة قد بلغت حد الكمال النهائي ، بل إن الصفة الغالبة عليها هي كونها حقائق نسبية معرضة للتغيير والتبدل . ولذلك كان لزاماً على الجامعة أن تفحص هذه الحقائق وتحاول إصلاحها ، كما أن الجامعة مكلفة أيضاً بحكم دورها في المجتمع صياغة الحقائق المتحصلة في صيغ علمية مناسبة تيسر الإفادة منها في الحياة اليومية . أي القيام بالبحوث النظرية وكذا التطبيقية المتصلة بالمتطلبات الناشئة عن المجتمع .

والجامعة تبعاً لملاحظات Ben David تستطيع من خلال البحث العلمي - الذي يقوم على العمل فيه نخبة ممتازة من الأساتذة مع من يعاونهم من الطلبة - أن تختصر المسافة الزمنية بين إنتاج الأفكار وبين تحويلها إلى مشروعات قابلة للتطبيق .

ويتصل بوظيفة البحث العلمي السابقة وظيفة إعداد الباحثين ، فالجامعة الناجحة في تهيئة جو البحث العلمي يمكنها أن تدرب في

هذا الجو جماعة من الشباب الخريجين الذين تتوفر فيهم القدرة والاستعدادات والسمات المزاجية التي تمكنهم من متابعة البحث ، وبمضى لهم طريق النجاح فيه . وبذا توفر لنفسها من يستطيع أن يغذيها بالباحثين والمدرسين وإلانتاج العلمي . وحتى لا تطيل في هذا الموضوع نتقل إلى الوظيفة الثالثة من وظائف الجامعة وهي الثقافة .

الثقافة

إن الثقافة في بعض مظاهرها صفة عقلية في الشخص المتعلم تتمثل في تكوينه العقلي ، وفي استقامة تفكيره ، واتساع أفقه وحبه للعلم . والعنصر الثاني من عناصر الثقافة هو تمثل الشخص للعلم الذي يدرسه مثلاً يجيله إلى جزء من كيانه العقلي والنفسي . والعنصر الثالث من عناصر الثقافة هو أنه مهما كان تخصص الشخص فإياه ينبغي أن يكون ملماً بالقضايا الكبرى للعلوم ، وما أحدثته من أثر في التفكير الإنساني . أما العنصر الرابع فيتلخص في أن المثقف ينبغي أن يكون في مستوى العصر الذي يعيش فيه .

وهذه مسؤوليات لا يستطيع أي معهد آخر سوى الجامعة أن يقوم بها ، فالمدرسة العليا تستطيع أن تعلم الشخص مهنة ، ومراكز البحث والمؤسسات الصناعية قد تستطيع أن تمارس عمليات البحث . ولكن الجامعة وحدها هي التي تستطيع أن تدمج وظيفة الإعداد بوظيفة البحث ، وتتصدى بالتالي للرسالة الثقافية .

إن الجامعة بطبيعتها وحدة واحدة ، وهذه الوحدة لا تستمد من كونها إدارة واحدة . ففكرة الجامعة تسبق فكرة الإدارة الموحدة ، ففكرة الجامعة تأتي أولاً ومنها تنفرع كل كلياتها وأقسامها التي تخدم هذه الوحدة ، وتؤدي إلى استمرارها والاحتفاظ بها .

قد تختلف في الجامعة وظيفة كلية الصيدلة عن وظيفة كلية الفنون الجميلة ، ولا تستطيع كلية الصيدلة أن تعلم الفنون الجميلة ، ولا الفنون الجميلة أن تعلم

الصيدلة ، ولكن هذه الكليات جميعها تؤدي رسالتها باعتبارها كلاً واحداً هو الجامعة . إذن يمكن أن تفهم الجامعة على أنها كل لا يتجزأ ، وأنها في عمومها تمثل الثقافة وفي خصوصها تمثل التخصص البحت .

فالطالب الذي يدرس الحقوق ، والطالب الذي يدرس الآداب ، والطالب الذي يدرس العلوم على تباين تخصصهم ينبغي أن يشتركوا جميعاً في ثقافة واحدة ، حتى يتخرجوا جميعاً أبناء جامعة واحدة .

ولمعالجة مشكلة الثقافة في الجامعات
تلجأ الكليات الأساسية في الجامعات إلى تخصيص العاملين الأولين للثقافة العامة . كما تسير أغلب الجامعات على نظام يسمح للطالب بأن يختار فوق فرع تخصصه الأساسي مسافات أخرى تعتبر جزءاً مكملاً لمتطلبات منح الدرجة العلمية ، وهذه المسافات قد تكون أدبية ، أو علمية ، أو تربوية ، أو اجتماعية ، لكنها على أية حال فرصة للتوسع أفقياً في الثقافة مما يهيئ فرصة للمزج العقلي والمعرفي لدى الطالب .

وتذهب بعض الجامعات إلى ضرورة عقد الندوات العامة والمحاضرات . كما تلجأ بعض الجامعات إلى تشجيع النشاطات الثقافية والرياضية والمعارض إلى غير ذلك من الأمور التي تقود إلى احتكاك طلبة الجامعة بعضهم مع بعض ومع أسانذتهم ، وبالتالي مع مجتمعهم . بل إن البعض صار يفكر بأن يكون الإعداد للمهن المختلفة في كلية واحدة بدل أن يكون في عدة كليات .

الجامعات العربية

ولو سألنا الآن بعد هذه السياحة العلمية عند وظيفة الجامعات في العالم العربي اليوم ماذا تكون؟ وما الظروف التي تخلي عليها أن تتخذ لنفسها هذه الوظيفة أو تلك؟ وما الإمكانيات التي يمكن أن نسمح لها أو تعيقها عن الاضطلاع بالأدوار التي أتينا عليها؟ .

لو سألنا هذه الأسئلة لقلنا إن الجامعات العربية الحديثة كلها ، وكما يفهم من دساتيرها

قد نظمت حين تأسيسها إلى أهداف لا تقل في محتواها ، ولا توحى بمضامينها بأنها يمكن أن تقتصر عن القيام بهذا الدور أو ذاك .

ولقد كانت الظروف المحيطة بنشأة الجامعات الحديثة في العالم العربي نبرها التصدي مبدئياً للقيام بمهمة إعداد الاختصاصيين والمهنيين ، إذ وجدت الجامعات العربية نفسها تولد في مجتمعات تعوزها الأطر (الكوادر) البشرية المؤهلة تأهيلاً عالياً . فاستجابت الجامعات للحاجات ، وفتحت باب القبول على نطاق واسع ، وحشدت في داخلها الألوف من خريجي المرحلة الثانوية ، وحملت نفسها مسؤولية الإعداد بالجملة ، وبالانتساب أو قل بالمراسلة ، واضطرت أحياناً أن تفتح وكالات لها في داخل الإقليم أو خارجه ، وتكاثر قبل البلوغ ، وقفز بعضها بسرعة من مرحلة الطفولة إلى الكهولة دون المرور بالمراحل الوسيطة وو... إلخ . وكان ذلك كله وسط جو حاسي يُرفع فيه لواء مسابقة الزمن ، واستعجال الخطوات اللازمة للتخلص من عقدة (الخبير الأجنبي) .

لقد كان الحساس منقطع النظر أحياناً فاد الجامعات في بعض الأقطار العربية إلى حنفها ، وقلل من شأنها وشأن خريجها حين وجدت نفسها تقذف إلى خارجها بقوافل الخريجين الذين لا ينتظرهم أحد . فبدب الذعر بين صفوفهم حال استلام وثائق التخرج . فهذا يهاجر إلى مناطق العمل ، وذاك ينخرط بوظيفة لا تتطلب مؤهلاته ، وآخر يلجأ للرشوة ، وثالث يقعد عاطلاً عن العمل يندب حظه لأنه لم يفلح في اختيار تخصص مناسب للسوق . وهذه نتيجة لو أبصرتها الجامعة لأغضت جفنيها .

إن الجامعة ليست معهداً ينجح في أداء دوره حين يعد المتخرج لوظيفة متخصصة ، وهي وإن كانت تشارك المعاهد في هذه الوظيفة فإن لها رسالة تنفرد بها تجعلها تتميز بالنظرة الشاملة إلى وحدة المعرفة وتكاملها ، والالتزام بنقل المعرفة وتجديدها « البحث العلمي » ، والتصدي لقيادة المجتمع

بدل الوقوف عند خدمته . وتكون الجامعة قد قصرت في عملها إذا كان هدفها فقط هو إعداد المهنيين ، فهذه وظيفة المعهد وليست وظيفتها ، فنتاج المعهد هو خريجوه ، أما نتاج الجامعة فالعلم والبحث . والجامعات العربية في غمرة حماسها قد نسيت وظائفها في التثقيف والبحث العلمي . . . ولذلك وقعت في المآزق التي واجهها بعضها وواجهها البعض الآخر لا سمح الله إذا لم يتم تفادي الموقف .

إن خريج الجامعة يستأنس إلى الثقافة التي يتزود بها ، وينتصر للعلم الذي يتزود به ، ويرتقي بمجتمعه وإمكاناته حين يصبح فاعلاً بصورة حقيقية في ميدان البحوث العلمية . إن خريج الجامعة لا يكون عالة على المجتمع إلا إذا كانت الجامعة نفسها غريبة عن مجتمعها ، وكان وجود الطلبة فيها كوجود المسافرين في وسيلة النقل بدخلون فيها على أمل الخروج منها .

إن الجامعات العربية قد نسيت في غمرة الحساس أن لها دوراً تربوياً ، وأن مفهوم التربية أوسع من مفهوم التعليم ، نسيت أن لها دوراً تثقيفياً ، وأن التثقيف لا يقتصر على من هم داخل الجامعة ، بل يمتد إلى المجتمع الذي توجد فيه . نسيت أن الجامعة بالأساس مركزاً للبحوث العلمية لأن التعليم الجامعي يقوم على البحث العلمي . وإن البحوث العلمية يمكن أن تفجر المجتمعات وتنقلها من حال إلى حال ، بحيث تصبح مجتمعات الجامعة بكل معنى الكلمة .

الهوامش

- (١) كلارك كير : نظرات في التعليم الجامعي .
- (٢) محمد الهادي عفيف : الاتجاهات المعاصرة في التعليم الجامعي .
- (٣) كامل عباد : ماهي الجامعة .
- (٤) ستوارت ماكلور : من التعليم الجمعي إلى التعليم العالي للتجديد .
- (٥) جميل صليبا : مستقبل التربية في العالم العربي .
- (٦) أحمد حسين عبيد : فلسفة النظام التعليمي .
7. Jaspers: The Idea of University/ 80 A. Flexner: Universities.
8. H.P. Montague: The Historic Function of The Universities.
- 9- Christopher Driver: The Exploding University.



العلاقات التجارية بين البلاد العربية

قبل الإسلام وبعده حتى العصر العباسي

بالتجارة بين الشرق والغرب وقد فعلوا ذلك ، وقال رينود إن العرب باشتراكهم مع الفرس في ميدان التجارة العالمية قد تمتعوا في هذه السواحل الهندية السندية حتى القرن الرابع عشر الميلادي (السابع الهجري) بالنفوذ الذي تمتع به البرتغاليون من بعدهم .

ويذكر التاريخ القديم أن أول قوم خاضوا البحار وتاجروا فيها هم الفينيقيون وهم من العرب القدماء وكان ساحل الشام بمثابة ميناء مركزي لهم في البحر الأبيض المتوسط ، كما اتخذوا من ميناء البحرين ميناء رئيسياً لهم في البلاد الشرقية ، وكانوا أيضاً يتجهون بسفنهم التجارية الكبيرة من ساحل الشام إلى سواحل اليونان وأوروبا وشمال إفريقيا ، وهناك أقوام أخرى عربية سكنت منطقة الشام واشتهرت بالتجارة في البحار كالكنعانيين والآراميين وغيرهم .

لم يكن يفصل بين البلاد العربية وبين بلاد السند وبلاد الهند إلا البحر ، ولكن هذا البحر نفسه كان يربط بين الطرفين بطرقه البحرية وموانئه الكثيرة ، وبما أن البلاد الواقعة على شواطئ البحار تكون تجارية ، فلذلك كان البحر أول حلقة وصل بين العرب وبين أهل السند والهند ، فنذ آلاف السنين كان تجار العرب يأتون إلى سواحل بلاد الهند والسند ، وينقلون منتجاتها وثمارها إلى البلاد العربية بل أيضاً إلى أوروبا عن طريق مصر والشام ، وبالتالي كانوا يوصلون البضائع العربية والأوروبية إلى بلاد السند والهند والصين ، وكان هذا الطريق التجاري الهام في أيدي العرب لقرون طويلة قبل الإسلام وبعده .

وكذلك ذكر بعض الباحثين أن الروابط بين البلاد العربية والقارة الهندية بما فيها بلاد السند كانت روابط قديمة جداً ، فالملك سليمان كان يستورد الذهب والفضة والعاج والطوايس من بلاد الهند والسند ، كما كانت في الإسكندرية جالية هندية قد ذبحت بأيدي جماعة «كاراكالا» الهندية في أوائل القرن الثالث الميلادي ، وكان من الطبيعي أن يهتم العرب

العلاقات التجارية قبل الإسلام

وقد ورد في التاريخ أن الذين كانوا يسيرون بالقوافل التجارية قديماً في الشرق كانوا عرباً من ذرية إبراهيم عليه السلام ، ومن بعد عهد يوسف عليه السلام إلى عهد ماركوبولو وداسكو دي جاما كانت البلاد العربية أسواقاً عظيمة لمنتجات بلاد الهند والسند .

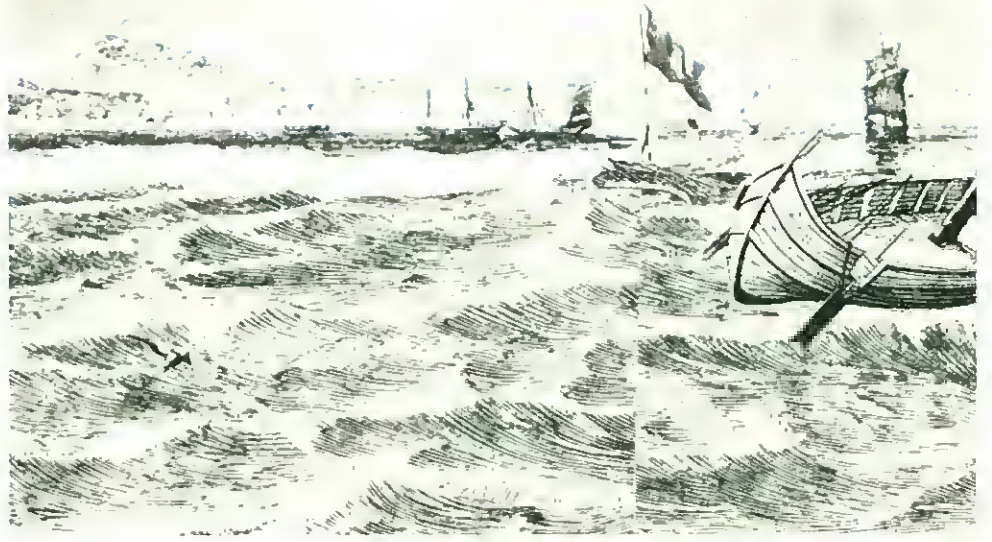
على هذا الساحل الطويل لبحر العرب ، بل كان العرب يذهبون إلى خليج البنغال وبلاد الملايو وجزر أندونيسيا ، حتى كُونُوا لهم جاليات في بعض ثغور هذه البلاد ولا سيما على سواحل جنوب الهند وسواحل خليج البنغال .

أهم موانئ بلاد الهند والسند قديماً

لقد بدأت تشتهر أسماء موانئ الهند والسند والبنغال منذ القرن الأول الهجري حتى القرن الثالث الهجري ، وذلك قبل عهد العرب بقليل ثم في عهدهم ببلاد السند ، وبعد ذلك بقيت الأسماء مستعملة معروفة إلى يومنا هذا ، وكان أهم الموانئ في نظر العرب بعد خليج العرب ، مثل ميناء تين بإقليم مكران ، وميناء الديبل ببلاد السند ، ثم موانئ تانه (تهانه) ، وكهمبايت وسوياره وجيجور في إقليم كجرات ببلاد الهند ، وكذلك موانئ كولم وملييار وقار (رأس كماري) في إقليم مدراس ببلاد الهند أيضاً ، وكانت سفن تجار العرب تصل إلى هذه الموانئ كلها ثم تتجه إلى ميناء البنغال وموانئ الجزر الهندية ثم ميناء القامرون (كامروپ) في الآسام ، وهكذا تستمر هذه السفن في سيرها حتى تصل إلى موانئ الصين ، وقد ذكر الجغرافيون العرب أيضاً تلك الموانئ وصفاتها في كتبهم .

الطريق البحري التجاري قديماً

بينما فيما سبق أن الطريق التجاري بين بلاد الهند والسند وبين بلاد أوروبا ، كان في أيدي العرب قديماً لقرون عديدة ، وكان لهذا الطريق أهمية جغرافية كبيرة ، وبسببه وقعت انفضالات عظيمة في العالم ، ثم انتقل ذلك الطريق إلى أيدي اليونانيين في عهد الإسكندر الأكبر بعد أن استولوا على مصر وإيران وبلاد الهند والسند في القرن الثالث قبل الميلاد ، ثم بعد ظهور الإسلام عاد هذا الطريق إلى العرب الذين سيطروا على البحر الأبيض المتوسط أيضاً بحيث أدخلوا جزره المهمة مثل كريت وقبرص في ممتلكاتهم ، وبقي ذلك الطريق



وبلا د شبه القارة الهندية

بقلم : د . عبد الله مبشر الطرازي

البحار وكان هم فيه نشاط تجاري ، ودليله على ذلك ما ذكره بزرگ بن شهريار في مواضع كثيرة من كتابه أسماء بعض الملاحين ورجال الأعمال والتجار من أهل الهند والسند ، كما كان بعض الهنود والسند يظهرون على سفن العرب عند عدن قبل سنة ٣٠٠ هجرية ، أي في أواخر القرن الثالث الهجري .

معرفة العرب بموانئ بلاد الهند والسند وأهلها

بما أن تجارة العرب لبلاد الهند والسند قبل الإسلام كانت في الغالب عن طريق البحر ، فلذلك كان من الطبيعي أن يقتصر اتصال العرب على السواحل ، ولا سيما الساحل الغربي والجنوبي ، وكان من البديهي أيضاً أن تكون لتجار العرب ومجارتهم بحكم العمل صلة قوية بأهل الهند والسند ، ومعرفة بالمدن الواقعة

ومما هو جدير بالذكر هنا أن كثيراً من كتب التاريخ لا تذكر عن أهل الهند والسند بأنهم كانوا يمارسون أعمال التجارة في البحر ، أو أنهم كانوا يشتغلون في البحار ويقودون السفن ، وذلك منذ عهد اليونان إلى عهد العرب ، بل تذكر تلك الكتب أسماء العرب واليونان والروم على أنهم كانوا تجاراً للمنتجات الهندية في البحر ، وكذلك يذكر ماركوبولو في مذكراته أسماء العرب في التجارة القديمة .

ويرى القنستق أن أهل الهند والسند لم يكونوا ملاحين ، ولم يتجرأوا على خوض البحار ، وإنما كانوا ينتقلون من ميناء إلى ميناء في نهر السند ونهر كنكا باهند ، إلا أهل كارومندل بجنوب الهند الذين استطاعوا أن يسافروا في البحر حتى جزر جاوة ، ولكن سليمان ثدوي يختلف مع رأي القنستق وغيره ويرى أن أهل الهند وأهل إقليم كجرات من بين سكان القارة الهندية كانوا يسافرون في

مما هو جدير بالذكر أن العلاقات التجارية القديمة بين البلاد العربية وبين بلاد الهند والسند والهند قد تسببت في بدء العلاقات السياسية ، وكانت من أهم الأسباب التي وجهت المسلمين من عرب عمان والمناطق الساحلية المجاورة إلى شن الغارات البحرية هو بغية تأسيس دعائم حكمهم على المدن الواقعة في سواحل الهند وسواحل إقليم كجرات بالهند منذ سنة ١٥ هجرية ، وكان العرب الفاتحون يتلهفون للحصول على الإذن من الخليفة عمر رضي الله عنه لخوض البحار والتقدم للغزو والفتح ، ولكن الخليفة لم يكن يأذن لهم بذلك دون الدراسة والتأكد من مصلحة المسلمين وسلامة أرواحهم ، ومع ذلك قام بعض القواد العرب المتحمسين بالناورات البحرية وبعض الغارات والغزوات ، وقد تكررت هذه المحاولات في عهد الخليفة عثمان رضي الله عنه ، وفي عهد الخليفة علي رضي الله عنه ، حتى استولى العرب على بعض أجزاء من بلاد الهند مثل إقليم مكران ، ثم في نهاية القرن الأول الهجري ساءت العلاقات التجارية وتسببت في التدخل العسكري والسياسي من جانب العرب في بلاد الهند ، عندما أساء أهل الهند وملوكهم داهر إلى هذه العلاقات الطيبة في حادثة خطف السفن التجارية العربية المارة بميناء الديبل السندي ، قادمة من بلاد الهند وسيلان في طريقها إلى البلاد العربية ، بالإضافة إلى حماية ملك بلاد الهند لبعض العرب المتمردين ضد الدولة الأموية .

وعلى العموم فقد ثبت من المعلومات السابقة أن العلاقات التجارية كانت قائمة بين العرب وأهل الهند والهند منذ آلاف السنين وذلك عن طريق البحر والبر معاً ، كما كان التجار العرب يقيمون على الموانئ والمدن الساحلية لبلاد الهند والهند بأسرهم وكانت لهم جاليات كبيرة بها قيل الفتح العربي لبلاد الهند ، أي بلاد باكستان الحالية في سنة ٩٢ هـ .

والذهب والفضة والعملات الذهبية وأنواع التوابل والسكر والأرز والمسك وجوز الهند وغيرها ، كما كانت الإبل السندية ذات الستامين تصدر إلى خراسان وفارس وغيرها ، وكانت هذه البضائع والمنتجات تنقل إلى خارج بلاد الهند قبل الإسلام ومعهده ، وخاصة في عهد العرب ببلاد الهند بواسطة التجار العرب .

وأما بالنسبة للبضائع التي كانت تستورد إلى بلاد الهند قبل الإسلام فإننا لم نحصل على بيانات كافية من الكتب التاريخية إلا إشارات سريعة بسيطة ، فمثلاً الجلد المصبوغ والدقيق كانا يستوردان من الخارج ، والتمر الممتاز من البصرة ، والخيول الأصيلة من البلاد العربية ، والزمر من مصر ، والعود من الهند من أجل المعابد السندية وغير ذلك .

تقوية العلاقات التجارية بعد ظهور الإسلام

بعد ظهور الإسلام قويت العلاقات التجارية بين بلاد الهند والهند وبين البلاد العربية ، ففي عهد أبي بكر رضي الله عنه في خلال سنتين استطاع العرب أن يدخلوا بلاد الشام والعراق ، وفي عهد عمر رضي الله عنه دخلوا بلاد إيران حتى وصلوا خليج العرب ، وكذلك ساروا عن طريق فلسطين وسورية حتى وصلوا إلى القاهرة والإسكندرية ، وكان كل من الناحيتين في أيدي أقوام عظيمة ، فقد كان خليج العرب مركزاً تجارياً في أيدي الفرس ، ومنه كانت السفن التجارية تتحرك نحو بلاد الهند والهند والصين ، حاملة أنواع البضائع من جهة إلى جهة أخرى وبالعكس ، بينما كانت الإسكندرية مركزاً تجارياً في أيدي الروم ، وميناء عاماً للبلاد الواقعة في البحر الأبيض المتوسط ، ثم لما استولى العرب على هذه البلاد وفتحوها راجت تجارة العرب مع بلاد الهند والهند حتى فتح العرب بلاد الهند ، وبذلك زادت العلاقات التجارية تحسناً وتقدماً في هذا الجزء الشرقي مع الاتصال بالجزء الغربي من العالم .

التجاري العالمي بين العالم الشرقي والعالم الغربي في أيدي العرب لقرون عديدة ، حتى استطاع الأوروبيون بعد ذلك أن ينتزعوه منهم في القرن الرابع عشر الميلادي ، أي التاسع الهجري . وكان خليج العرب هو الطريق الثاني بين البلاد العربية وبلاد الهند والهند ، وكان الفرس والعرب ينقلون بضائعهم التجارية من هذا الطريق بجزراً وبراً ، وكانوا يمرون بجميع المدن الواقعة على سواحل الهند والهند ، ويجزر بحر المحيط الهندي كالبنغال والأسام حتى يصلوا إلى موانئ الصين ، ثم كانوا يعودون من نفس الطريق إلى البلاد العربية مارين بموانئ بلاد فارس .

الطريق البري التجاري قديماً

كانت بلاد الهند (باكستان الحالية) متصلة براً أيضاً بالبلاد العربية عن طريق البلاد المجاورة كبلاد فارس وخراسان ، وكانت القوافل التجارية العربية تأتي إلى بلاد الهند وتعود وكان لذلك طريقان ، فالطريق الأول كان يبدأ من منطقة القندهار ببلاد الهند وينتهي في خراسان ، والطريق الثاني كان يبدأ من مكران ببلاد الهند وينتهي أيضاً في بلاد فارس ، ومنها كانت تسير القوافل إلى البلاد العربية ويقول البعض إن قوافل تجار العرب كانت تتحرك من العراق وتسير براً حتى تصل كرمان بإيران ثم تسير منها إلى مكران ومنها تتفرع إلى قوافل عديدة متجهة إلى مناطق مختلفة بداخل بلاد الهند .

الصادرات والواردات

كانت لمنتجات بلاد الهند والهند أهمية كبيرة في العالم كله في القديم ، ولا سيما عند العرب ، فمثلاً حين سأل الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أحد السياح العرب أن يقول رأيه في بلاد الهند والهند ، أجاب الرجل العربي في جملة جامعة : «بحرها در وجباها ياقوت وشجرها عطر» . وكان تجار العرب قديماً ينقلون من بلاد الهند والهند بضائع مختلفة مثل الأقمشة والعاج



مشكلات قانون البحار

بقلم: د. إحسان هندي

فإذا حصرنا بحثنا في قانون البحار فإن أول ما يجب الإشارة إليه في هذا المجال هو أن هذا القانون بقي قانوناً عريضاً غير مدوّن حتى عام ١٩٣٠م، حين أعدت «لجنة الخبراء القانونيين» التابعة لعصبة الأمم مشروعاً بتدوين القواعد الخاصة بالمياه الإقليمية لعرضه في مؤتمر التدوين الذي انعقد هذا الغرض في مدينة

يهمنا في بداية هذا المقال التمييز، قبل كل شيء، بين «قانون البحار» من جهة و «القانون البحري» من جهة ثانية، فالأول هو فرع من فروع «القانون الدولي العام» ويبحث في القواعد القانونية التي تحكم المياه، والسفن التي تمخر هذه المياه، والطائرات التي تطير في جوها كالبحث في: المياه الداخلية، والمياه الإقليمية، والجرف القاري، والمنطقة المتاخمة، والمنطقة الاقتصادية، والبحار العليا... إلخ. أما «القانون البحري» فهو فرع خاص من فروع القانون التجاري، إذ إنه يبحث في مسؤوليات مالك السفينة ومستأجرها وأحكام التأمين على بضائع السفن، والبيوع البحرية... إلخ.



لاهائي (هولندا) في ذلك العام نفسه ، ولكن المؤتمرين اختلفوا في آرائهم حول عرض المياه الإقليمية الملحقه بإقليم كل دولة ، ولذا انفض المؤتمر دون إقرار المشروع .

مؤتمرات قانون البحار

وفي عام ١٩٥٨ م ، انعقد المؤتمر الأول لقانون البحار في جنيف ، لتدوين القواعد العرفية في هذا المجال ، وتوصل هذا المؤتمر لصياغة أربع اتفاقيات هي على التوالي :

(١) اتفاقية خاصة بالبحر الإقليمي والمنطقة المتاخمة .

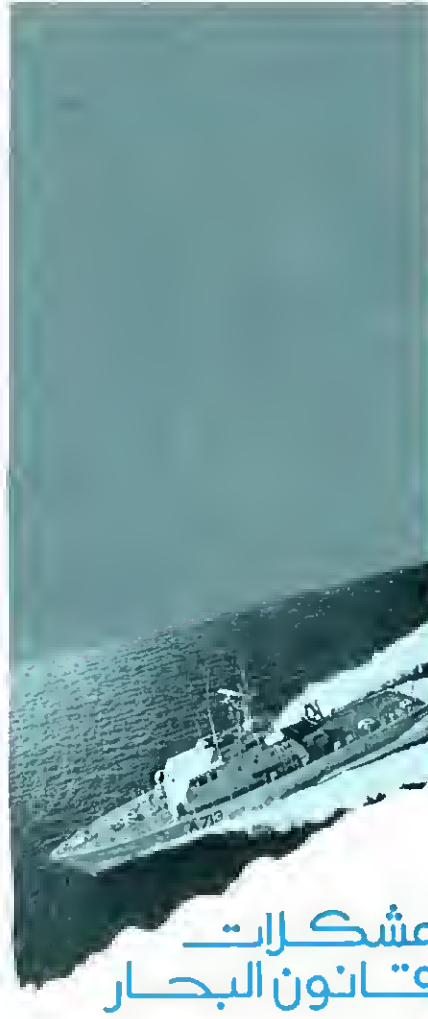
(٢) اتفاقية خاصة بالجرف القاري .

(٣) اتفاقية خاصة بالبحر العالي .

(٤) اتفاقية خاصة باستثمار الثروات البحرية .

ولكن عمل مؤتمر جنيف لعام ١٩٥٨ م ، لم يكن كاملاً ، لذا تم عقد مؤتمر ثان لقانون البحار في مدينة جنيف أيضاً عام ١٩٦٠ م ، حضره ممثلون عن ٨٦ دولة ، ولكن هذا المؤتمر فشل بدوره في الوصول إلى مقررات حاسمة في الموضوع ، وخاصة في عرض المياه الإقليمية المعترف بها لكل دولة .

ومنذ عام ١٩٦٧ م ، دعا مندوب مالطة في هيئة الأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر جديد لقانون البحار لتدوين قواعد هذا القانون وخاصة القواعد المتعلقة باستثمار ثروات البحار . وفي ١٧ كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٧٠ م ، اتخذت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة ، قرارها الشهير رقم ٢٧٤٩ / ٢٥ ، وهو تصريح دولي رسمي يقضي باعتبار الثروات الموجودة في قاع البحار العليا ملكاً للبشرية جمعاء بصورة مشتركة . وإذا جاز لنا استخدام عبارات فنية هنا نقول إن هذا التصريح عدل عن اعتبار هذه الثروات من قبيل « الأشياء التي لا مال لك لها Res Nullius » ، واعتبرها بدلاً من ذلك نوعاً من « الملكية المشتركة Res Communis » ، والفارق بين الحالتين عظيم ، إذ إن الأشياء التي لا مال لك لها يجوز لأي دولة أن تضع يدها عليها وأن تستملكها أو أن تستثمرها على الأقل ، وأما إذا اعتبرناها من قبيل « الملكية المشتركة » فلا يجوز لأي دولة استملكها أو وضع يدها عليها ، وإذا استثمرتها فإن هذا الاستثمار يجب



مشكلات قانون البحار

أن يكون لصالح الجميع ، وهذه النقطة هي التي أفشلت مؤتمر قانون البحار الثالث كما سيمر معنا بعد قليل .

وقد تم عقد هذا المؤتمر بين ١٩٧٣ و ١٩٨١ م ، وحضره ممثلون عن ١٥٠ دولة بالإضافة لعدة هيئات دولية أخرى في دورته الأولى في نيويورك عام ١٩٧٣ م ، والثانية في كراكاس (فنزويلا) بين ٢٠ حزيران (يونيو) و ٢٩ آب (أغسطس) ١٩٧٤ م ، وقد تسم المؤتمر نفسه ، في هذه الدورة ، إلى ثلاث لجان :

● اللجنة الأولى : لوضع مشروع نظام استكشاف الثروات الموجودة في قاع البحار وكيفية استغلالها ونشكيل مجلس لإدارتها .

● اللجنة الثانية : تبحث في اختصاصات الدولة الإقليمية في المجال البحري ، أي في تدوين أحكام « المياه الإقليمية »^(١) ، و « المنطقة

المتاخمة »^(٢) ، و « المنطقة الاقتصادية الخالصة »^(٣) ، و « الجرف القاري »^(٤) ، والبحار المغلقة وشبه المغلقة ، وحق المرور عبر المضائق المستخدمة في الملاحة الدولية ، وحقوق ومصالح السدول الحبيسة^(٥) ، والدول المغبونة جغرافياً^(٦) ، والدول الأرخيبيلية^(٧) ، ونظام الجزر ... إلخ .

● اللجنة الثالثة : وتبحث في طرق نقل التكنولوجيا ، والبحث العلمي والحفاظة على البيئة البحرية (مشاكل التلوث البحري) .

وعقد المؤتمر بعد ذلك دورته الثالثة في جنيف ابتداء من ١٧ آذار (مارس) ١٩٧٥ م ، والرابعة والخامسة في نيويورك عام ١٩٧٦ م ، والسادسة والثامنة في جنيف عامي ١٩٧٨ و ١٩٧٩ م ، والتاسعة في نيويورك عام ١٩٨٠ م .

الدعوة إلى اتفاقية واحدة

وبالنظر لاختلاف مصالح الدول الأعضاء في المؤتمر بعضها عن بعض فقد وجد المؤتمر أنه من الأفضل صياغة اتفاقية واحدة شاملة لجميع جوانب قانون البحار بدلاً من صياغة عدة اتفاقيات ، كما حدث في المؤتمر الأول عام ١٩٥٨ م . لأنه في حال تعدد الاتفاقيات يمكن لدولة ما أن تصدق على واحدة منها ولا تصدق على العدد الباقي بحسب مصلحتها الخاصة ، ولذا عمل المؤتمر على صياغة المشروع في اتفاقية واحدة تحاول التوفيق بين مصالح الدول المتضاربة جميعاً ، وأطلق على هذه الاتفاقية اسم « الصيغة الإجمالية Package Deal » ، وقد حوت ٣٢٠ مادة وثمانية ملاحق تقع في ١٨٠ صفحة فولسكاب تقريباً .

خلافاً دولية

وخلال دورات المؤتمر الأخيرة اتفق مندوبو الأغلبية الساحقة من الدول الأعضاء على التقييد بقرار الأمم المتحدة السابق ذكره أعلاه ، الذي يقضي باعتبار الثروات المعدنية الموجودة في قاع مياه البحر العالي^(٨) ملكية مشتركة للجنس البشري ، وينوجب أن تقتسم جميع دول العالم هذه الثروات التي سيم استخراجها من قاع البحار وأنشطتها ، كما اتفق المؤتمر على إقامة سلطة دولية لاستثمار قاع البحر تكون مهمتها منح عقود الاستثمار لمن سيطلبها ، ولكن حصل خلاف شديد حول هذه

النقطة بين دول العالم الثالث من جهة والدول الرأسمالية الكبرى من جهة ثانية :

★ قبيبا تطالب دول العالم الثالث بأن يتم الاستثمار على يد هيئة دولية ، وأن يتم اقتسام الأرباح بالتساوي بين الدول ، بما فيها الدول الحبيسة (أي التي ليس لها شواطئ بحرية) ، تطالب الدول الرأسمالية وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا الغربية بأن يكون هذا الاستثمار على يد شركات خاصة أو من قبل الدول نفسها ، وأن يُسمح للدول التي لديها إمكانات للاستثمار بأن تبدأ الاستثمار منذ الآن بانتظار قيام جهاز دولي يشرف على ذلك ، وأن تعطى هذه الدول الرائدة بعض الامتيازات في هذا المجال .

وفي الوقت الذي تطالب فيه دول العالم الثالث ودول المجموعة الشرقية بتبادل المعلومات حول وسائل الاستثمار المستخدمة من الناحية التكنولوجية ترفض الولايات المتحدة الأمريكية ذلك وتصر على الاحتفاظ بأسرارها الخاصة فيما يتعلق باستثمار قيعان البحار وعلى عدم نقل الأساليب التكنولوجية الخاصة بها إلى الدول الأخرى ، وكان هذا السبب من أهم أسباب فشل الدورة الأخيرة للمؤتمر . ولما وصلت إدارة الرئيس ريغان إلى الحكم في الولايات المتحدة أعلنت هذه الإدارة صراحة عدم رضاها عن مشروع الاتفاقية الشاملة بخصوص قانون البحار ، التي كان من المفروض أن توقع في مدينة كاراكاس في خريف ١٩٨١ م ، ووجهة نظر الولايات المتحدة ، ومن خلفها الدول المصنعة الكبرى ، في ذلك هي أن اعتبار ثروات قاع البحار «إرثاً مشتركاً» للإنسانية يكاملها لا يعني إشتاءاً الامتناع عن استغلال هذه الثروات مؤقتاً من قبل الدول القادرة على ذلك مالياً وفنياً في المرحلة الحالية بانتظار التوصل لإقرار نظام دولي بشأن استثمار هذه الثروات والانتفاع بها على أساس حرية الاستثمار فردياً .

ورغبة في انقاذ المؤتمر من الطريق المسدود الذي وصل إليه قام بعض مندوبي دول العالم الثالث بالاتصال بالحكومة الأمريكية دبلوماسياً وطلبوا منها الموافقة على المشروع بعد إدخال بعض التعديلات عليه لتفريجه من وجهة النظر الأمريكية ، وهكذا اجتمع المؤتمر من جديد ، لدورة إضافية وأخيرة في ربيع هذا العام (١٩٨٢ م) ، في مدينة نيويورك ، وتقدمت الولايات المتحدة خلال جلسات هذه الدورة بعدد

كبير من «اقتراحات التعديل» ، واعتبرتها «شرطاً لا بد منه» *Conditio Sine Qua No* لقبوها بالتوقيع ، ولما لم تُقبل بعض هذه الاقتراحات أعلن رئيس الوفد الأمريكي رفضه للمشروع . وهكذا انفضت الدورة الأخيرة لمؤتمر قانون البحار ، التي عقدت في نيويورك في ربيع هذا العام ، بدون التوصل إلى التوقيع النهائي من قبل ممثلي الدول على مشروع الاتفاقية الإجمالية التي توصل إليها المؤتمر الثالث لقانون البحار خلال دوراته السابقة بين ١٩٧٣ م ، و ١٩٨٠ م .

وقد صرح رئيس المؤتمر بأنه من الممكن توقيع مشروع الاتفاقية دون الولايات المتحدة الأمريكية والدول الثلاث أو الأربع الأخرى التي تناصرها في موقفها ولكن هذا لن يكون شيئاً عموداً ، بينما صرح مندوبون عن كتلة السبعة وسبعين (مجموعة دول العالم الثالث) بأن دول المجموعة ستوقع المشروع بدون الولايات المتحدة الأمريكية في الاجتماع الذي سيخصص للتوقيع على الاتفاقية رسمياً ، والذي سيعقد في كاراكاس عاصمة فنزويلا في الخريف المقبل .

ولم تقف الولايات المتحدة مكتوفة الأيدي تجاه هذه التصريحات ، فقد أعلنت صحيفة «نيويورك كيراي سيمبون» اليابانية بأن الولايات المتحدة وألمانيا الاتحادية وبريطانيا قررت التوقيع على «اتفاقية مصغرة» لقانون البحار فيما بينها تفرد بمقتضاها باستغلال الموارد المنجمية (وخاصة معادن الكوبالت والمنجنيز والنيكل) الموجودة في أعماق البحار العليا .

وأضافت الصحيفة اليابانية المذكورة أن هذه البلدان الكبرى الثلاثة أبلغت الحكومة اليابان ، كخطوة أولى ، بدعوتها لاتفاق على تحديد مناطق خاصة بكل من هذه الدول لاستغلال الموارد المنجمية الموجودة في قاع المحيط الباسيفيكي فيما بين جزر هاواي والساحل الغربي للولايات المتحدة الأمريكية ! . وهكذا تقاسم الخلاف بين دول العالم الصناعية الكبرى من جهة ودول العالم الثالث من جهة ثانية ، بخصوص اتفاقية قانون البحار هذه ، وأصبح هذا الوضع أحد المظاهر الرئيسية للصراع بين الشمال والجنوب .

وإذا لم تتوصل دول العالم إلى الاتفاق على توقيع مشروع «الصفقة الإجمالية» لقانون البحار في كاراكاس خلال الخريف المقبل ، فإن الدول النامية ستفترج مكتوفة الأيدي على عملية نهب الثروات

المنجمية الموجودة في أعماق البحار العليا من قبل الدول الصناعية الكبرى ، وذلك لعدم قدرتها هي بالذات على القيام بعملية استثمار هذه الثروات حالياً .

ولم يبق هناك إلا شعاع بسيط من الأمل في أن تنصاع الدول الكبرى وتمهر مشروع الاتفاقية بتوقيعها في اجتماع كاراكاس المقبل ، وعندها ستتقاسم جميع الدول ، صغيرها وكبيرها سواء كانت دولاً شاطئية أو دولاً حبيسة ، هذه الخيرات على أساس العدل والإنصاف .

المواش

(١) المياه الإقليمية : هي المياه الخاضعة لنشوء الدولة ، والتي تفرص الدولة سيدها عيب وكأثر جزء من إقليمها . وتحتفظ الدول في تحديد عرضها ولكن أغنيها تعتبر ١٢ ميلاً بحرياً (حوالي ٢٠ كم) .

(٢) المنطقة الشاطئية : هي منطقة تحاذي المياه الإقليمية في جهة البحر العاني ، ولا تملك الدولة حقوق السيادة الكاملة عليها وإنما تملك مرسية سفنات الضابطة فيه (لتطبيق قوانينها الصحية واتعمرية وتدابير الضوت ومعالجة النفايات) .

(٣) المنطقة الاقتصادية الخالصة : هي مساحات المياه التي تحاذي شواطئ الدولة حتى عرض ٢٠٠ ميل بحري ، والتي يقتصر حق استثمار الخيرات الموجودة فيها (من حيوانية أو محمية) على الدولة الشاطئية . بدون أن يكون هذه الأخيرة حقوق سيادة عيب .

(٤) الجرف القاري : هو الامتداد الجغرافي لإقليم الدولة البري تحت سطح الماء حتى الوصول إلى منطقة المياه التي عمقه ٢٠٠ متر (وهذا ما يسبب بعد ٧٠ ميلاً عن الشاطئ) . ويقتصر حق الدولة على استثمار الخيرات الاقتصادية التي تكون المياه التي تعلوه حرة أمام السفن الأجنبية إذا كانت خارج المياه الإقليمية .

(٥) الدول الحبيسة : هي الدول المغلفة التي ليس لها شواطئ بحرية مثل دولة مالي في إفريقيا ، وروسيا في أوروبا ، ومقدونيا في آسيا .

(٦) الدول المغلقة جغرافياً هي الدول ذات المساحة الضعيفة التي ليس لها إلا منفذ بحري ضيق لا يتسبب مع اتساع إقليمها البري (الغرق مثلاً) . أو التي تغلبها على مساحة كبيرة شواطئ دول أخرى بحيث لا يمكن افتتاح مياه منطقة اقتصادية خالصة (الإمارات العربية المتحدة ، الشاطئ الغربي لتركيا) .

(٧) الدول الأترابية هي الدول التي تتشكل من مجموعة من الجزر مثل أندوريب والبيبين واليدان واليونان . . . وقد ثارت مشكلة حادة دائمة لمياه إقليمية هذه الجزر : هل يجب حسابها كجزيرة على حد ذاته مجموعة جزر الدولة مجتمعة كم شاذي هذه الدار ؟ .

(٨) البحر العالي : High Sea : هو جملة المياه التي لا تدخل في المياه الإقليمية لأي دولة من الدول ، وتتمتع فيه جميع الدول بممارسة حريات معينة دون أي تقييد (حرية الملاحة - حرية الصيد - حرية مد الأنابيب البترولية والأسلاك الهاتفية) .

نفثة شاعر

شعر: د. عزت شندي موسى

وأشجاء في الروض الورود وطيبها
وصفو غدير في الرُبى سال مُزِيداً
وقُدس في الخلق الجمال وسحره
وهام به بين الورى وتوجداً
.. وكم زهرة قد بات يستاف عطرها
ويهفو لطير في الخيائل غرّداً
وكم من جفونٍ راح يرنو للحظها
ولو كان سهماً .. في الأضالع أغمداً
وأغراه في سود العيون كحيلها
وفي وجنات البيض ما قد تورّداً

★ ★ ★

وسوف يقول الناس ما زاع أو غوى
وما ضلّ يوماً أو أسفّ وعريداً
ولم يأت ذنباً دون تزوّب وأوبة
وما زلّ يوماً عامداً متممداً
وما هو يسلو عشق هند وعبله
وبات يحب الله .. ثم محمداً
فكلّ جمال سوف يفنى وينتهي
ويبقى جلال الله في الخلد سرمداً

★ ★ ★

.. وقد كان في المستضعفين ضعيفهم
وفوق الآلى اصطنعوا السيادة .. سيّداً
ولم يتزود من غنى أو مفاتن
ولكنه من خير تقوى تزوّداً
ولم ينس طول العمر نسكران ذاته
والا .. لعاش العمر أغنى وأسعداً
وكم شهدت عيناه في الكد والعناء
وأن له أن يستريح ويرقداً
فلله ما قاسى ولله ما شكا
ولله قد أدّى .. ولله أخلداً
.. فيارب أكرمه وخفّف حسابه
ويؤنّس من الألواح ما كان سُوداً

سيذكرني قومي إذا غالي الردى
وغبّت عن الدنيا وطال بيتي المدى
يرجؤني .. والموت بيني وبينهم
وفي حلّة الظلّماء يرجون فرقداً
فيبكي دماً أهلي .. فقد كنت عنهم
أذود عوادي الدهر إن جار واعتدى
وعشت لهم كالطير زقّت فراخها
ودمت لهم ، في فسحة العمر ، مرشداً
ويذكرني الخلان إذ كنت إن كبا
صديق وناداني .. مددت له يداً
ويشهد لي الأعداء أنّي لم أهن
ولم أك ممن قد أهان ونسّداً

★ ★ ★

وسوف يقول الناس : قد كان عاشقاً
وقد عاش للحسن البديع مُمجّداً

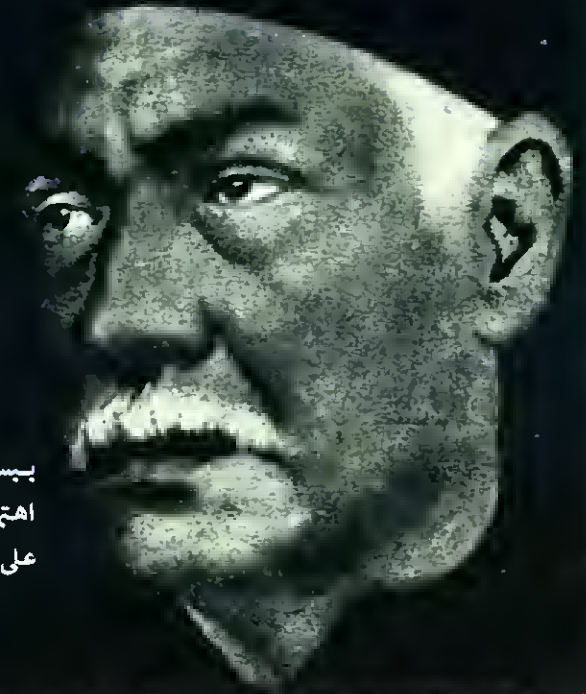


بمناسبة الاحتفال
بمئذى ٥٠ عاماً
على وفاته

حافظ إبراهيم والمواءمة بين الكلمة والموقف

درج الباحثون على شعر «حافظ إبراهيم»^(١) (١٨٧١ - ١٩٣٢ م) ببساطة التعبير، وسهولة المعاني، والاهتمام باللفظ، وصياغة الكلمة، أكثر من اهتمامه بما وراءها من معنى، حتى ليبدو مفضلاً بساطة المعنى في عبارة سهلة، على دقته وعمقه في لفظ مبتذل.

بقلم: د. يوسف نوفل



الأديب، أي ليست عيباً لغوياً، كما اعتبرها الأقدمون، نقول إن «حافظاً» لم ينج من ذلك، فرأى النقاد أنه لجأ إلى اللفاظ غير مستعملة، أو أن بالفاظ زائدة في مثل قوله في قصيدة ألقاها في حفل عكاظ بحجة «لشوقي» رئيس الحفل:

لم يحبها فضل شوقي
بقية من نسي

والنسيس بقية الروح، لذا رأى النقاد أن لا حاجة إلى كلمتي «بقية من» حتى لا يصيح المعنى «بقية من بقية الروح»، إذ لا فرصة - في رأيهم - للتجزئ في البقية.

ولاحظ النقاد أيضاً أنه يستعمل كلمة «القاموس» على غير ما ورد استعمالاً لها، إذ يقول في القصيدة السالفة:

وورثه كان أصنى
من مورد القاموس

وهو هنا يقصد بالقاموس: البحر أو جنته

فتحت الدراسة الإحصائية اللغوية المجال أمام دراسي لغة «حافظ» أو غيره للإبانة عن دوره في ظهور الاستعمال الجديد للغة، وفي ظهور معجم شعري Poetic Diction خاص به، فمن الحزم أن نجد في كل جيل إحساساً نحو اللغة متطوراً بعض التطور عن سبقه، ليمثل تعاقب الأجيال أطواراً من النمو اللغوي الشعري، حتى يمكن أن تمثل - مع «اليزابيث درو» - التجربة اللغوية بصورة صهر المعدن في المسبك، حيث يتناول الشاعر الألفاظ ناولاً يتخلل منها شيئاً جديداً، أو يصهر العملة القديمة المستعملة ويصدر عملة جديدة!

الضرورة الشعرية

ولهذا نرى الشاعر حريصاً على الصياغة والصنعة اللفظية، حتى لو أوقفه ذلك في تجاوزات لغوية، سماها القدماء «الضرورة الشعرية» حيناً، وأطلق عليها الأسلوبيون المحدثون «الخروج على القاعدة»، وعدوا ذلك مقدرة فنية خالقة لدى

والحق أن النظرة إلى قضية وسائل التعبير عند «حافظ إبراهيم» لا تكمن في مدخل اللفظ والمعنى، ومدى بساطة كل منهما أو تعقده، سموّه أو هبوطه، إذ تتعدى تجربته اللغوية ذلك الإطار إلى شيء أبعد من ذلك تماماً، وأعمق غوراً، وهذا الشيء هو طموحه الفني نحو إيجاد توازن فني بين الكلمة والموقف.

المعجم الشعري

والشعر - في جوهره وحقيقته - تجربة لغوية ترقى فوق التجربة اللغوية الثرية من ناحية، وفوق التجربة اللغوية العملية التي تلبي حاجات التخاطبين في تعبيرهم البسيط من ناحية أخرى. أي أن اللغة الشاعرة، أو التجربة اللغوية الشعرية مستوى من الرقي اللغوي يأتي دونها مستويان: أحدهما بالأدب الثرية، ثم يليه مستوى لغة التعبير البسيط الفصيح، وما دام الأمر كذلك، فالشعر فن وسيلته اللغة. وقد ظل - على مدى العصور - النبع الأساسي لحياة اللغة واستمرارها وتجزئتها منذ أقدم صوره التراثية، وربما

وجدت شعر المراثي نصف ديواني

وهو فن عظيم من فنونه الشعرية ، كان معادلاً موضوعياً لموقفه من الحياة والموت انتقل فيه من الخاص إلى العام دائماً ، ولم يكن دافعه إليه دافع مناسبات . بل دافعاً نفسياً ، ومن الناحية الإحصائية سنجد هذا الفن يحتل الجزء الثاني من ديوانه^(١) ، وعثر شارحو ديوانه على بيتين سموهما « مراثية وهمية » ، يقول في أولها :

إن الذي كانت الدنيا بقبضته
أسمى من الأرض بحويه ذراعان

للرثاء عنده منزلة فنية إذن يثقته أيما إتيان لقوة حسه وعاطفته ، وشدة حبه لأصدقائه ، وشغفه بالإنسانية والإنسان ، حتى ليبلغ بمستعبه وقاربه مثل ما في نفسه من الحزن واللوعة على نحو لا بدايته فيه كثيرون كما قرر « طه حسين » بحق^(٢) ، لأنه كان يرى لأنه يحزن ، ويحزن لأنه يحب ؛ يحب الأفراد ، ويحب مصر ، فإذا رأى علماً فكأنما يرى نفسه أولاً وأتمه ثانياً^(٣) ، وتحلى من ذلك أمثلة من بينها رثاؤه للإمام الشيخ « محمد عبده » ، وللزعيم « مصطفى كامل » وأضرابها .

أما النبع الثاني ، فهو بسيط حاضر ، وهو « وعيه » ، ومن اختلاط هذين النبعين : النبع الغائب اللاشعوري ، والنبع الحاضر الشعوري ، تظهر تجربة « اللفظ والمعنى » عنده ، أو « البنى والمعنى » كما يقولون ، وبذلك نجد أن شدة تأثر جمهوره بشعره لا يقتصر على « الصدوق الوجداني » الواضح في حياته وسلوكه وشعره — كما هو معلوم — بل ينعدي ذلك إلى أنه يسلك بشعره طريقاً يوقف فينا إحساساً بالعالم الذي يتمثله في رؤياه الشعرية ، وهذه الرؤيا تتمثل في « توظيف » اللفظ لتجسيد الموقف طموحاً إلى التعبير بالصورة حتى لشكاد ، ونحن نسمع شعره أو نقرؤه ، نحس كما أحس « هاوسمان » بعد سماعه الشعر :

« برجفة في السلسلة الفقيرة ، وغصة في الخلق »
ورسوب ماء في العينين « أو كما أحس « إيميلي دكنسون » بأن « لفة رأسه قد انزعجت » .

وقد عاقه — في تصوري — عن استكمال ذلك أمور منها :

قيام معظم شعره على الإلقاء جرياً على عادة أن الشعر يؤلف ليُلَقَّ ، لذا كان « حافظ » منشوقاً على

★ لماذا أثر حافظ اللغة على المعنى فاهم
برواء الأولى وهائها ولم يعبا برحابة الثانية
وعمقها ؟ .

★ لماذا كان « حافظ » شاعر الشعب ؟ .
★ لماذا كان شعره شديد الأثر في نفس
سامعيه وقارئييه على سواء ؟ .

الرثاء نصف الديوان

نسارع بإجابة موجزة عن هذا كله تنمئل في منهج « حافظ » في « التواؤم الفني بين الكلمة والموقف » .

وهو ما يفسر قضية اللغة عنده ، ويفسر اتجاهه للشعب بشعره وفي شعره ، ويفسر شدة تأثير شعره في جمهوره ، ذلك أن تجربته الشعرية — كغيره من الأدباء — تفيض من نبعين :

● أولها : واد غامض مجهول لا نعرف عنه الكثير وهو « لا وعيه » أو إفريقيقا الباطنة كما يعبر الكاتب الألماني « جان باول » ، ويستطيع من ألهم بحياته البائسة الكادحة أن يتصور جانباً كبيراً منه ، ولعل هذا ما يفسر حرصه على « الرثاء » يقول :

إذا تصفحت ديواني لتقرأه

★ محمد سامي البارودي ★



لا المعنى المستعمل للدلالة على المعاجم . وهذا — في تصوري — ليس تجاوزاً لغوياً . بل هو منهج لغوي عند الشاعر يوظف فيه الكلمة من أجل تجسيد الموقف ، في مرجة طموحه التصوري ، وهو — هذا — لا يكتفي بتصوير بقية الروح ، بل يضيف « للبقية » بقية أخرى وأخيرة من باب تناهي الأشياء في الصغر ، في موكب عدسته البلورية المكبرة ، وقد مثل ذلك في « القاموس » ، فما أراد للكلمة من معنى أضفى عليها حياة وتوجاً وحركة وحرارة اكتسبتها من طبيعة البحر ، ولو كان المعنى المقصود هو المعجم لفقدت الكلمة إمارات الحياة هذه ، وصارت جثة هامدة .

هذا — في نظرنا — ما يفسر منهجه في الغوص على الألفاظ ، وتسمية هذه العملية اللغوية بأنها عملية تذوق . وقد تجلت هذه المقدرة في صوغه الأحداث الطوال الجسام في عمل شعري متكامل ، وليس أدل على ذلك من قصيدته العمرية الشهيرة في « عمر ين الخطاب » رضي الله عنه .

ولعل إحساسه بهذه المقدرة هو الذي دفعه إلى أن يقرر أنه لا نذل له في الشعر إلا « شوقي » ، يقول :

لم أتحش من أحد في الشعر يسبقني
إلا نسى ما لسه في السبق إلاه

إذ كان « البارودي » في خاتمة عمره ، و « شوقي » ذا صلة بالقصر ، و « إسماعيل صبري » بارزاً في شعر المقطوعات الصغيرة ، فحق له حينئذ أن يعتبر نفسه نذاً لشوقي .

شعبية حافظ

إذا ما أضفنا إلى ذلك حقيقة يذكرها الباحثون في صدد حديثهم عن جانب اجتماعي من حياة شاعرنا وهو « شعبيته » بكونه شاعر الشعب ، وبكونه يحزن لحزته ، ويهتز للمناسبات : السياسية والوطنية والاجتماعية ، ولأحداث الإنسانية ، ويحنو على الضعفاء والبؤساء والمكويين والمشردين حتى ليقول عنه مصطفى صادق الرافعي : إنه لم يكن « إلا الصوت الإنساني الذي أعده » بخصائصه — للتعبير عن حوادث أمته — « إذا ما أضفنا ذلك — كان لنا أن نقف على حقيقة تفسر لنا هذه الروح الشعبية عند « حافظ » .

وبذلك نقف على حقيقتين نصوغ تصور النقاد لها في شكل تساؤلات ثلاثة هي :

«شوقي» في هذا الجانب، ولهذا نجد أن الصدى الوجداني لقصائد «حافظ» عند المستمع إليها أكثر من الصدى الوجداني عند من يقرأ شعره، أو يعيد قراءته. هناك يتلاحم الإلقاء مع متجذبه اللغوي، وتجسيده الموقف؛ إذ تؤثر القصيدة كلها في سامعيها، أما في حالة القراءة وإعادة قراءتها فتجد أن ما يبرزك من شعره هو ما يطمح لتصوير الموقف وتجسيده، وما عذاه يأتي يارداً جامداً هامداً لا روح فيه، أو لا ماء ولا رواء فيه كما يقولون، ذلك أن إلقاءه لقصائده عامل ذاتي خارج عن القصيدة ذاتها، لأنه يضيف إلى ميناها ومعنائها عوامل خارجية مؤثرة هي: التلفظ وطريقته، وطبقة الصوت وتنغيمه، وتوقيت الوقف وإحكامه، وتوزيع النبر والإيقاع.

الصورة في شعره

ومما عاينه عن إحكام التعبير بالصورة - أيضاً - تخصوعه - وشعره جيله - إلى بعض آثار السلف في الأعراف الشعرية، ولولا ذلك لاشتد طموحه إلى التعبير بالصورة، وهذا تصنفها بالتواؤم بين الكلمة والصورة، وسرى - فيما أحصيناه من وسائل التعبير عنده في شعره - أن الغلبة في شعره تتمثل في تجسيد الموقف في شكل تصويري تتراءى فيه الحركة واللون والصوت والرائحة والحرارة والبرودة حتى في تهكمه وبساطته حين يتجه إلى خاله - الذي كفله صغيراً - مودعاً «بيته» ببنيته الشهيرين التكميين:

ثقلت	عليك	مؤرني
تأرجح	فإني	أراهما
	فإني	ذاهب
	متوجه	في «داهية»

أو في هجائه رئيس فرقته بالسودان:

تراه	إذا يتفخ	في الزمار
تخسبه	في رتبة	الردار

وفي الإلمام بمتجه ما يفسر لنا لماذا تنظر لديه ببعض الأبيات التي تأتي جامدة باردة كقطعة الثلج، وبالأبيات التي تتوالى دفقة زاهرة بالحياة والطاقة تهزنا هزاً ظن به بعض الباحثين الظنون فأرجعوه إلى يريق اللفظ وسحره، وليس الأمر - في تصويري - راجعاً إلى «بيت القصيد» عنده، أو إلى الزخارف

البديعية، بل يرجع إلى تصوير الموقف وتجسيده في علاقة فنية مع الكلمة، وتستجد أن ما اشتهر وسار من شعره، وتناقله الناس وأذاعوه يحمل هذه السمة التصويرية^(١). من ذلك قصيدته (اللغة العربية تنعى نفسها)، ونقف على بعض أبياتها التي تتجلى فيها هذه الظاهرة، يقول:

رجعت لنفسي قاتمت حصاتي
ونادت نومي فاحتبت حباتي
رموني بعقم في الشباب ولتني
عمت فل أجزع لقول عداتي
ولدت ولما لم أجد لعراشي
رجالا وأكفأ وأدت بناتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن أي به وعظمت
ككيف أضيق اليوم عن وصف آله
وتسبيق أسماء مخترعات

ويقول في قصيدة (حادثة دنشواي) سنة ١٩٠٦م، بعد المطلع:

وإذا أعزتكم ذات طوق
بين تلك الرسى فصيدوا العباد (١)
إنما نحن والخيام سواء
لم تغادر أطرافنا الأجساد (١)
لا تقيدوا من أمة بقتيل
صادت الشمس نفسه حين صادا (١)

* د. طه حسين *



ليست شعري أثلك محكة التقد
تتش عادت أم عهد نيرون عادا (١)
كيف يحلو من القوي التشني
من ضعيف ألق إليه القيادا (١)
إنها مثقلة تشف عن الغيد
ظ ولسنا لغيطكم أندادا
ثم ينها لختام قصيدته بقوله:

لا جرى النيل في نواحيك يا مص
مر ولا جادك الحيا حيث جادا (١)
أنت أنبت ذلك النبات يا مص
مر فأضحى عليك شوكتاً قادا (١)
أنت أنبت نساء قام بالأم
مر فأدمى القلوب والأكبدا (١)
أنت جلادنا فلما تنس أننا
قد ليسنا على يدك الحدادا (١)

ومن علامة التأثر التي وضعناها يتجلى هدف مهم لديه وهو التقد والتهكم والسخرية، والتحسر، ولم يكتف حافظ بدفقتة الشعرية العاجلة، حين نشر هذه القصيدة بعد صدور الحكم بالشنق، والسجن بخمسة أيام أي في الثاني من يوليو (تموز) عام ١٩٠٦م، بل نظم ثانية بمناسبة استقبال اللورد «كرومر» الحاكم الإنجليزي إثر عودته بعد الحادثة، ونشرت في السابغ عشر من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٠٦م، ومنها قوله:

حبوا النفوس من الخيام بسديلة
فتسابقوا في صيدهن وصوبوا
وكتب الثالثة في استقبال خلف «كرومر» ونشرت في العاشر من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٠٧م، ومنها قوله:

قتيل الشمس أورثنا حياة
وأيقظ هاجع القوم الرقودا
فليت «كرومر» فد دام فينا
يطوق بالسلال كل جيد (١)
ويتحف مصر آتياً بعد أن
بجلود ومقتول شهيد (١)
لنزع هذه الأكفان عنا
وتبعث في العوالم من جديد
رواضح أيضاً استخدام التهكم والتحسر هنا.

ثَقَّفَ نفسه بالغالطة والمنادمة والمجالسة .

● كان لقدورته على الإحساس بالشعب والآله ، وخبرته بالآلام والتعاسة خير معين له على قدرة التصوير من الداخل لا من الخارج ، وتبع ذلك من حساسية مفرطة لديه .

● بساطة تعبيره نابغة من بساطة حياته ، وبساطة تكوينه .

● ارتباطه بمستعميه في المحافل ، والمجالس جعله ميلاً إلى تنوع وسائل الخطاب والتعبير بين الخيرية والإنشائية ، واستعمال النداء والأمر والنهي والاستفهام ، واستخدام ضمير المتكلمين ، وضمير المخاطبين ، وضمير الغائبين ، أي على نحو يغلب فيه الجمع على الأفراد ، وتلك سمعة تعني ارتباطه بجمهوره ، وتعبيره عنه ، وغضايبه إياه . ولئن شاء استقصاء ذلك في ديوانه .

وانتهاء نقول .. لن نذهب مذهب طه حسين في الحكم بأن حافظاً وشوقياً أشعر أهل الشرق العربي . وختام الحياة الأدبية الطويلة الباهرة . وأشعر العرب في عصرهما . بل نقول إن حافظاً وجيله أسهما في بناء صرح النهضة الشعرية الحديثة .

الهوامش

- (١) قرأ عن حافظ إبراهيم : أحمد عبيد ، ذكرى الشعراء ، طه حسين ، حافظ وشوقي ، وحسن كامل الصيرفي ، حافظ وشوقي ، وسامي الدهان ، شاعر الشعب ، ورفيق مسحة ، حافظ إبراهيم الشاعر السياسي ، والدكتور أحمد هبكل ، تطور الأدب الحديث في مصر (في صفحات عديدة) ، والدكتور شوقي ضيف ، الأدب العربي في مصر ، وأعداداً خاصة من : السياسة الأسبوعية - ١٩٣٢ م ، وأبوللو - يوليو (تموز) عام ١٩٣٣ م ، وديوانه في ضبعة ١٩٣٩ م ، وغيرها .
- (٢) الشعر كيف نفهمه وننطقه ، ترجمة الدكتور محمد إبراهيم الشوش .
- (٣) فما يزيد على مائة صفحة .
- (٤) حافظ وشوقي ، ص ١٥٤ ، الخانجي بمصر ، والثاني بغداد ، ١٩٥٦ م .
- (٥) نفس المصدر ، ص ١٥٥ .
- (٦) طبع الشاعر لتجربة القصصية التصويرية ، فكتب (ليالي سطح) ، وحاول تقديم ترجمة لأدب من « روسو » ، ولويس ، على ما بالترجمة من عبوب (انظر حافظ وشوقي لطف حسين) .
- (٧) عزيزة مريدان ، دراسة نصوص ، ص ٩٤ .

وقوله :

شبحاً أرى أم ذاك طيف خيال
لا . بل فتاة في العراء حيالي

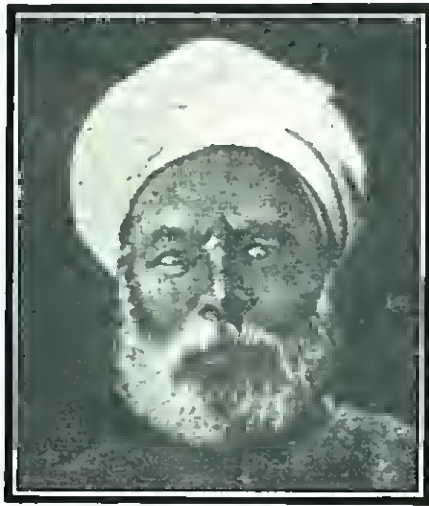
وقوله :

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الأعراق

وهذه الأبيات - ومثلها كثير - مما اشتهر من شعر حافظ وشوق وتناقلته الألسنة ، لا لأنها « بيت القصيدة » كما سنّ النقد القديم ، ولا لأنها من « الأبيات الملاح » كما قال الزمخشري ، ولكنها ذاعت لتحقق منهج حافظ في « المواءمة بين الكلمة والموقف » ، وفي كل بيت مما ذكرنا - وما لم نذكر - يحمل نجسداً للموقف في تصوير في دقيق . وهكذا نصل إلى أن مبلاد الكلمة الشعرية عند شاعرنا نتيجة فنية لتجسيد الموقف ونصويره ، وأن فهم ذلك ودرسه يكون مبنياً على الأسس التالية :

● كان ديوانه ماضياً في تطور قسي ، وظهر الضعف اللغوي عائقاً عن تجسيد الموقف في مطلع عهده بالشعر ، وهذا كان وناؤه فناً عظيماً ، لكنه كان ضعيفاً في أول عهده ، لا سيما ونحن نعلم أن ثقافته غير نظامية ، وأنه

★ الإمام محمد عبد ، ★



وقد وقفنا على بعض الأبيات الشاذة للتصوير ، وفيها يتجلى صدق شاعرنا في قصائد ثلاث رآها النقاد آية على صدق عاطفة إذا ما قوبلت بعاطفة شوقي الذي كتب قصيدة متكلفة بعد مضي عام على الحادثة فكان واصفاً من الخارج لا مستنبطاً كحافظ من الداخل وحاول أن يحاكي « حافظاً » بقوله :

يا ليت شعري في السروج حمام
أم في السروج منية وحمام

فجاء دون بيت حافظ : حسوا النفوس من أخام بديلة ... إلخ . واتشغل شوقي بأغصان اليدعية ، وكان تساؤله هامداً لا حياة فيه ، أما حافظ فأضاف إلى نزعة التصويرية صدفه ، وفوق ذلك وإنته موهبته الغذة في النكيم والسخرية ، فتكلم بالسنعمر « ويكرور » أيما تكلم . وقد وهم بعض الدارسين فظن ذلك استعطافاً^(٧) ناسباً أداة التكميم في شعر « حافظ » .

وسنرى من الأبيات المختارة التالية صدق تجربة أجريتها على شعره ، إذ وقفنا على بعض شعره السائر ، أي ما اشتهر وذاع منه على السنة الناس . وسنجد أنه خالف المألوف ، إذ قد ألفنا أن ما يلفت النظر في القصيدة : حسن مطلعها ، أو جودة ختامها ، أو بيت قصيدها ، أما مشهور أبيات « حافظ » فلم تطرد فيه هذه القاعدة . بل ما أفلح فيه في تصوير الموقف ونجسيده .

من مشهوراته

يقول للبارودي :

أمير القوافي إن لي منبامة
بمدح ومن لي فيه أن أبلغ المدى
أعزني لمديحك البراق الذي به
نخط وأرضي القريض المسددا

وعن اللغة العربية :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل ساءلوا الغواص عن صدفاتي

وفي حريق ميت غمر سنة ١٩٠٢ م :

سائلوا الليل عنهم والنهار
كيف باتت نساؤهم والعداري
كيف أمسى رضيهم فقد الأ
م وكيف اصطل مع القوم نارا



المستشرق
الياباني المسلم
د. شيروتا ناكاشيرو

أجرى الحوار:
أحمد حامد

الإسلام والقرآن جعل الإنسان هو السيد على الأرض

اللغة العربية

● ما الذي
دفعك للتعرف على
اللغة العربية .. حتى
أصبحت تتقنها
قراءة وكتابة؟

● حب الاستطلاع هو بالدرجة الأولى ،
الذي دفعني إلى ذلك ، فقد كنت مولعاً
بالتعرف على قضايا العالم التي كنا لا نعرف عنها
الكثير ، واخترت التعرف على مشاكل وقضايا
الشرق الأوسط ، من خلال القصص والروايات
العربية المترجمة لأدباء وكتاب المنطقة العربية .
باعتباري كاتب قصة ورواية .

لكنني وجدت أن المترجم منها إلى اللغة
اليابانية قليل جداً ، ولا يفيد ، ولا يشفي نهم





حب الاستطلاع في التعرف على القضايا بالمنطقة العربية ، من خلال الأدب . لذا .. أثرت أن أنعم اللغة العربية ، حتى أنقل للقارئ الياباني ، العالم العربي ، والشرق الأوسط ، بكل ما يحمل بين يديه ، حتى لا ينقطع عن العالم . ولهذا .. التحقت بجامعة العلوم الأجنبية ، في أميركا ، وكان حماس الشباب يملأني آنذاك .. حيث كان عمري ، ستة وعشرين عاماً ، ورحت أدرس في نهم وحب ، اللغة العربية ، وبعد أربعة سنوات من الدراسة المستمرة ، استطعت أن أقرأ وأكتب ، وأحدث اللغة العربية ، وأكتب بها وأفهم ما بين سطورها .

حفظت القرآن

● ● وهل استطعت أن تنقل للقارئ الياباني ، صورة حقيقية ، لما يدور في المنطقة العربية والشرق الأوسط؟!

● كتبت العديد من الدراسات والأبحاث ، عن قضايا الشرق الأوسط من خلال تعريفي عليها ، وحازت إعجاب القارئ الياباني ، على جميع المستويات . إلا أنني استطعت أن أقرأ الإسلام في كتب كثيرة ، وقدمته للقارئ الياباني الذي طلب المزيد ، مما جعلني أزيد قراءتي عن الإسلام ، وتاريخه منذ البعثة المحمدية حتى اليوم ، ووجدتني مشدوداً إلى التاريخ الإسلامي أكثر من أي شيء آخر ، وقرأت القرآن الكريم ، وقرأت تفاسير كثيرة

للقرآن ، ورحت أقدمها للقارئ الياباني ، على صفحات الصحف والمجلات .. ، التي أعطتني المساحة التي أريدها ، كي أكتب عن الإسلام والقرآن وبني الإسلام .

ووجدتني مشدوداً إلى الإسلام ، بشكل جعلني أحفظ القرآن الكريم ، وأقدم فيه تفسيرات من اجتهاداتي ، التي استطاعت أن تنشد المسلمين في اليابان وغير اليابان ، حيث تعرفت على مسلمين كثيرين من شتى أنحاء العالم العربي والإسلامي .

وأصبحت مجيداً في الكتابة عن الإسلام ، والتحدث عنه ، فاختارتي الجامعة ، لأكون مدرّساً لتاريخ الثقافة الإسلامية ، وتاريخ الشرفين الأدنى والأوسط .

وأصبحت مهمتي أكثر جدية من ذي قبل ، إذ التف حولي عدد كبير من محبي الاستطلاع الذين يطلبون المعرفة ، ورحت أعطي كل ما أملك حتى إن تلاميذي أطلقوا عليّ اسماً عربياً خالصاً ، وسبقوه بكلمة الشيخ ، وكنت سعيداً بذلك .

خمس عشرة عاماً

● ● هل وصلت بدراستك للإسلام ، وحفظك للقرآن ، وتفسيرك المجتهد

لسوره ، وتدرّس التاريخ الإسلامي ، والثقافة الإسلامية ، عند هذا الحد فقط؟!

● ظلت على هذا الحال مدة طويلة ، وتزوجت يابانية ، ولم أكن مسلماً ، وأنجبت منها ثلاثة ذكور ، وعلى مر الزمن ، وبالتحديد بعد زواجي ، وجدنتي مسلماً ، بيتي وبين نفسي ، وآثرت أن أؤخر إعلان إسلامي مدة غير قليلة ، وبالفعل مرت ستوات خمسة عشر ، منذ عرفت الإسلام وقت بتدريسه ، وأعلنت إسلامي ، وجاهدت به .

ولم أطلب من زوجتي وأولادي ، الدخول في الإسلام ، بل تركتهم يتعرفون عليه ، ويسألوني عنه ، ويسرون أؤدي شعائر ديني الخفيف .

ولم أطلب ذلك من أحد ، ورغم ذلك ، وجدت من يتبعونني في اعتناق الإسلام ديناً ، كثرة هائلة ، وأصبح لي تلاميذ يسألونني عن الإسلام ، وكنت وما زلت أسعد بذلك .

الله .. والإسلام

● ● قل لنا .. ما الذي عرفته في الإسلام؟



لا يعرفون حقيقة الإسلام .. وإلى أي مدى سيظلون هكذا؟!

● سيظل المستشرقون هكذا .. لا يعرفون حقيقة الإسلام ، ويقدمون بذلك تشوهات مقصودة ، وغير مقصودة للدين الحنيف ، باعتبارهم لم يقفوا على اللغة العربية ، التي تعتبر المورد الحقيقي ، للتعرف على الإسلام . فالذي يود أن يعرف حقيقة هذا الدين العظيم ، عليه قبل كل شيء أن يعرف العربية ، ويغوص في أعماقها ، وبعد ذلك ، لن يجد مقراً من أن هذا الدين العظيم ، يحمل بين طياته الحب والحقيقة في هذا العالم .

وسيظل المستشرقون على حالهم هذا - والحديث ما زال للمستشرق الياباني - يحاولون عرقلة المسيرة الإسلامية ، بعدم فهمهم للغة الإسلام ، ولكن إلى المدى الذي يمكن أن يجذوا به ردوداً من علماء الإسلام ، ما داموا لا يودون التعرف على اللغة العربية ليعرفوا ، فعلى علماء الإسلام ، أن يجذوا هؤلاء الذين يقدمون افتراءاتهم ، الإجابات التي تفند هذه الافتراءات .

وهذا لن يأتي من فراغ ، بل يجب أن يكون الرد عليهم نابعاً عن إيمان حقيقي بالرسالة المحمدية ، وفهمهم الحقيقي للإسلام ، وتفسير القرآن .

دعاة لا يخدمون الإسلام

● أتري أن
الدعوة الإسلامية ،



★ المستشرق الياباني د. شبروتا ناكاشيرو مع فضيلة الشيخ أحمد فرحات ، إمام المسجد الحسيني بالقاهرة في المسجد ★

● المستشرقون على كثرتهم ، لا يعرفون الإسلام على حقيقته ، فالإسلام انتشر وما زال بقوة الحجة ، والوحدانية التي انفرد بها .

وقبل كل شيء ، أريد أن أقول لك ، إنني أسمى نفسي بعد إعلان إسلامي باسم « السيد » ، واخترت هذا الاسم ، لسبق اسمي القديم ، لأن الإسلام والقرآن ، جعلوا الإنسان هو السيد على الأرض ، حيث تحمل الأمانة التي ناءت بها الجبال والطبيعة بكل ما تحمل .

وقد نلت درجة الدكتوراه عن « الإنسان .. والقرآن » .

وقد شرفت بالسيد الذي حققته في الرسالة ، فأسميت نفسي به .

● إذن
ما الذي تراه في
المستشرقين الذين

● وهنا ابتسم المستشرق الياباني المسلم ، الدكتور شيروتا ناكاشيرو .. ومرت لحظات راح يتأمل فيها السماء ، وقال : الإسلام .. هو الحب والسلام . وهو الله .

فالذي يعرف الإسلام ، يجده خالياً من التعقيدات ، بسيطاً ، يدخل قلبك وعقلك ، هادئاً ، دون أن تجد ما يصده فيها ، وهذه البساطة واضحة في تعاليمه وشريعته ، وقرآنه الذي يعتبر بكل الحق ، الإعجاز في البساطة والحب والسلام ، حيث يوجد الله .

الجهل باللغة العربية

● إذن أنت
تختلف عن أغلب
المستشرقين الذين
يفترون على
الإسلام؟!



★ د. د. شيرو: عرفت الله في قلبي ،
وعقلي ، وكياني ، وفي الإسلام الذي آمنت به
دارساً ، ومسلماً بعد ذلك .

● الشيخ فرحات : الله أكبر .. الله
أكبر . أريد يا شيخ شيرو أن أسمع صوتك وأنت
تقرأ القرآن .

وهنا تربع الدكتور المستشرق ، المسلم ،
الياباني ، وراح يقرأ القرآن بصوت هادئ
وجميل .

وبعد أن انتهى دكتور شيرو خرجنا ،
تاركين الشيخ فرحات يهلهل ويكبر ، لإسلام
الياباني المستشرق ويدعو الله له .

عودة القدس

● كيف ترى
الحلول لمشاكل
وقضايا الشرق
الأوسط والعالم
العربي ؟

● وحدة الكلمة ، ووحدة الصف ،
ضرورة واجبة ، لحل كل قضايا ومشاكل الشرق
الأوسط .

● كيف ترى
عودة القدس ؟

● على المسلمين في شتى أنحاء العالم
الإسلامي ، والعالم أجمع ، أن يتوحدوا
لتعود القدس عربية إسلامية . ولا شيء
غير ذلك ، تعود به القدس .

● وحدة المسلمين في العالم كله .. ضرورة لإعلاء ث شأن الإسلام



تمر بأزمة ، باعتبارك
مسلياً منذ عشرين
عاماً ، ومتعرفاً على
الإسلام منذ خمسة
وثلاثين عاماً ؟

● اعتقد ذلك .. فدعاة الإسلام في
البلاد غير الإسلامية ، غير مؤهلين تأهيلاً علمياً
ولغوياً ، لمواجهة جماهير محبي الاستطلاع ، ولو
أنهم عرفوا لغة القوم الذين يذهبون إليهم ،
لدخل الإسلام قلوبهم وعقولهم ، لكنني أعتذر
إن قلت إن دعاة الإسلام في الدول غير
الإسلامية ، شأنهم ، شأن المستشرقين ، وهم
لا يخدمون الإسلام ، ولا يدعون إليه ، بل
يشاركون بكل الأسف في هجمات المستشرقين
بغير قصد .

كيف عرفت الله ؟

● أمهذه هي
المررة الأولى ، التي
تزرور فيها مصر ؟

● زرت مصر كثيراً ، وأنا مولع بالصلاة
في مساجدها ، ولن تكون هذه المرة هي
الأخيرة .

ملاحظة : كنت أصلي والمستشرق
الياباني المسلم ، بمسجد مولانا الحسين ،
وبعد أن فرغنا من الصلاة ، طلب أن
يلتقي بإمام المسجد ، وأخذته إليه ،
وإمام المسجد الحسين هو فضيلة الشيخ
أحمد فرحات ، الذي دار بينه وبين
الدكتور شيروتا ناكاشيرو ، هذا الحوار :

● الشيخ فرحات : يا سيد شيرو ..
كيف عرفت الله ؟



بمناسبة
الاحتفال
بذكرى
مردود
خمس
عاماً

شوقي... والريادة الشعرية



بقلم: د. طه وادي

● إن شوقي لظاهرة أدبية مؤثرة في تاريخ الشعر العربي الحديث، وإن شعره خلاصة مصفاة للتراث العربي.. شكلاً ومضموناً، بطريقة فنية، تصل القارئ العربي بكل موارثه في مجال الحضارة والفن.

هناك من الشعراء العظام من يتجاوز حدود عصره وإطار مدرسته الأدبية ليصبح شاعراً خالداً، ومن هؤلاء الشعراء في الأدب العربي كثيرون أمثال امرئ القيس، وطرفة بن العبد، وعنترة بن شداد، وأبي نواس (الحسن بن هاني)، وأبي الطيب المتنبي، وأبي العلاء المعري، وأبي فراس الحمداني وغيرهم من شعراء العربية الكبار في العصور الأولى والوسطى.. أما في العصر الحديث فلا إخال أحداً يبلغ هذه المنزلة سوى جبران خليل جبران، ومحمود سامي البارودي، وأحمد شوقي، وإبراهيم ناجي، وأخيراً بدر شاكر السياب، وصلاح عبد الصبور.

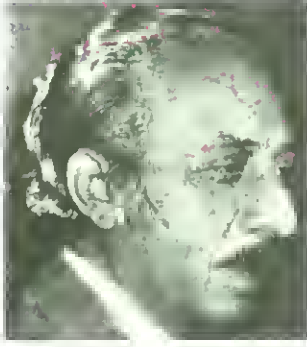


شوقي .. والريادة الشعرية

★ الشبي



★ صلاح
ميد
الصبور



والذي لا شك فيه أن سر عدم ذبوع الأدب العربي بصفة عامة والشعر على وجه الخصوص ، يرجع إلى تكاسلنا ، نحن العرب ، في ترجمة الأعمال الأدبية العظيمة في تراثنا إلى لغات عالمية ، توضح دورنا الثقافي وتبرز وجهنا الأدبي مشرقاً عالياً .. وبهذه المناسبة فإني أتمنى أن تقوم الجامعة العربية أو إحدى بلادنا العربية بإنشاء جهاز للترجمة من العربية وإليها .. وهذا شجئ شرحه يطول ... !

ولنعد إلى موضوع حديثنا وهو أمير الشعر العربي أحمد شوقي (١٨٧٠ - ١٩٣٢ م) .. الذي يعد من أشهر وأشعر شعراء العربية في العصر الحديث . وشوقي مثل المتنبي في أشياء كثيرة منها في البداية أن كليهما بدأ يقول الشعر في صباه ، وأن شعر البلذ عندهما وُلد ناضجاً مستزجاً .. ومن أقدم شعره قصيدة نشرت في الوقائع المصرية في ٧ أبريل (نيسان) ١٨٨٨ م ، ومطلعها :

مُمُ الملوكة علوُّها لا يُنكرُ
والخير يلقى والمآثر تُذكر

ومما يثير العجب في نشأة شوقي أنه درس الحقوق في مصر (١٨٩٠ م) ، ثم سافر في بعثة لمدة ثلاث سنوات إلى فرنسا ليحصل على دبلوم في الترجمة . وهذا يعني أن الهواية والمهنية لا صلة لهما بالتعليم المدرسي أو التدرج الوظيفي .

لقد كان شوقي ونياً للعربية والعروبة .. فقد حفظ القرآن الكريم في السادسة من عمره في « كُتَّاب الشيخ صالح » ثم درس قواعد اللغة والأدب على يد عالين فاضلين من علماء عصره هما : الشيخ حسين المرصفي صاحب كتاب « الوسيلة الأدبية » وهو يعد أول كتاب نقدي في العصر الحديث ، والرجل الثاني هو الشيخ عبد الكريم سلمان .. بالإضافة إلى أن شوقي حفظ كثيراً من الشعر القديم وقرأ ديوانه كله تقريباً ، بل الأعجب من هذا أن شوقي كان

يحفظ بعض المعاجم عن ظهر قلب مثل « لسان العرب » لابن منظور .

كل هذه الروافد الثقافية واللغوية بالإضافة إيمان شوقي القوي بالإسلام والعروبة ، جعله في كل ما كتب يصدر عن مزاج عربي أصيل وعن لسان عربي متين ، لذلك يفتخر كثيراً بأن شعراء العربية أفضل من شعراء الفرنسية . وقد ظل مقتنعاً بهذا حتى آخر حياته (١٩٣٢ م) حين قال :

سائل بني عسرك هل منهمو
من لبس الإكليل بعد الكليل
وأيهم كالمُتنبي امرؤ
صواغ أمثال عزيز المثل
والله ما « موسى » وليلاته
وما « لمرتين » ولا « جرزيل »
أحق بالشعر ولا بالهوى
من قيس المجنون أو من جيل

● ● ● ●

تراث شوقي

وحين نحاول أن نستعرض آثار شوقي نجد أنه ترك تراثاً عريضاً في النثر الفني والرواية .. وفي الشعر الغنائي والمسرحي .

أ - تراثه النثري :

● عذراء الهند أو تمدن الفراعنة ، رواية نثرية ١٨٩٧ م .

● لادباس أو آخر الفراعنة ، رواية نثرية ١٨٩٩ م .

● دل وبتان ، رواية تعد الجزء الثاني للرواية السابقة ١٩٠٠ م .

● ورقة الأس أو النضيرة بنت الضيزن ، رواية ١٩١١ م .

● شيطان بنتاؤور ، حكاية على أسلوب المقامة ١٩٠٠ م .

● أسواق الذهب ، كتاب نثري يشتمل على موضوعات أدبية مختلفة بأسلوب نثري مسجع ، ويبدو أن شوقي متأثر فيه بأسلوب الزمخشري في « أطواق الذهب » والأصفهاني في « أطباق الذهب » ١٩٣٣ م .

ب - تراثه في الشعر الغنائي :

● الشوقيات : ديوان يشتمل على الكثير من شعر شوقي ويقع في أربعة أجزاء ، تبدأ بمقدمة لحمد حسين هيكل ، بعد أن أسقطت المقدمة العظيمة التي كتبها شوقي في الطبعة الأولى للشوقيات .

● دول العرب وعظماء الإسلام : أرجوزة أو ملحمة شعرية تناول فيها شوقي تاريخ الإسلام ورجاله حتى نهاية العصر الفاطمي ، لأن شوقي فيما يبدو كان يُعد هذه المرحلة نهاية الحكم العربي الخالص . وقد كتب شوقي هذه الملحمة أثناء وجوده في إسبانيا (١٩١٤ - ١٩١٩ م) ، لذلك تأثر فيها بالشاعر الأندلسي

★ الدكتور
محمد
حسين
ميكس *



وفي الكعبة الغراء ركن مرحب
بكعبة قصاص وركن عفا
وماسكب الميزاب ماء وإغا
أفاض عليك الأجر والرحمات
و«زمزم» تجري بين عينيك أعيناً
من الكوثر المعول متفجرات
ويرمون إبليس الرجيم فيصطلي
وشانك نيراناً من الجمرات
يُحْيِيكَ «طه» في مضاجع طهره
ويعلم ما عالجت من عقبات
ويُثْنِي عليك «الراشدون» بصالح
وربّ ثناء من لسان رُفَات
لك الدين يارب الخجيج جمعته
لبيت طهور السّاح والعصرات
ويتحدّث شوقي عن القرآن، وعن أمة
الإسلام، في قصيدة طويلة له بعنوان «كبار
الحوادث في وادي النيل» ومما جاء فيها:
تلك آي الفرقان أرسلها الله
ه ضياء يهدي به من يشاء
نسخت سنّة النبيين والرس
ل كما ينسخ الضياء الضياء
وحماها غرّ كرام أشدا
على الخضم بينهم زحمة
أمة ينتهي البيان إليها
وتؤوّل العلوم والعلماء
وفي قصيدة أخرى يتحدث عن فضل

نبي البر بيتة سيلاً
وسنّ خلاله وهدى الشعابا
تفرّق بعد عيسى الناس فيه
فلما جاء كان همّ متابا
وشافي النفس من نزعات شر
كشاف من طوائعها الذئابا
وكان بيانه للهدى مثلاً
وكانت خياله للحق غابا
وعلمنا بناء المجد حتى
أخذنا إثره الأرض اغتصابا
ومائيل الطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال
إذا الإقدام كان هم ركابا

وفي قصيدة أخرى بعنوان «إلى عرفات الله»
يصف فيها مناسك الحج وأماكنه الطاهرة قائلاً:
إلى عرفات الله يا خير زائر
عليك سلام الله في عرفات
ويوم تولّي وجهه البيت ناضراً
وسيم مجال البشر والقسيمات
على كل أفق بالحجاز ملائك
تزفّ تحايا الله والبركات
إذا حُدِث عيسُ الملوك فإلهم
لعيسك في البيداء خير حُداق
لدى «الباب» جبيل الأمين براحة
رسائل وحمانيه النفحات



★ يدر شاعر السياب ★

«لسان الدين بن الخطيب» في أرجوزته «وقم
الجلل في نظم الدول» وقد نشرت عام
١٩٢٣ م.

● الشوقيات المجهولة : وهي كتاب في
مجلدين، جمع فيه المرحوم الدكتور محمد
صبري الربوي .. كثيراً من شعر شوقي الذي
أسقطه من ديوانه، وبعض شعره الذي نشره دون
توقيع منه، والكتاب به بعض تجاوزات، لأنه
نسب فيه لشوقي بعض قصائد ومقالات ليست له،
وقد صدرت سنة ١٩٦١ م.

ج - تراثه في المسرح الشعري
والنثري :

● مصرع كليوباترا : مسرحية شعرية
١٩٢٧ م.

● مجنون ليلى : مسرحية شعرية ١٩٢٨ م.

● عنتره : مسرحية شعرية ١٩٣٠ م.

● علي بك الكبير : مسرحية شعرية
١٩٣٠ م. وقد سبق أن نشرت سنة ١٨٩٣ م.

● قبيز : مسرحية شعرية ١٩٣٠ م.

● الست هدى : مسرحية شعرية ..
وهي للمهابة الوحيدة التي كتبها شوقي، وهي قريبة
في مضمونها من مسرحية لم يكملها شوقي من قبل
بعنوان «النجلية».

● أميرة الأندلس : وهي المسرحية النثرية
الوحيدة في تراث شوقي، وقد كتبها من قبل أثناء
النفي، لكنه أعاد كتابتها من جديد.

مضامين شعر شوقي

حين نتأمل شعر شوقي باحثين فيه عن (وؤية
قومية)، فإن ديوانه كله يعبر عن ذلك بشكل
واضح .. فقد تغنى شوقي بالإسلام ورسوله
والحضارة الإسلامية في أكثر من قصيدة وفي أكثر
من مناسبة .. من ذلك قوله في قصيدة بعنوان
«ذكرى المولد النبوي».





شوقي .. والريادة الشعرية

العلم والتعليم وأهميتها في تطور الأمم والشعوب فيقول :

سبحانك اللهم خير معلّم
علمت بالقلم القرون الأولى
أخرجت هذا العقل من ظلماته
وهديته النور المبين سبيلاً
وطبعته بيد المعلم تارة
صدى الحديد وتارة مصقولا
أرسلت بالتوراة موسى مرشداً
وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرت ينبوع البيان محمداً
فسقى الحديث وناول التنزيلا

وفي نهاية قصيدة « نهج البردة » يناجي الله سبحانه وتعالى بأن يلطف بالمسلمين ، ويوحّد بينهم ، ويزيل ما هم فيه من ضعف ويمن فيقول :
يا رب هبّ شعوب من منيها
واستيفظ أمم من زقّة العدم
فالطف لأجل رسول العالمين بنا
ولا تزد قومهم خفّاً ولا نسّم

وخلاصة ما نودّ التأكيد عليه في هذا المجال أن شوقي لم يترك مناسبة دينية أو شخصية من شخصيات الإسلام في القديم أو الحديث إلا وكتب فيها شعراً عذبا . فقد وهب شوقي نفسه للتعبير عن دينه وعن قوميته ، من هنا لا نقرر سوى الحق والحقيقة عندما نقول إن شوقي شاعر قومي الهوى والعقيدة ، وإنه كان أعظم من تغنى بتاريخ الإسلام ورسوله وحضارته في العصر الحديث .

كذلك فإن شوقي لم يكن الصوت الباكي والمبكي والداعية والمرشد فيما يتصل بمصر فقط من أحداث ، بل كان يصور كل ما يدور في الشرق العربي من أحداث وخطوب ، وكل ما يطرا من مناسبات وقضايا ، من ذلك قصيدته الشهيرة في وصف نكبة دمشق (١٩٢٦ م) بعد أن اعتدى

عليها المستعمرون الفرنسيون والتي يقول في مطلعها :

سلام من صبا بردي أرق
ودمع لا يكفكف يادمشق
ومعذرة البراعة والقوافي
جلال الرؤء عن وصف يدق
إلى أن يقول :

خاها الله أنباء تروا
على سمع الولي بما ينشأ
يفصلها إلى الدنيا بريد
ويحملها إلى الأفاق بزق
تكاد لروعة الأحداث فيها
تخال من الخرافة وهي صدق

نصحت ونحن مختلفون داراً
ولكن كلنا في أهم نشق
ويجمعنا إذا اختلفت بلاد
بيان غير مختلف ونطق

كذلك يُعّد شوقي أعذب صوت وأصدق في التعبير عن الحس الوطني ، ولعل من أصفى شعر الحنين إلى الوطن في ديوان شوقي وأكثره تأثيراً في النفس ما قاله أثناء وبعد نفيه إلى إسبانيا في المدة من سنة ١٩١٤ - ١٩١٩ م .

من ذلك قوله :



★ لاميني ★

وطني لو شعلت بالخلد عنه
نأزعتني إليه في الخلد نفسي
شهد الله لم يغب عن جفوني
شخصه ساعة ولم يخل حسني
وفي قصيدة أخرى بعنوان العودة من المنفى ، يقول عندما هبط أرض مصر لأول مرة بعد النفي :

فبا وطني لقيتك بعذ بأسر
كأن قد لقيت بك الشبا
وكل مسافر سيؤوب يوماً
إذا رزق السلامة والإيسا

وعلى العموم فإن شوقي قد كتب في كل موضوعات الشعر تقريباً ، ولم يكذ يغادر غرضاً من أغراضه إلا وأشد فيها وغنى وأغنى . ولعل من أكثر شعره عذوبة ورقة ما لم نتحدث بعد عنه هنا وهو شعره (الغزلي) ، الذي يدور في إطار عاطفة الحب . وشوقي حينما يتحدث عن الحب والحبوبة لا يفحش في الوصف أو التعبير ، وإنما يدور في إطار المثل السامية والمعاني النبيلة ، وليس في غزله - مع كثرة - ما يندش الحياء أو ما يصرح بمعنى أو صورة مبتذلة ، فغزله في جملة سواء أجاء في مقدمات قصائد أم في قصائد مستقلة ، يدور في إطار المعاني المثالية والصور العذرية للحب والحبوبة . من ذلك قوله في بداية مدائحه :

الله في الخلق من صب ومن عاني
تغنى القلوب وبق قلبك الجاني
صوت جمالك عنا إننا نشق
من الثراب وهذا الحس روحاني

وفي قصيدة بعنوان « رحلة » في لبنان جاء هذا الجزء الغزلي الذي يقول فيه :

يا جارة السوادي طربت وعادني
ما يشبه الأحلام من ذكرا

وفي قصيدة أخرى بعنوان « ييني في الحب
وبينك » يقول فيها :

ييني في الحب وبينك ما
لا يقدر واشر يُفسدُه
ما بال العازل يفتح لي
باب السلوان وأوصدُه
ويقول تكاد تُجِنُّ به
فأقول وأوشك أعبدُه
مولاي وروحي في يده
قد ضيَعها سَلَمْتُ بَدُه

إلى أن ينهي القصيدة مؤكداً حبه للحبيب
بقوله :

ما خُنْتُ هواك ولا خَطَرْتُ
سلوى للقلب تُبرِّده

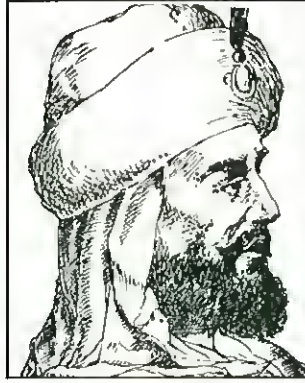
وهذه المقطوعة (معارضة) لقصيدة الشاعر
الأندلسي الحصري القيرواني والتي مطلعها :

يا ليل الصب متى غَدُه
أقيم الساعة موعدُه
أرق السمار وأزقه
أستف للبين يُرددُه

شعر شوقي .. والتشكيل

كل الموضوعات التي عبر فيها شوقي كان
المحتوى الشعري يتشكل من أفكار وصور ومعاني
عربية خالصة مستمدة من (التراث) ، فالتراث
القديم بجميع روافده كان المعين الذي يستمد منه
شوقي كل معانيه وصوره ، ولا تأخذنا الدهشة
أحياناً إذ نجد يتحدث مثلاً عن موقف من مواقف
التاريخ الفرعوني القديم فنراه يستلهم معاني عربية
إسلامية هذا الموقف بسبب من سيطرة التراث
عليه ، فهو مثلاً حين يصور في قصيدة (النيل)
زيارة الفراعنة لمقابر ملوكهم يستعير هذا المشهد
مثلاً عربياً إسلامياً فيقول :

وإذا هم حجروا القبور حبستهم
وفد العتيق بهم ترامى الاتيق



★ امرو القيس ★

يأتون طيبة بافندي أمامهم
يغشى المدائن والقرى ويُطبِّق
وجرث زوارق بالحجيج كأنها
رُقَطُ تدافع أو سهام تَمُرُّ

ليست المعاني عنده وحدها المستمدة
من التراث العربي بجميع روافده التاريخية
والأدبية والدينية بل إن مصادر الخيال
ومنايع الصورة في شعره أيضاً كلها
مستمدة من الواقع الصحراوي العربي
ومن مثاليات الشعر العربي القديم ..
خاصة في مراحل التحضر الإسلامية
والعباسية والأندلسية . فكل تشبيه
أو استعارة أو كناية عند شوقي يسهل
رذها إلى مثل لها من التراث الشعري
العربي القديم .

فقصيدة شوقي التي يري فيها أمه ومطلعها :

إلى الله أشكو من عوادي النوى سَهْمًا
أصاب سُويداء الفؤاد وما أصمى
من الهاتكات القلب أول وهلة
ولا داخلت لحماً ولا لامست عَظْمًا

فالصور في هذه القصيدة — على سبيل
المثال — صدى لصور أستاذه المتنبي الذي عارضه
في هذه القصيدة وفي غيرها .

فإذا أضفنا إلى هذا سمة أخرى يشترك فيها
شوقي مع أستاذه المتنبي وهي البناء المعجز

للجملة العربية ، ف لغة المتنبي وشوقي لغة
ذات صفاء ونقاء ، بحيث يقدّم شعر كل منهما
الصياغة المثلى لبناء الجملة العربية على مستوى المجاز
والإعجاز ، فمن أراد أن يتعلم العربية لغة
فعليه بالمتنبي وشوقي وغيرهما من شعراء
العربية الفحول ، وإذا كان شوقي قد أخذ
عن المتنبي جمال الصياغة فقد أخذ عن
أستاذ آخر هو أبو عبادَة البحتري إشراق
الديباجة وسهولة العبارة وموسيقية
التعبير . وليس هذان الشاعران : المتنبي
وأبو عبادَة البحتري وحدهما فقط هما اللذان تأثر بهما
شوقي ، فمن يدرس مجال (المعارضة) في شعره
وفي مسرحه تتضح له البنائوراما الواسعة لشعراء
العربية التي تغذى عليها شوقي واستمد منها عروبة
الفن .

وهذا ما يقرب شعر شوقي إلى اليوم إلى
الوجدان العربي .. وهو الذي جعل شعراء
العربية يجمعون على مبايعته أميراً للشعر
العربي سنة ١٩٢٧ م .

غاية ما نريد أن نؤكد به بالنسبة لشوقي
أنه أصبح (ظاهرة) أدبية مؤثرة في تاريخ
الشعر العربي الحديث ، وأن شعره قدّم
— ولا يزال — للقارئ العربي خلاصة
مصفاة للتراث العربي : شكلاً ومضموناً
بطريقة فنية تصل القارئ العربي بكل
موروثاته في مجال الحضارة والفن .



الصناعة النحوية بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى

(٤) اسم الأحرف المشبهة بالفعل ،

وذلك في مثل قول الشاعر :

كانت خارجاً من جنب صفحته

سفوؤ شرب نسوه عند مُفتاد

قال صاحب خزائن الأدب في التعليق

على هذا البيت : إنّ خارجاً حال من الفاعل

المعنوي وهو الهاء لأن المعنى يشبه خارجاً^(٤) .

(٥) المبتدأ إذا كان الخبر فعلاً نحو :

خالدٌ حضرَ وزيدٌ جاءَ فكل من «خالد»

و «زيد» فاعل في المعنى وإن كان مبتدأ في

الوظيفة . واعتماداً على المعنى هذا أجاز

الكوفيون أن يتقدم الفاعل على الفعل أو

الصفة في مثل قول الشاعر :

ما للجمال مشيهاً ويبدأ

أجنسداً يحملن أم حديداً؟

فقد جعلوا «مشيهاً» هنا فاعلاً للصفة

المشبهة «ويبدأ» على الرغم من تقدمه عليها^(٥) .

(٦) بعد أفعال التعجب في نحو قولنا :

ما أحبه إليّ . ضمير الغائب هنا مفعول به في

المعنى وضمير المتكلم فاعل بعكس قوهم :

ما أحبه لي فضمير الغائب هنا فاعل في المعنى

وضمير المتكلم مفعول به^(٦) . ولكن الإعراب

يختلف عن ذلك كله إلا في المثال الأول حيث

جاء ضمير الغائب مفعولاً به في المعنى وفي

الحل .

ونستطيع أن نعرض مواضع أخرى يكون

فيها اللفظ فاعلاً في المعنى وإن كان تمهيزاً

أو حالاً أو مجروراً بالحرف في الصناعة النحوية .

وهو لا يذكر إلا لغايات معنوية بحتة كالرغبة في

الإيضاح أو الموازنة أو تحديد العلاقات في

الجملة .

ولو توقف الأمر عند هذا الحد هان الأمر

ولكن دارسي النحو يتروطون في مزالق أكبر من

هذه وأخطر حين يرتبون على كون اللفظ فاعلاً

لا شك أن للصناعة النحوية قوانين وأصولاً خاصة بها . وهي قائمة في أساسها على علاقات لفظية معينة . وعلى الرغم من أن النحوي لا بد أن ينظر إلى المعنى في وضع قواعده وأصوله فإن اعتماده على المعنى كان محدوداً ويقدر معين وبشكل لا يسيء إلى الصناعة النحوية ولا يخرج عن قواعدها . ولقد تطرقت إلى هذا الموضوع في عدة مناسبات ومواقع . ولكن تلك المعالجات لم تكن كافية في إعطاء نظرة محددة إلى هذا الموضوع . وذلك إما لأنها كانت إيجائاً ضافية ، وإما لأنها كانت إشارات خاطفة . فلا الأبحاث الضافية ولا الإشارات الخاطفة بقادرة على تقديم الصورة الواضحة عن أفكاره وآرائه بهذا الصدد . ولذلك أحببت أن أتم بالموضوع إلمامة شاملة تلم بشوارده وتجمع أطرافه ، فتجعله بارز المعالم واضح الحدود في ذهن القارئ الراغب في الاطلاع على حدوده وأبعاده .

بقلم: د. جميل علوش

«زيد» و «خالد» فاعلاً في المعنى فهذا ما لا قيمة له ، لأن الفاعل في المعنى لا يترتب على وجوده شيء في الصناعة النحوية .

الفاعل في المعنى والصناعة النحوية

وقد أشار النحاة إلى عدة مواضع يجيء فيها اللفظ فاعلاً في المعنى دون أن يكون فاعلاً في الصناعة النحوية . فن تلك المواضع ما يلي :

(١) التمييز في مثل قولهم تفقأ الكبش شحماً ، وتصبب الجسم عرقاً ، ونفجرت الأرض عيوناً^(١) . فالتمييز في هذه المواضع كلها فاعل في المعنى لأنه منقول عن فاعل وهو مع ذلك تمييز منصوب .

(٢) التمييز الواقع بعد اسم التفضيل في نحو : زيدٌ أكرمهم أباً^(٢) . فالتمييز هنا فاعل في المعنى لأنه في تقدير «كرم أبوه» ولكنه تمييز في الوظيفة .

(٣) الحال في نحو : جاء زيدٌ راكباً . فالحال هنا فاعل في المعنى ، كما ذكر أبو علي الفارسي^(٣) .

وسرُ الإشكال في هذه القضية الاعتماد الكامل على المعنى والانفلات من قيود الصناعة النحوية . فالبالغة في الجري وراء المعنى وتحكيم هذا المعنى في صياغة القواعد النحوية كان لا بد أن يجر إلى الخلل والفوضى والخروج عن روح الصناعة النحوية التي تعتمد على اللفظ كما أسلفنا .

ومن المواضع التي يخرج فيها المعربون عن حدود المقبول في تتبع المعنى والاعتماد عليه موضوع الفاعل . فكثير من السداسين لا يفرقون بين الفاعل في المعنى والفاعل في الصناعة الإعرابية إذ إنهم يجعلون المضاف إليه فاعلاً في نحو : اقترافُ زيدٍ الذنبُ وقراءةُ خالدٍ الدرسَ . فكل من «الذنب» و «الدرس» هنا مفعول به . وهذا لا خلاف عليه ولكنهم يترهون أنه لا يمكن أن يكون مفعول به إلا إذا كان ثمة فاعل . فيعتبرون كلاً من زيد وخالد فاعلاً . ويزعمون أن هذين اللفظين مجروران لفظاً مرفوعان محلاً . ومن المعروف أن الحديث عن اللفظ والمحل لا يكون إلا في حالة الاسم المبني والاسم المجرور بحرف الجر الزائد فضلاً عن إعراب الجملة . وفي الجملتين السابقتين جاء الفاعل اسماً معرباً فكيف يجوز إذن الحديث عن اللفظ والمحل ؟ . أما أن يكون كل من

في المعنى تخريجات عجيبة عندما يصفون هذا اللفظ المجرور لفظاً الفاعل معنى أو يعطفون عليه على المحل حسب زعمهم ، فيقولون مثلاً : سرتي قدومٌ زيلٌ وعمرو . مجر زيلٌ على الإضافة وهو صحيح ورفع «عمرو» على محل «زيد» الذي هو فاعل في المعنى^(٧) .

ولقد أنكر هذا الاستعمال بالاتباع على المحل كل من سيبويه وابن جني وابن هشام . وأكد ابن هشام أنَّ حذاق النحاة يمنعون هذه المسألة لأسباب عرضها في مغني اللبيب^(٨) ، فلم يبق إذن مجال للقول بصحة الاتباع على المجرور بالرفع بل إن الاتباع بالرفع على المجرور هو من قبيل العطف على التوهم الذي لا تجيزه شروط الكلام الفصيح ولا تقبله قواعد العقل والمنطق . لقد آن لدارسي النحو أن يعلموا أن الفاعل في الصناعة النحوية لا يمكن أن يوجد حتى تتعقد عملية الإسناد الذي هو علة الرفع في الفاعل . أمّا أن يكون فاعلاً بلا إسناد فشيء مستحيل . فالإسناد هو علة الفاعلية بدليل أنَّ المفعول به إذا ما أسند إليه ارتفع كما يرتفع الفاعل فنقول : كُشِفَ السُّرُّ . فالسرُّ هنا مرفوع لأنه نائب فاعل على الرغم من أنه مفعول به في المعنى . مما يدلُّ على أنَّ المعنى لا يقرر الوظيفة الإعرابية .

هذا في المرفوعات ، أمّا في المنصوبات فالشأن آدمى وأخطر . ونستطيع أن ندلل على ذلك في ثلاثة مواضع :

٩ - التمييز

حيث يخرج فيه النحويون من النصب إلى الجر بالإضافة ثم إلى الجر بالحرف . ويصرون على أن اللفظ في حالة نصبه وجره بالإضافة وجره بالحرف تمييز ؛ وذلك في نحو قوله : اشتريت رطلاً عنباً واشتريت رطلَ عنبٍ واشتريت رطلاً من عنب^(٩) . وهم يصرون في كتب النحو على أنَّ «عنباً» بالنصب و«عنب» بالإضافة و«من عنب» على الجر بالحرف ، يصرون على أنَّ عنباً في حالاتها الثلاث تمييز . ومن المعروف أن التمييز يجيء منصوباً وأنَّ ما جاء مجروراً ليس تمييزاً أو إن كان تمييزاً في

المعنى ، فالمعنى كما قلنا لا يحدد الوظيفة الإعرابية .

ومن هذا القبيل ، حديثهم عن تمييز «كم» الاستفهامية و«كم» الخبرية . أمّا «كم» الاستفهامية فلا شك أن الاسم الواقع بعدها يكون منصوباً على التمييز . ولكن «كم» الخبرية يكون الاسم الواقع بعدها مجروراً على الإضافة . لها علاقة التمييز بالموضوع ؟ بل ما قيمة التمييز في المعنى إن كانت حجته أنه لذلك أعرب تمييزاً ؟ .

أليس مما يدعو إلى الفوضى أن يكون التمييز تارة منصوباً وطوراً مجروراً بالإضافة وطوراً آخر مجروراً بالحرف ؟ وإذا كان التمييز يُعَدُّ في المنصوبات ، وإذا كانت كتب النحو تذكر أن التمييز حكمه النصب ، فكيف نقنع الطالب بعد ذلك أن التمييز قد يجيء مجروراً ولا سيما بعد الأعداد والمقادير ؟ كيف يقبل الطالب أن تكون المعدودات بعد العدد المفرد مجرورة على التمييز والتمييز منصوب ؟ . وذلك في نحو : ثلاثة رجال وأربعة كتب وخمسة دواوين إلخ . . . ولذلك نرى أن نقرر أن التمييز لا يكون إلا منصوباً وأنَّ ما وقع مجروراً بالإضافة أو بالحرف ليس له علاقة بالتمييز ولا فائدة من إعرابه تمييزاً . فالكلمة الواحدة لها إعراب واحد في الموضع الواحد وتقدير واحد . وقد يكون لها إعراب آخر بتقدير آخر .

وعلى هذا الأساس يمتنع من الآن فصاعداً الحديث عن التمييز بعد «كم» الخبرية و«كم» الاستفهامية فلكل حادث حديث . بل ينبغي أن نقول : الاسم الواقع بعد «كم» الاستفهامية يكون منصوباً على التمييز والاسم الواقع بعد «كم» الخبرية يكون مجروراً على الإضافة .

والسؤال هو : هل جر الاسم الواقع بعد «كم» الخبرية مثلاً لأنه مجرور بالإضافة أم لأنه تمييز ؟ الجواب الصحيح هو أنه جرُّ لأنه مضاف إليه ، وإذا كان الأمر كذلك فما قيمة الحديث عن التمييز بالنسبة لاسم قد جرَّ بالإضافة ؟ إن المسوغ لهذا الخلط

هو عدم وضع الحدود بين تفسير المعنى وتقدير الإعراب . فإذا يفيد ذكر المعنى الذي يحمله المضاف إليه بعد أن نراه مجروراً بالإضافة ؟ أليس الحديث عن التمييز بعد ذكر الجر هو من الكلام الذي لا فائدة من ذكره . وإذا كان من غير الجائز إطلاق التمييز على ما يجيء مجروراً بعد المقادير والعدد وكنائياته . فإذا نطلق على تلك الأسماء ؟ من الواضح أن تلك الأسماء ليست بحاجة إلى وظيفة نسبها إليها لأنها كما ذكرنا مجرورة بالإضافة أو بالحرف . فالمقصود إذن البحث عن تسمية غير وظيفية لها لأن التسمية الوظيفية التي يتطلبها الإعراب موجودة وهي بالإضافة أو الجر بالحرف . وما دام الأمر كذلك فإنه من الجدير بنا أن نجد التسمية المناسبة لهذه الأسماء المجرورة .

ولنا أن نستفيد من خبرة المتقدمين في هذا الموضوع . فهذا ابن الأنباري في «أسرار العربية» يقول في حديثه عن «كم» الاستفهامية : فلهذا كان ما بعدها في الاستفهام منصوباً^(١٠) . ويقول عن «كم» الخبرية : ولهذا كان ما بعدها مجرور في الخبر^(١١) فابن الأنباري لم يقل «مميزها» أو تمييزها بل قال : ما بعدها . وقد سار على هذا النهج ابن الخشاب أيضاً فقال في حديثه عن «كم» الاستفهامية : والمذكور بعد «كم» في الاستفهام منصوب على التمييز إن كان منكوراً^(١٢) وقال عن «كم» الخبرية : هذا الاسم بعدها مجرور^(١٣) . فقوله الاسم المذكور بعد «كم» أو الواقع بعدها أو الذي يقع بعدها أو يذكر ، كل ذلك صحيح ومناسب ومقبول وهو التعبير الذي يلتزمه النحاة الحذاق الذين يقدرّون مطارح الكلام ويعرفون أبعاده .

وقد رأيت بعض النحاة يستخدمون لفظ «المبَيَّن» في مثل هذه الحالات . وعلى الرغم من أن المبَيَّن والتبيين والمفسر والتفسير والمميز والتمييز كلها مصطلحات مستخدمة في هذا المعنى . فإنه من الممكن أن نستخدم كلمة المبَيَّن في هذا الموضوع ، لأنها ليست متداولة ولا مشهورة مثل التمييز فلن يحصل من جرّاء استعمالها التباس كما لو استعملنا التمييز : فيكون المبَيَّن لما يدل على معنى والتمييز لما يدل على

وظيفة . ونخلص بذلك من كل إشكال ينشأ من استخدام التمييز في المنصوب والمجرور .
هذا اقتراح ؛ والاقتراح الآخر أن نستخدم لفظ المعدود والمكي بعد العدد وكنائياته ، فالمعدود بعد الأعداد والمكي بعد كنيات العدد مثل « كم » الخبرية ، فلا نستخدم التمييز إلا لما حكمه النصب من الألفاظ التي تبيّن الأسماء المبهمة .

٢ - المفعول لأجله

يقول بعض النحاة : يجوز في المفعول لأجله إذا كان مصدرًا مضافاً للنصب والجور ، وذلك في نحو : تصدقت ابتغاء مرضاة الله أو لابتغاء مرضاة الله^(١) والصحيح أن هذين أسلوبان جائزان في الاستعمال العربي . ولكن الخطأ يكمن في كيفية عرض هذا الجواز ، إنه من الخطأ أن نقول : إن المفعول لأجله يجوز فيه النصب والجور إذا كان مضافاً . والخطأ الكبير والشنيع هو اعتبار « ابتغاء » في حالة الجر مفعول لأجله دون شك ولكن أن تحتفظ بهذه الوظيفة في حالة الجر فتضي عجب . إن المفعول لأجله كالتمييز منصوب ولا يمكن أن يكون مجروراً . فإذا جرّ أصبح مجروراً بالحرف ؛ وصار الحديث عن المفعول لأجله ضرباً من الخلط وعدم التمييز بين الوظائف الإعرابية .

ومن هذا القبيل الخطأ الذي يقع فيه بعض الدارسين أو المدرسين في إعراب هذا البيت :
وإني لتعروني لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلله القطر

فهم يعربون « لذكراك » مفعولاً لأجله مع أنها مجرورة باللام . ومن المعروف أنه يشترط أن يكون فاعل الفعل وفاعل المصدر واحداً . نقول : وقف الطالب احتراماً لأستاذه ، فالذي حصل منه الوقوف هو الذي حصل منه الاحترام . فهذا شرط أساسي في المفعول لأجله . أما في البيت السابق فالأمر يختلف عن هذا ففاعل « تعروني » هي « هزة » وفاعل « ذكراك » هو المتكلم . وإذا اختلف الفاعلان فاعل الفعل وفاعل المصدر لم يبق ثمة مسوغ لانتصاب المفعول لأجله .

ويبدو مما سبق أن إعراب « ذكراك » مفعولاً لأجله هو ضرب من الخلط بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى . فإن « ذكراك » هنا مجرور باللام ، وهو مضاف وضمير المخاطبة في محل جر مضاف إليه ولا مكان للمفعول لأجله في البيت .

٣ - الاستثناء

يقع في هذا الموضوع كثير من الخلط الذي لا يقبله عاقل . فهم يجعلون المستثنى منصوباً حكماً ثم يروحون يحشدون تحت باب المستثنى المرفوع على البدلية والمجرور بالحرف والمرفوع على الفاعلية وهكذا^(٢) . وأحب أن أؤكد بهذا الصدد الحقائق التالية :

أ - أن المستثنى لا يكون إلا منصوباً .
ب - ما جاء بدلاً في الجمل التامة المنفية في نحو : ما جاءنا أحد إلا زيدا أو زيداً . فزيد في حالة النصب منصوب على الاستثناء . ولكنه حين يرفع على البدلية لا يكون مستثنى البتة ؛ بل لا تبقى له علاقة بالاستثناء إلا من حيث المعنى فقط .

ج - حين يقع الاسم بعد عدا أو خلا أو حاشا إذا جاء منصوباً اعتبر مستثنى وجاز لنا إدراجه في موضوع الاستثناء . أمّا إذا جاء مجروراً فالأجدر بنا وضع إشارة في الحاشية نردّه فيها إلى باب المجرورات .

د - أمّا غير وسوى فتتصبان على الاستثناء عند استيفاء شروط النصب . وأمّا ما يضافان إليه من أسماء فلا علاقة له بالاستثناء لأنه مضاف إليه في الإعراب لأن عمل الاستثناء وقع على غير وسوى .

هكذا ينبغي أن يعالج موضوع الاستثناء لا أن يخلط فيه المرفوع والمنصوب والمجرور والبدل . فأئني استثناء هو البذي يكون حكمه النصب في الأصل ثم يجد هذا الحكم وقد تنازعت أحكام أخرى حتى صرنا لا نعرف هل المستثنى منصوب أو مرفوع أو مجرور .

لقد آن الأوان لأن نتوقف عن الحديث عن المستثنى في المعنى ، بل ينبغي أن نتحدث عنه

باعتباره وظيفة إعرابية . وهو في هذه الحالة لا يكون إلا منصوباً ليس غير . أمّا حالات الأخرى من اتباع أو جر أو حصر فهي حالات تمت بصلة ضعيفة إلى موضوع الاستثناء كما فهمه النحويون . بل إن الحصر يمت بصلة وثيقة إلى علم البلاغة .

ويبدو مما سلف أن تحكيم المعنى في تحديد الوظيفة الإعرابية عمل مضلل ، بل هو عمل غير علمي لأن الوظيفة الإعرابية تقوم على علاقات خاصة بين أجزاء الكلام . وهذه العلاقات قد تتفق مع المعنى وهذا هو الأصل ولكن الاتفاق مع المعنى ليس شرطاً لأن اللفظ يبقى هو الأساس في تحديد الحالة الإعرابية . وعلى هذا الأساس ينبغي لنا أن نلتزم الدقة في معالجة هذه القضايا وأن نقسّم بجذائق النحاة كما يقول ابن هشام لا بأوساطهم ومغفلهم خدمة للنحو وحرصاً على عرض مسائله وقضاياها بكل وضوح وجلاء .

المواشي

- (١) جامع الدروس العربية : الشيخ مصطفى الغلابي ، ج ٣ ، ص ١١١ . وانظر الأضاف في مسائل الخلاف لابن الأثير ، ج ١ ، ص ١١١ ، ١٧٤ . وأسرار العربية لنفس المؤلف ص ١٩٦ .
- (٢) شرح ألفية ابن مالك لابن الناطم ، ص ١٣٨ وانظر حاشية العثبان ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .
- (٣) الإيضاح العسدي : تحقيق حسني فرهود ص ٢٠٣ .
- (٤) خزائن الأدب ، ج ٣ ، ص ١٨٥ .
- (٥) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ، تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد ، ج ١ ، ص ٣٣٧ .
- (٦) جامع الدروس العربية ، ج ١ ، ص ٧٠ - ٧١ .
- (٧) جامع الدروس العربية ، ج ٣ ، ص ٢٨٠ .
- (٨) مفتي اللبيب ، تحقيق الشيخ محيي الدين عبد الحميد ، ج ٢ ، ص ٤٧٥ . وانظر المرجع في اللغة العربية للشيخ علي رضا ، ج ١ ، ص ٧١ .
- (٩) جامع الدروس العربية ، ج ٣ ، ص ١١٠ .
- (١٠) أسرار العربية ، ص ٢١٥ .
- (١١) نفس المصدر والمكان .
- (١٢) المرجع . تحقيق علي حيدر ، ص ٣١٧ .
- (١٣) نفس المصدر والمكان .
- (١٤) المرجع في اللغة العربية ، ج ٢ ، ص ٧٠ .
- (١٥) انظر مثلاً جامع الدروس العربية ، ج ٣ ، ص ١٢٣ وما بعدها .

من المكتبة السعودية



يسعد مجلة «الفصل» أن تفتح هذه النافذة الجديدة إلى جانب النوافذ الأخرى، لإسهام في تسليط الأضواء على الحركة الفكرية والأدبية والعلمية في المملكة العربية السعودية من خلال إصدارات الكتب العديدة في مختلف فروع المعارف الإنسانية.. وذلك لإيمانها بفاعلية هذا الاهتمام الهادف إلى مد جسور جديدة بين الحركة الأدبية والعلمية في المملكة، وبين القراء في الوطن العربي الكبير.

وقد استقطبت المجلة لتحقيق هذا الهدف أقلام النقاد والباحثين والدارسين في مختلف أقطار الوطن العربي، ولكي نحقق ما نطمح إليه فإن الكتاب والأدباء والمؤسسات الثقافية السعودية مدعوة للتعاون معنا بتزويدنا بنسخ من الإصدارات القديمة منها والجديد.. والله الموفق.

العقيلي، و (المعجم العربي.. نشأته وتطوره) لحسين نصار، و (الأدب العربي في آثار الدارسين) لعدد من الأدباء العرب، و (قصة الأدب في اليمن) لأحمد محمد الشامي، و (الحميني.. الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي) لعبد الرحمن السرفاعي، و (في الأدب الجاهلي) لطف حسين، و (تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية) لعثمان حافظ، و (الصحافة في الحجاز: ١٩٠٨-١٩٤١ م) لغمد الشامخ، و (موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية) لمحمد ناصر بن عباس، و (أرض بلا مطر) لإبراهيم الناصر، و (أدب السجون) لعبد العزيز الحلقي، و (ذكريات في البادية) لحسن نجيلة.

وإن المؤلف لا يظل عصوراً - في اهتماماته الأدبية - ضمن إطار الكتاب السعودي، وإنما يخرج إلى دائرة الكتاب العربي الأوسع. ولقد نشر المؤلف مقالاته عن تلك الكتب اللغوية

● الكتاب: حصاد الكتب. عرض وتحليل ونقد.

● المؤلف: علي محمد العمير.

● الناشر: دار العمير للثقافة والنشر - جدة، ط ١، (١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م)، ١١٩ صفحة.

قدم لنا المؤلف علي العمير في كتابه حصاد مجموعة من الكتب العربية.. وكلها لمؤلفين معاصرين ما عدا واحداً قديماً. وإنه لمن الصعب علينا في هذا المجال الضيق أن نلم بمحتويات تلك الكتب، أو نعرض شيئاً مما تناوله المؤلف عنها. وكل ما في مقدورنا هو أن نقف عند شخصية المؤلف في طريقة عرضه وتحليله ونقده.. بعد أن عرفنا ما هي الكتب التي عرضها: وهي الكتب التالية:

(الأغاني) لأبي فرج الأصفهاني، و (في شمال غربي الجزيرة) لحمد الجاسر، و (تاريخ الخلاف السلجاني) لمحمد بن أحمد

الحد الأدنى مما حققه غيره في كثير من شؤون الحياة العامة، مع أنهم يقلون عنه شأنًا. وأول ميزة بارزة تصادفنا في كتابة المؤلف هي: الاستطراد قبل أن يتلمس موضوعه الرئيسي. حتى أنه أشار إليها في إحدى مقالاته، واعتبرها ليست مذمة: «ولقد استطردت كثيراً، وهذا الاستطراد يجزني إلى استطراد آخر... الاستطراد في الأدب العربي ميزة وليست مذمة» (ص ٦٤). ولكنها في النقد تظل غير مستحبة، خاصة وأن المؤلف في كتابه ارتأى له منهج العرض والتحليل والنقد، أي أن تسوده الروح النقدية لا الأدبية التي يمكن لها أن

والأدبية والتاريخية - كما هو مثبت في نهاية كل مقال من كتابه - في أوقات مختلفة، وفي الدوريات السعودية كمجلتي العرب واليمامة، وصحيفتي البلاد وعكاظ. وأكثرها كتبت عام ١٣٩٢ هـ، ونشرت في البلاد، بينما البقية في الأعوام: ١٣٨٦ هـ، و ١٣٨٧ هـ، و ١٤٠٢ هـ، وهناك مقالات بلا تواريخ، ولا ندري: أنشرت من قبل أم لا؟!

وبحاول المؤلف - من مقدمة الكتاب - أن يعرفنا بشخصيته. فيبدو أنه لم يحقق شيئاً في الحياة سوى ما اشتهر به الأدباء الذين احترقوا صحبة الكتب من بؤس وتعب.. ولم يحقق إلا



★ علي محمد العمر ★

تستطرد مع تداعي الخواطر ،
والتذوق الشخصي .

ويبدو أن المؤلف متأثر
بأسلوب الرواد من النقّاد
والأدباء وعلى رأسهم طه
حسين الذي طبع على
الاسترسال الفكري ،
والدوران حول الفكرة طويلاً
قبل أن يلامسها . لذلك
فقد يتخذ الاستطرد - عند
المؤلف - شكلاً آخر من
أشكال التلاعب أو التشقق
الصياغي الذي لا طائل من
ورائه .. كان يقول : « فهل
في هذا الرأي الحق كل
الحق ؟ أم هو الحق يشوبه
شيء من الباطل ؟ أم هو
الباطل فيه شيء من الحق ؟ »
ص (١٠١) . فكان
الاستطرد والنأي عن
موضوع الكتاب الرئيسي
- أحياناً - لا يبقيان له مجالاً
ليلمّ بكل جوانب الكتاب
الذي يتهيأ لعرضه
وتحليله .. وهذا ما يجعل
قارئه جاهلاً الكثير من ذلك
الكتاب .

وكان على المؤلف - وكل
من يتصدى لعرض الكتب
وتحليلها ونقدها - أن يقدم
ملخصاً أو كشفاً لمحتويات
الكتاب ، لتفتح القارئ فكرة

شاملة عنه ما كانت لتتوفر
له بدونها .

على أن المؤلف يضع أمام
القارئ - مرة واحدة -
فهرساً محتوى أحد الكتب
التي عرضها ، ويعترف بأنه
خرج عن عادته ، فيقول :
« تلك هي محتويات الكتاب ،
وما كنت لأورد هذا
الفهرس . وليس ذلك من
عادتي في تقديم الكتب ، لولا
أن ذلك يدل أكبر دلالة على
أهمية الموضوعات التي تطرق
إليها الكتاب بالشرح
والتفصيل بكل دقة »
ص (٦٨) . ومرة أخرى
يعرض محتوى الكتاب [في
شمال غربي الجزيرة] عرضاً
خاطفاً .

ولكن المؤلف - فيما
يبدو - مدرك تماماً كيف
يتعامل مع القارئ ، ومدرك
ظروفه ، وظروف العصر .
وطبيعة الصحف السيارة ..
فيقول فيما نحن بصدد :
« عدت فقرأتها - دراسات
كتاب الشامخ - من جديد ،
لأقدمها للقارئ في عرض
موجز وتعليق سريع قدر
ما يمكن ، بل أقصى ما يمكن
أن تطيقه جريدة يومية ،
رغم أن قارئ الجريدة

لا يطيق في الواقع مثل هذه
الدراسات » ص (٩٤) .

ومن خصائص المؤلف
أيضاً : الشخصية النقدية
الحادة . وتتضح تلك
الشخصية حين يتصدى لنقد
ودحض آراء الآخرين بجرأة
وثقة : وقد تصل به تلك
الثقة إلى التجني على بعض
الأعلام القدامى
 والمعاصرين ، والتهميم
بلا مبرر ، ولا يخدم ذلك
موضوعه .. خاصة وهو في
موقف نقدي لتراث شامخ
كالأغاني ؛ لأن هيبة هذا
التراث لا تجيز الهجوم على من
يقدم على دراسته أو إبداء
الرأي فيه ، ولا تسفيهه .
فيقول عن بعض الأدباء
الذين درسوا كتاب الأغاني
إنهم : « يعتبرونه حجة من
الحجج المطلقة .. خاصة فيما
يسندونه من الروايات ، فإن
الروايات المسندة شيء فائق
في نظر كثير من أغبياء
الباحثين أو المتأدبين أو
أدعياء البحث والأدب .. »
ص (٢٤) . كما يعتبر المؤلف
هذا التطرف النقدي عين
الصواب ، لأنه ينطلق من
روح المسؤولية والواجب ..
إذ يقول : « قد يقول قائل :
إن هذا تناول مني على ابن

خلدون وأمثاله .. أما أنا
فأقول إنه لم يقتلنا في دراسة
تراثنا وتاريخنا إلا شيوع تهمة
(التناول) بيننا . وإلا فما
قيمة الرأي إذا لم يقف
موقف النقاش مع ابن
خلدون أو غيره »
ص (٣٢) .

وقد تقوده تلك الثقة
أحياناً إلى إطلاق أحكام
سريعة . يعوزها القهمل
والتحقيق ، كان يقول عن
كتاب الدكتور حسين نصار
[المعجم العربي .. نشأته
وتطوره] إنه « قد سد بذلك
ثغرة لم يسبقه إليها غيره ،
وخطا خطوة في هذا الميدان
الرحب لم يخطها غيره قبله »
ص (٦٣) . مع أن ثمة مواد
دراسية جامعية مقررة في
بعض الدول العربية منذ
عشرات السنين باسم :
[المصادر التاريخية
والجغرافية واللغوية
والأدبية] ، وإن مادة
[المصادر اللغوية] تبحث في
المعاجم العربية وتطورها
ومراحل تدوينها .. ولهذه
المادة الكثير من المصادر
والمراجع .

ومن سمات شخصية
المؤلف النقدية : اعتداده
- في نقده - على أسس ذاتية



★ صباح الدين رجب ★

تخضع لتأثره الشخصي وذوقه الخاص، لا على قواعد محددة من مناهج النقد الحديثة المتعددة.. لا سيما وهو في صدد نقد الفنون الأدبية كالقصة القصيرة. ولهذا فهو يعترف بافتقاره إلى الناحية الفنية لنقد القصة أو الرواية، فيقول: «إن ثقافتني عن مقومات القصة وهيكلها الفني وما يجب فيها وما لا يجب، ليست إلى هناك..» ص (١٠٠): ولكنه يمتلك قدرة نقد فكرتها أو مضمونها، فيطبق هذا على مجموعة قصص إبراهيم الناصر [أرض بلا مطر]، ويركز على دراسة: غرضها الاجتماعي، وبالتالي إقليميتها؛ التي ضرب لها الأمثلة من أدب توفيق الحكيم. ولجيب محفوظ، لكنه لم يصب جوهر القضية، إذ يحس القارئ كأنه انقساماً بين إقليمية الأدب، ونموه وعالميته أو إنسانيته.. مع أنه لا تعارض بينهما، لأنه يمكن لكل أدب محلي أن يستحيل إلى أدب عالمي بمجرد توفر الصدق الفني، وعمق التجربة، وتآلق التصوير، وحسن تناول، وغيرها، بغض

النظر عن محليته.

وأخيراً إن قيمة الكتاب تتبدى في شخصية المؤلف النقدية البارزة، والذاتية العفوية، وتوضح من نماذج الحدة بالدين، والعنفوان بالتواضع.

كما تتجلى قيمة الكتاب أيضاً في حرص المؤلف على أن يترك بصماته وانطباعاته إزاء الكتب المعروضة.. على شكل ملاحظات وأحكام، محاولاً فيها التزام الصدق والتذوق والاقتناع.



● الكتاب: ديوان ضياء الدين رجب (شعر).

● الشاعر: ضياء الدين رجب.

● الناشر: تهامة - جدة - عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م. (٤٥٦) صفحة قطع كبير.

في المقدمة الطويلة التي كتبها الشيخ محمد علي مغربي إشارات إلى أن هذا الديوان هو حصيلة شعر ضياء الدين رجب كله طول حياته. ونتيجة جهد وثقافة تكاملت بها الخصاص التي يجب أن تتوفر في كل شاعر كبير. وأكثر من هذا

- فيما يقول الشيخ مغربي - عُدَّ الشاعر بتلك الحصيلة من أبرز شعرائنا العرب كافة قديماً وحديثاً. بل لقد امتلك هذا «النسق العالي من الشعر العربي في أزهى عصوره، ويتجلى ذلك في أسلوب الشاعر الذي يتمثل في تلك الصياغة الرائعة في اختياره للألفاظ وفي تناسق المعاني وتجانس الكلمات».

وتلك وجهة نظر لا أظن أن قارئ الديوان بمجموعاته الأربعة - الشعر الروحي والشعر الوطني والشعر الاجتماعي والشعر العاطفي - يأخذ بها بسهولة. بل لعل رفضه لها يكون دائماً وبكل تأكيد أقرب من قبولها. لأن القضية ليست الزعم بأن ثمة اختياراً للألفاظ وتناسقاً في المعاني يدلان - مع تجانس الكلمات وتلك نافذة - على أن الشاعر يرحمه الله «صاحب أسلوب متميز وفريد».

وهذا مشكوك فيه، لكن بغض النظر عن الفضفاضية والتوسع في إزجاء النعوت واستخدام أدوات الصياغة البلاغية على نحو غير مسؤول نحس أن مقدم الديوان أسرف في تطهير الشاعر - ربما لضعف ملكته النقدية - مع أنه فيما يكشف عنه ديوانه الضخم لا يتعامل إلا مع الأشياء، والمفترض أن أي شاعر حقيقي يتعامل أساساً مع الكلمات.

والكلمات بهذا المعنى هي المادة، وهي في تركيباتها الجمالية كل البناء أو البنية بجميع مشتملاتها من مجازات ومعادلات موضوعية تترجم عن العواطف المنوط بها اللذة الفنية، فضلاً عن الإيقاع والفكر العاطفي والموسيقى.

فأين هذا كله - أو حتى بعضه - مما يقول الشيخ مغربي وقد ساق مجموعة من الأبيات حفظنا أفضل منها لشعراء آخرين ثم نسيناها لسليبيتها وعجزها عن الإفضاء والبوح «وليس أجل من هذا الوصف للمساواة بين الناس في عرفات، ولا أجل من هذا الأسلوب الرائع المبدع في إشراق بيانه وشرف معانيه».

سبحان الله!.

وهل زعم زاعم أن الشعر أداء لغوي يرصد الملموس المنظور فيستغني عن رؤى المستور، أو أن هذا من قبيل رفع الاتهام إذا عُرِّ لحقق أن يبحث بين أقسام الديوان الشكلية عمن يكون الشاعر ولمن يتوجه بشعره وكيف.

ولسنا هنا نحب أن نسأل عن الشيخ القاضي والمستشار والمدرس - فهو معروف وله محبوه وزملاؤه - وإنما نحب أن نسأل عن قيمة شاعريته في إطار التعريف بمهية الشعر أساساً. وقديماً عاب ابن قتيبة المتوفي سنة ٢٧٦هـ، نتاج من هم كالشيخ القاضي واصفاً أشعارهم بأن ليس فيها شيء يجيء عن إسحاح وسهولة، وفي رأس القائمة وضع الخليل بن أحمد مبتكر علم العروض ومؤلف الدوائر الخمس التي حصر بها زمر الأوزان.

أما إذا كان الشعر محاكاة للطبيعة على القاعدة الأرسطوطاليسية التي تعتمد المشاهدة والفانتازيا معاً ومن ثم يكون حقيقة فاعلة، فإن شعر ضياء الدين رجب يتهاوى تحت الأذنين، لأنه لا يتعمق النفس لافتقاده أسباب التعرف وأسباب المتعة معاً!.

وأما إذا الشعر محاكاة لمشاعر الشاعر نفسه في معاناته الاجتماعية الإيجابية، ومن ثم يكون رؤى خاصة تفرق بين الحقيقتين التاريخية والشعرية، فإن شعر ضياء الدين - أيضاً - يهدر نصفه الذي يحتاج إلى دليل يثبت صحته من حيث إنه تاريخ، وأما النصف الآخر فهو بلا فكر، بلا فلسفة، بلا موقف يحمل رفات العاطفة النابضة بالحياة.

ومع ذلك يشهد الله - وبقدرة من التلطف واجب في هذا المجال - ثمة أشعار طيبة يستطيع الشاعر أن يطاول بها بعض شعراء جيله ومن لم يزل تدخره الحياة لما يمكن أن تعترف به قلوبنا بأنه حقيقة مؤثرة، من ذلك قوله:

وما أنا في شك من الحياة إنما
تعجبت هل للنار من جهرها ظل
أجل في اللظى عشنا وفي القلب جنة
لها شفق يزهو بجمرتة النخل
وفي عنفوان الجذب تخصب لو بدت
بواد من النعمى يلج بها الويل
أجل في حواشينا ترف خيلة
ريعية الأنداء تزكو وتحضل
وتلك الأبيات من قصيدته «عندما يبكي العقل» وفيها يضطر الشاعر إلى أن ننصت له وإلى أن نفعل معه، وأخيراً إلى أن نفكر بقلوبنا. وذلك لأن التركيب اللغوي بإيجاءاته ومجازاته يصلنا مباشرة إلى التعرف، أو إلى ما قد يمكن أن يكون ضرباً من التذكر بعد ما طمس على الضمائر من بلادة.

وفي شعره العاطفي على أي حال لمسات

طيبة أو جيلة تخفف من وقع كل مستهلك بارد يتفتش في شعر المناسبات - وما أكثره عنده - وإن كنت أخرج منه بعض ما يقوله ومثله:

ولو رضيت بأن الحب منزلة
تُشرى لساومت في مصر ولبنان
لكن لي أملاً في الحب يعمره
مثلي ويعجز عنه كل فنان

لأنه مجرد دعوى مضحكة أو ادعاء لا يعم على تجربة، وهذا اللون من المعرفة ترفضه الأذان التي تنهياً للاستماع، وربما لو كان صاحبه وقع في يد أخرى لما تمكن من أن يكمل ديوانه، ولافتقدنا أحد الذين نحتاج إليهم لنؤكد رأي ابن قتيبة في الشعراء العلماء، باستثناء خلف الأحمر، والله أعلم.



في المناطق الواقعة على الشواطئ حيث كانوا يفتدون بالسفن . واستوطن بعض منهم في مناطق كوانتونج وفوكيين ، وحول منطقة هانجتشو بالصين . وأثناء حكم الإمبراطور الصيني يوان في القرن الثالث عشر ، كان المسلمون من علماء الفلك والعلوم المختلفة والتاريخ يؤثرون أعظم تأثير في قصر الإمبراطور الصيني .

وتكاد كتب التاريخ تتفق على أن التجار المسلمين كانوا يلقون في بلاد الصين من صنوف الترحيب والجمالة ما حمده لهم . ولم يلبثوا أن أخذوا من حكام الصين إذناً بالإقامة في ميناء كانتون حيث لا تزال موجودة حتى اليوم آثار كثيرة ومخلفات إسلامية قديمة .

وسرعان ما أصبحت الجالية الإسلامية من أغنى الناس في الصين ، وكثر الوافدون عليهم من المسلمين الآخرين ، واستقر آخرون منهم في مدينة خانفو جنوب مدينة شنغهاي الحالية . وكانت السلطات الصينية تحرص على منح المسلمين بها امتيازات كثيرة ، لما هم من أثر كبير على اقتصاديات البلاد ، فكان لهم حق اتخاذ قاض مسلم من بينهم يحكم في المشاكل التي يتعرضون لها . ويؤمهم في صلواتهم . وتابع التجار المسلمون نشاطهم وانتشارهم حتى وصلوا إلى كوريا ، وكان لهم نشاط واسع ، وكانوا يتدخلون في الشؤون السياسية هذه البلاد ، وساعد على هذا التدخل السياسي اتصال حكام الصين بخلفاء الدولة الإسلامية ، والاستعانة بهم في التغلب على بعض مشاكلهم الداخلية . ففي عام ٧٥٦م ، استنجد الحاكم الصيني سوتسنيج بالخليفة المنصور العباسي للدفاع عن عرشه ضد الثوار ، فأمد الخليفة بفرقة من جنود المسلمين أثرت البقاء في الصين بعد انتهاء مهمتها .

الغزوات الإسلامية

وقد وصلت الغزوات الإسلامية إلى قرب حدود الصين . ففي عهد الخليفة الأموي عبد الملك (٦٨٥ - ٧٠٥م) وابنه الوليد (٧٠٥ - ٧١٥م) ، افتتح الجيش الأموي

الإسلام والمسلمون في الصين

بقلم: د. جمال الدين سيد محمد

من ٦١٨ إلى ٩٠٧م ، أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان (٦٤٤ - ٦٥٦م) أرسل بعثته الأولى إلى بلاد الصين في عام ٦٥١م . وتضاعفت هذه البعثات فيما بعد حتى بلغت في الفترة ما بين عامي ٦٥١ - ٧٥٨م ، أكثر من ثلاثين بعثة . وفي عهد أسرة سونج (٩٦٠ - ١٢٧٩م) ازدهرت التجارة بين العرب والصين بشكل لم يسبق له مثيل ، فوصلت الصين في هذه الفترة أكثر من ٤٩ بعثة عربية تمثل مختلف الخلفاء والحكام المسلمين ، بالإضافة إلى الزيارات الخاصة العديدة ، التي كان التجار العرب يقومون بها . وما لا شك فيه أنه عن طريق هذه البعثات تبادل الحكام العرب والصينيون المعلومات والهدايا . وكان هذا التبادل في المعارف دور كبير في إثراء علوم وآداب وفنون كل من البلدين .

أثر التجار المسلمين

وكان التجار الفرس في ذلك الحين ينقلون البضائع والسلع من منطقة الخليج العربي عبر أفغانستان إلى غرب الصين . وكانت إمبراطورية أسرة تانج تحبذ التعاون مع هؤلاء التجار المسلمين ، وترحب بدعوتهم إلى الاستيطان في بلاد الصين . وكثر عدد هؤلاء التجار المسلمين

لابد لنا من العودة إلى الماضي البعيد حتى نعرف قصة دخول الإسلام إلى بلاد الصين . وتاريخ الإسلام في الصين يرجع إلى أكثر من ألف سنة مضت . وحسب الروايات المتداولة بين المسلمين في الصين يمكن القول إن الإسلام دخل الصين لأول مرة من خلال طريقين : الطريق الأول هو الطريق البحري عبر آسيا الوسطى ، من العراق إلى شمال غربي الصين بواسطة التجار المسلمين الذين كانوا يفتدون بقوافلهم لتبادل التجارة ، والحصول على منتجات الصين من الحرير والشاي وغير ذلك من السلع . والطريق الثاني هو الطريق البحري من العراق ، وعبر الخليج العربي ، والمحيط الهندي ، وبحر الصين إلى جنوب تلك البلاد بقصد التجارة وتبادل السلع .

البعثات الإسلامية الأولى

ويذكر المؤرخ المسعودي أن المراكب الصينية وصلت إلى سواحل البلاد العربية في أوائل القرن السادس الميلادي . ونعرف من تاريخ أسرة تانج الصينية التي حكمت في الفترة



الشباب شواربهم . والنسوة في هذه المدينة يرتدين الجونلات ولا يرتدين البناتيل كما يحدث في جميع أنحاء الصين . وعادة ما تحني النساء شعورهن الطويلة وخاصة الفتيات ، بمناديل ذات ألوان زاهية ، أما المتقدمات في السن فتخفين شعورهن بمناديل سوداء . ومُنزل الصيني المسلم تزردان جدرانهم من الداخل باللوحات الجميلة التي تحمل آيات الذكر الحكيم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، وقلما يخلو بيت من المصحف الشريف .

وفي مدينة أورمتشي يوجد ٨٠٠ ألف من المسلمين ، وقد أخذت المدينة بجميع أسباب العصر . غير أنه إذا نظرت إلى شوارعها الصغيرة فستشعر أنك في أفغانستان أو في تركيا ، وستلاحظ أن المنازل منخفضة ، وسقوفها مسطحة ، ومبينة في صفوف . وهذه الشوارع ليست مسفلنة ، بل ممهدة بالطين . وعلى كل ناصية يقف بائع يبيع أسياخ لحم الخراف المشوي . والبائع لا يشوي اللحم إلا بناء على طلب المشتري ، ويشويه على نار الفحم الذي يثير دخاناً كثيفاً . ويوجد أيضاً الكثير من الباعة المتجولين الذين يبيعون مختلف أنواع الحلوى . ويجلس المسنون على مداخل منازلهم ، ويتبادلون الحديث وهم يتكئون على عصيهم . وخلافاً لما تراه في الأقاليم الصينية الأخرى فلا يمكن أن ترى في إقليم سينكيانج الخنازير تتجول في حرية ، بل ترى فقط بعض الخراف هنا وهناك . ولا شيء سوى طابقت التلاميذ المزينة بالنجمة الحمراء يذكرك بأنك في جمهورية الصين الشعبية .

ولا تظن أنه من السهل أن تحصل على تصريح لزيارة أحد الجوامع وعلى الأخص بالنسبة للأجنبي غير المسلم . فلا بد من الحصول على ثلاثة تصاريح : التصريح الأول من قسم الشؤون الخارجية بالإقليم ، والتصريح الثاني من قسم الشؤون الدينية ، والتصريح الثالث من رئيس قسم الشؤون الدينية للجماعة الإسلامية المحلية . وما إن تحصل على التصريح حتى يكون الجميع في خدمتك ،

والعدد الأكبر من المسلمين من سلالات الويجور والقازاق والأزبك يعيشون في وادي سينكيانج . ويوجد في الصين مسلمون من الشيعة وهم من سلالة التاجيك . والصلات بين المسلمين في شمال الصين متطورة للغاية ، وهم حق الاتصال بالهيئات الخارجية ، بينما المسلمون في الجنوب متفرقون ، والصلات بينهم غاية في الصعوبة ، ولذا فإن تمسكهم بالصلاة والدين والعادات الإسلامية أقل منه في الشمال .

— توزيع المسلمين في مدن الصين —

وفي هذا المضمار لا بد لنا من الحديث عن وادي سينكيانج الذي يعيش به أكثر من خمسة ملايين مسلم من سلالة الويجور من بين ١٢ مليون نسمة وهو إجمالي عدد سكان الوادي . ويقع هذا الوادي على بعد أربعة آلاف كيلومتر شمال غربي بكين وعاصمته أورمتشي وهي المركز الإداري والحكومي للإقليم . وعادات سكان هذا الوادي تشبه إلى حد كبير عادات القوميات التركية . فسترى في شوارع أورمتشي أشياء غير مألوفة في غيرها من مدن الصين . وستشاهد أن عدداً قليلاً من الصينيين يرتدون حلة ماوتسي وهي الحلة الزرقاء البسيطة المصنوعة من القطن . وستلاحظ كذلك أن اللون الأزرق لا يسيطر على ملابس الرجال والنساء كما يحدث في المدن الصينية الأخرى .

وكثير من الرجال في مدينة أورمتشي يرتدون طابقت المسلمين المتميزة . وهي طابقت غالباً ما تكون مطرزة برسومات تقليدية . وأطلق الكثير من المسنين لحاهم ، كما أطلق كثير من

البلاد الواقعة ما وراء النهر ، وغرب الهند ، وأخضعوها إخضاعاً تاماً . وعلى مر الأيام ، أصبحت بلخ عاصمة طخارستان وسمرقند عاصمة الصفد العظمى — وهما من المراكز البوذية الحضارية والثقافية — مركزين إسلاميين للعلم والحضارة . ومن المدن الرئيسية الأخرى التي تم ضمها إلى الدولة الأموية كابول الأفغانية ومرو عاصمة خراسان . وأسفر الزحف إلى الجنوب عن ضم السند وجنوب البنجاب (باكستان الحالية) . وقاد قتيبة بن مسلم أثناء حكم الوليد الحملة التي وضعت أسساً ثابتة للحكم الإسلامي في الدول الواقعة على الضفة الأخرى من نهر أموداريا ، وذلك بعد استيلائه على بخارى وسمرقند . وفي عامي ٧١٠ — ٧١٢ م . أخضع قوارزم (كبيف الحالية) .

وزدادت أحوال الصين قوة باتصالها بالمسلمين حتى القرن الثالث عشر الميلادي قبيل زيارة ابن بطوطة لها بزمان قصير إذ دخل المغول بلاد الصين ، واعتنقوا الدين الإسلامي ، وفتحوا بذلك السبيل أمام سائر أجناس المسلمين للدخول إلى الصين . واستقر عدد كبير منهم في مدن الصين الهامة . ولعل أهم سبب للترحيب ولحسن استقبال العرب وغير العرب من المسلمين في الصين ، أنهم لم تكن لهم أطماع استعمارية ، أو نوايا استغلالية وظلت تلك العلاقات الطيبة بينهم وبين أهل الصين لا تزيدها الأيام والسنين إلا رسوخاً وتوطداً .

وتكاد تتفق الآراء على أن عدد المسلمين في الصين اليوم يناهز عشرة ملايين نسمة يقطن أغلبيتهم في المقاطعات الشمالية الغربية ، والمقاطعات الجنوبية الغربية من البلاد . ويعيش في منغوليا الداخلية فقط حوالي سبعة ملايين مسلم . ويعيش المسلمون عادة في جماعات في قرى أو أحياء قائمة بذاتها في المدن الكبيرة ، حيث توجد مساجدهم وزواياهم ومدارسهم ومعاهدهم العلمية . ومن الجلي أن المسلمين يتمتعون في الصين بحظوة لا يتمتع بها أصحاب الديانات الأخرى .

بل وسيحطمون بشواكيسهم الألواح الخشبية التي تم إغلاق النوافذ بها خلال الثورة الثقافية ، حتى نستطيع أن نلتقط صورة جميلة للمسجد .

— من عادات المسلمين في الصين —

وفي الساعة الثانية من ظهر يوم الجمعة يمتلئ المسجد بالمصلين ، وأغلبهم من المسلمين ، كما يوجد بعض الشباب والأطفال . ويجلس كبار المسلمين في الصفوف الأولى ، ويقرؤون آي الذكر الحكيم . وكثير من المسلمين يحضرون من أعمالهم مباشرة ، وهناك آخرون طلبوا أن يكون يوم الجمعة هو يوم إجازتهم الأسبوعية . وغالباً ما يكون عدد النساء في صلاة الجمعة قليلاً .

وفي عام ١٩٤٩ م ، وبعد انتصار الثورة الصينية تم إلغاء تعدد الزوجات وإلغاء الزيجات التي تم بالاتفاق بين العائلات وبعضها . وليس هناك إلزام على المسلمين بالزواج ابتداء من ٢٧ سنة بالنسبة للشباب ، وابتداء من ٢٥ سنة بالنسبة للفتيات مثل باقي أفراد الشعب الصيني . والتعليقات بالنسبة للمسلمين ألا يتزوجوا قبل بلوغهم ٢٢ سنة . ولكن هناك كثير من الحالات يتزوج فيها الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ و ١٧ سنة . وليس هناك إلزام على المسلمين في الصين باتباع القواعد الخاصة بتنظيم الأسرة ، ولذا فهناك عائلات بها الكثير من الأطفال . وتتم مراسم الزواج حسب الشريعة الإسلامية وحسب العادات والتقاليد الإسلامية المعروفة .

وفي البداية يتجمع الشباب في منزل العروس حيث ينقسم الحاضرون إلى قسمين : المسنون يجلسون في حجرة ، والشباب في حجرة أخرى . وبعد أن يتسلى الجميع بالحديث والطعام والشراب يدعوهم كبيرهم أو إمامهم برفع أيديهم إلى السماء ، وتلاوة القرآن والدعاء .

وتحضر النسوة خلال النهار ، ويقمن بنفس الشعائر . ويجري تقسيم النسوة كذلك إلى مجموعتين . أما العروس فتنتظر في حجرة خاصة حتى آخر اليوم وتغطي وجهها

بجباب ، وتكون برفقتها أحسن صديقتها اللاتي يسليها بالغناء وبالرقص . وفي المساء يأتي العريس في صحبة أصدقائه وزملائه . ثم يخرج العروسان عندئذ ويمنحهما الوالدان البركة ، ويدعوانهما ، وتترك العروس منزل أبيها . وفي بعض الأحيان يتم عقد الزفاف في يوم الجمعة ، بعد نهاية رمضان المبارك . وفي الوقت الحالي يتم اختيار أيام أخرى لعقد الزفاف . وغالباً ما يرتبط اختيار الأيام بأيام توزيع (بونات) الطعام ، ويحصل المسلمون على أكبر عدد من (بونات) الطعام قبيل احتفالات الربيع في الغالب ، ولذا يكثر في أوائل الربيع تزويج الشباب والفتيات .

— المساجد في الصين —

ويقدر عدد المساجد والزوايا في الصين بحوالي أربعين ألفاً . وذلك وفقاً لما ورد بكتاب «الإسلام في الصين» لكاتبه مارشال برومهور . وهذه المساجد والزوايا بمثابة مراكز للنشاط الديني والإشعاع الثقافي للمسلمين في الصين . وقد تم ترميم الكثير منها في السنوات الأخيرة بمساعدة الحكومة . ويتردد على هذه المساجد والزوايا مختلف فئات الشعب من موظفين وعيال وجنود وغيرهم من المسلمين ، لأداء الشعائر الدينية ، وخاصة في الأعياد الإسلامية .

وفي مدينة بكين وحدها يوجد ٦٥ مسجداً ، وفي شنغهاي ٢٧ مسجداً . وفي جميع المدن الأخرى توجد مساجد يقوم بالإشراف عليها أئمة أفاضل يقدر عددهم في جميع أنحاء الصين بحوالي مائة ألف ، أي أن لكل مائة مسلم في المتوسط إمام . وفي العادة يرتدي أئمة المساجد المسلمون الملابس الفضفاضة ، وفوقها الكاكولا ذات اللون الداكن ، ويضعون على رأسهم طاية بيضاء ، وهم يقبلون على الحياة صرحاء هم نحوه واعتزاز . والمهمة الموكولة إلى الإمام في هذه البلاد متشعبة وكبيرة ، فهو لا يؤم المسلمين في الصلاة فحسب ، بل يقوم إلى جانب ذلك بتعليمهم القرآن والسنة وقواعد الدين . وفي

أحيان كثيرة يعطي دروساً في اللغة العربية ، وفي الدين الإسلامي بالمدارس الملحقة بالمساجد . وهو عدا ذلك يرعى شؤون المكتبة الملحقة بالمسجد وهي مكتبة دينية وعامة أيضاً .

ومن المعروف أنه على مر السنين اعتنقت الإسلام شعوب عديدة تختلف بيناتها وتباين ثقافتها ، ولذا فقد تأثرت المساجد وأنماط المآذن تبعاً لتلك الفوارق والاختلافات . فهناك الطراز العربي والمملوكي والتركي والمغربي والهندي وغيرها . غير أنه أصبح للمسلمين من أهل الصين طراز خاص في بناء المساجد والمآذن ، وهو طراز قائم بذاته يتجلى فيه أثر البيئة والثقافة الصينية . والمآذن من حيث مظهرها الخارجي تشبه الباجودا الصينية المعروفة ، وتكاد سقفوف المساجد تكون نسخة مطابقة لسقفوف المعابد والمباني الصينية التقليدية . أما من الداخل فهي إسلامية الطابع في كل شيء . فهناك المحراب والمنبر المألوفان . وهناك أعمدة الرخام البديعة ، والشرائط الفاخرة ، والمصابيح الجميلة ، والسجاجيد ، والطنافس البديعة ، ثم هناك دورات المياه ، ومرافق الوضوء الضرورية . والشئ الجميل أن المساجد الإسلامية على قدر كبير من النظافة ، ويوجد بكل مسجد قسم خاص بالسيدات . والمرأة الصينية المسلمة تبدو عليها سمات الخشمة والتقوى والوقار ، لأنها ترتدي ملابس طويلة وإزاراً ناصع البياض .

ويبلغ عدد المسلمين في بكين حوالي مائة ألف مسلم ، وبها يوجد الجامع الكبير ، وهو مسجد «تونغري بايكو» وبه مقر الجمعية الإسلامية الصينية . والمسجد من طراز القرن الخامس عشر ، ولا يختلف عن معابد الأديان الأخرى إلا بفقدان الصور ، ووجود المحراب والمنبر ، وبعض النقوش باللغة العربية وبالحروف العربية . ونفس الحروف العربية متأثرة بأشكال الحروف الصينية ، وقد تم تجديده مرتين في عامي ١٩٥٢ م ، و ١٩٧٤ م . وتم إغلاق المسجد لمدة شهرين أثناء الثورة الثقافية ، وأعيد فتحه بناء على أوامر من الرئيس شيون لاي في سبتمبر (أيلول) من عام ١٩٦٦ م . وحتى عام ١٩٧٧ م ، كان لا يستطيع أن يصلي فيه إلا رجال الدين الذين كانوا يقيمون في الجامع .



العادات المألوفة أن ينثر على أرض اللحد بعض من المسك والكافور . وتتميز قبور المسلمين الصينيين بشكلها المستطيل خلافاً لقبور البوذيين ذات الشكل المخروطي المستدير . ويراعى عند دفن الجثمان في اللحد أن تكون الرأس جهة الشمال ، والقدمان صوب الجنوب ، والوجه في اتجاه الكعبة الشريفة . ويتوافد المعزون في مساء يوم الدفن لسماع آيات الذكر الحكيم .

ولأول مرة تم في عام ١٩٧٩ م ، تنظيم الحج إلى مكة المكرمة . وهو يعد أول حج بعد عام ١٩٦٤ م ، وكان عدد الحجاج ستة عشر حاجاً فقط ، وكان يرافقهم مترجم صيني ، ومكثوا في مكة المكرمة عشرة أيام . وقد كان الحج حدثاً هاماً بالنسبة للحجاج ، وكذلك بالنسبة لباقي المسلمين . ويعتبر أهم علامة على حدوث تغير من جانب الحكومة تجاه المسلمين . وقد جرت هذه التغيرات ضمن التغييرات العامة التي حدثت إثر القضاء على عصابة الأربعة . وتنص المادة (١٤٧) من قانون العقوبات الجديد الصادر في عام ١٩٧٩ م ، على معاقبة المسؤول الذي يمنع بطريق غير شرعي المواطنين من حقهم في إقامة الشعائر الدينية بالسجن لمدة لا تتجاوز عامين .

والحقيقة أن المسلمين في الصين من أنشط عناصر الدولة ، ومن أكثرهم ولاء للنظام القائم . ولعب المسلمون بوجه عام أدواراً هامة في تاريخ الصين ، وكان ولا يزال من بينهم قادة في الجيش ، وحكام للمقاطعات والمدن .

ولا ريب أن التغير الجديد في سياسة الحكومة تجاه المسلمين له أبلغ الأهمية ، وسيعيد الحماس السياسي للمسلمين ، ويصلح من علاقة الصين بالدول العربية والإفريقية والإسلامية . غير أن تنفيذ هذه السياسة الجديدة لا يتم في سر وسهولة تامة ، ولذا يقول أحد المسؤولين عن الشؤون الدينية : « إن لدينا كثيراً من الصعاب في مهمتنا هذه ، لأن كثيراً من الناس يخافون ، فقد أفرغتهم الثورة الثقافية أيما فرغ ، وحينما يذهبون الآن إلى الصلاة يفعلون ذلك وقلوبهم وجلة » .

والمهمة الرئيسية للجمعية الإسلامية الصينية هي توضيح سياسة الحكومة تجاه الدين الإسلامي ، ومقرها بكين . وتقوم الدولة بالإتفاق عليها ، ورئيسها الحالي هو محمد السانجي . ومنذ عهد غير بعيد أخذت الجمعية تتصل بمثيلاتها في الخارج . وفي صيف عام ١٩٧٩ م ، زار وفد صيني ليبيا .

وتسمح اللوائح والقوانين الصينية للمسلمين بأن يعيشوا حياتهم وفقاً لشريعتهم الإسلامية ، ووفقاً لعاداتهم وتقاليدهم ، وفي أغلبية المدن الصينية الكبرى توجد مطاعم خاصة للمسلمين ، ويوجد في كل تجمع سكاني للمسلمين إمام يعرف كيفية ذبح الخراف حسب الشريعة الإسلامية الغراء . ويوجد في المؤسسات والمصانع التي يعمل بها الكثير من المسلمين مطبخ خاص بهم ، وفي حالة عدم وجود عدد كاف من المسلمين يحصلون على مبلغ شهري يمكنهم من شراء الطعام من خارج المصنع ، ويوجد طبخ خاص بالمسلمين حتى داخل سجن بكين .

ويتم كذلك تشييع الجنازة ، ومراسم دفن المسلمين الصينيين وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية . ويقوم بهذه المهمة في العادة خدام المسجد ، وبعض موظفيه ، وبحصلون في الغالب على ملابس المتوفي كجزء من أجرهم . ويلف الجثمان في كفن من قماش أبيض من القطن ، وتنثر عليه العطور وماء الورد ، ثم يوضع الجثمان في النعش ، وتشيع الجنازة حتى القبر . وهناك مقابر خاصة للمسلمين الصينيين . وقد يحضر مراسم الدفن بعض المسؤولين ، أو بعض الأشخاص الذين يشغلون مناصب قيادية . ومن

ويقوم بإدارة هذا الجامع مجلس يجري انتخابه انتخاباً ديمقراطياً من بين ممثلي المسلمين . ويعمل بالجامع ثلاثة من الأئمة تدفع الدولة مرتباتهم . ورغم العدد الكبير من المسلمين الموجود في بكين إلا أنه عند صلاة الجمعة لا يرى إلا ٤٠٠ أو ٥٠٠ مصلي فحسب وبالطبع بينهم كثير من الأجانب من العرب والأفارقة ، الذين يعملون في بكين بالتجارة ، أو في السلك الدبلوماسي . ويوجد بين المصلين عدد قليل من الشباب والأطفال ، وربما يرجع سبب قلّتهم إلى وجودهم في المدارس وقت صلاة الجمعة .

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٥ م ، بدأ العمل في إنشاء معهد إسلامي كبير ببكين تكون مهمته الأولى تثقيف المسلمين ، وإعداد أئمة المساجد الصالحين . وتشرف على إدارته ، وتنوّل الإتفاق عليه الجمعية الإسلامية في الصين . وقد تأسست هذه الجمعية في عام ١٩٥٣ م . ومن المعلوم أن مصر قد بعثت إلى هذا المعهد بعدد من رجال العلم والدين لتدريس اللغة العربية والدين الإسلامي به . غير أنه تم إغلاق هذا المعهد أثناء الثورة الثقافية ولكن سيعاد افتتاحه في شكل آخر . ذلك أن المعهد ما زال موجوداً إلا أنه لم يعد كما كان من قبل ، فقد احتفظ باسمه ولكن تم تحويله إلى مدرسة ثانوية عادية وأكثر من ٨٠٪ من التلاميذ فيها من غير المسلمين .

وتكثر في مدينة كانتون المساجد الأثرية القديمة ، ومنها المسجد المعروف بمسجد الذكرى الشريفة ، وهناك المسجد التاريخي العظيم القائم بإحدى ضواحي هذه المدينة ، وتتصل بهذا المسجد جبانة فسيحة يقوم فيها ضريح العارف بالله ابن الوقاص الذي يعدونه أول عربي مسد بشر بالدين الإسلامي في جنوب الصين . وهناك أيضاً مستشفى إسلامي تم افتتاحه في عام ١٩٦٠ م ، وقد احتفظ باسمه كل هذه الفترة ، غير أن أغلبية المرضى به من غير المسلمين . وبهذه المستشفى يتم إجراء الطهارة للمسلمين . ومن الممكن أن تم الطهارة في المستشفيات الأخرى ، لكن دون أية مراسم أو احتفالات .

الشيخوخة

بقلم: د. عبد الرحمن عيسوي

التي أصبحت - بحق - أعلى الثروات جميعاً في عصرنا الحاضر. تلك الثروة التي تفوق قدراً وقيمة الثروات المعدنية والزراعية والحيوانية.

التغيرات التي تحدث في سن الشيخوخة

وتؤدي دراسة الكبار إلى التعرف على تلك الإمكانيات البشرية بغية العمل على توجيهها واستغلالها والاستفادة منها. ولذلك فكلما ارتقى المجتمع في مضمار التقدم والرفق اعتنى بالشيخوخة، ولذلك بات الاهتمام بالشيخوخة معياراً من معايير التقدم والرفق. إن علم الشيخوخة Gerontology في حاجة إلى دفعة قوية إلى الأمام. كانت دراسة الشيخوخة في الماضي تهتم بالجوانب السلبية وتغفل الجوانب الإيجابية، أي تهتم بنواحي النقص أو العجز دون أن تعبر النواحي التي يؤديها الشيخ أفضل من الشباب.

ومن الحقائق الهامة أن التغيرات التي تحدث في مرحلة الشيخوخة، سواء كانت جسمية أو نفسية أو عقلية أو اجتماعية، إنما تتفاعل مع بعضها البعض، أي يؤثر كل منها في الآخر ويتأثر به. ومن ذلك أن ضعف الصحة العامة يؤدي إلى انكماش نشاط الفرد. ولذلك يلزم إعادة تدريب كبير السن على المهارات التي تتطلب الحياة الحديثة. ومن أظهر الأحداث التي تقع في سن الشيخوخة حادث الإحالة إلى التقاعد Retirement ولكن للأسف الشديد



قدرته الحركية مما يؤثر في تكيفه المهني. وتتناثر دوافع الفرد وانفعالاته وذكاؤه وإنتاجه الإبداعي في العلوم أو الفنون والآداب والانتصارات الاجتماعية.

ومن العوامل التي تزيد من أهمية دراسة الكبار أن تعدادهم أصبح يزداد يوماً بعد يوم نتيجة لتقدم العلوم الطبية وتوفر أساليب العلاج والوقاية الأمر الذي أدى إلى زيادة طول عمر الإنسان. وإلى جانب زيادة كبار السن عدداً، وضرورة العناية بهم على أسس إنسانية نبيلة صرفة، إلى جانب كل هذا فالملاحظ في مجتمعاتنا المعاصرة أن كبار السن هم الذين يتولون قيادة المجتمع ويوجهون مشروعاته ويشرفون عليها استفادة من خبراتهم الواسعة، ومن المؤسف أن دراسة الكبار لم تلق العناية الكافية بها. ويمثل الاهتمام بالشيخوخة والشيخ وتوفير الرعاية لهم جانباً أساسياً من جوانب الاعتناء بالثروة البشرية

وأولى خطى العناية بالشيخوخة هي التعرف على طبيعة هذه المرحلة وسبر أغوارها وأسرارها والتعرف على ما فيها من نواحي القوة والضعف. ومن المؤسف أن مرحلة الشيخوخة على ما لها من أهمية بالغة إلا أنها لم تحظ بالدراسة والبحث والفحص الذي ينبغي أن يحدث حتى نحسن تعامل شيخوخنا ونضع البرامج التي تؤدي إلى تحقيق سعادتهم، ومن الملاحظ أن التغيرات التي ترجع إلى السن تغيرات معقدة وليست بسيطة، فالوظائف الجسمية يعثرها الضعف، ويتغير مركز الفرد في المجتمع كما تتغير أساليب تكيفه وتعامله مع المجتمع. فقد يعاني الشيخ من بعض الاضطرابات العقلية البسيطة أو الصعبة، وكذلك قد يعاني من الأمراض الجسمية. وقد تتغير اتجاهاته العقلية والاجتماعية وسمات شخصيته وقدرته على التفكير والاستدلال والإدراك والإحساس، كما تتغير

ليس هناك معرفة كافية بالعوامل السيكولوجية لهذا الحدث . ما الذي يحدث في نفسية المحال إلى المعاش وما وجهة نظره ، وما مدى تقبله لهذا الحدث ، ولا شك أن الأهمية القصوى ترجع إلى العوامل النفسية أكثر من رجوعها إلى العوامل البيولوجية . والواقع أن اعتزال الخدمة يحتاج إلى إعادة تكيف الفرد Readjust-ment .

ومن الملاحظ أن الفرد قد يكافح طوال حياته لكي يحقق لنفسه شيخوخة سعيدة ، ولكن هذه السعادة لا تتحقق إذا كان يخاف خوفاً مريضاً من الشيخوخة . وإذا كانت العلوم الطبيعية قد نجحت فعلاً في إطالة عمر الإنسان ، وسوف تستمر في تحقيق مزيد من هذا النجاح ، فإنه يضحى على العلوم الإنسانية أن تجعل هذا العمر المديد سعيداً . ولقد حظيت مرحلتا الطفولة والمراهقة بالدراسات المتعمقة والواسعة وبقي أن نولي الشيخوخة مثل ما أولينا الطفولة والمراهقة من اهتمام . وذلك بتوجيه البحث الميداني إلى هذا المجال الذي ما يزال بكرة أو خصباً في حاجة إلى يد الباحث السيكولوجي الحديث .

مشاكل الشيخوخة

ولكن الحقيقة ، والحق يقال ، أن دراسة الشيخوخة تواجه كثيراً من الصعوبات من ذلك أن العائد من تلك الدراسة لا يوازي ما يبذل

فيها من جهد وطاقة ومال ، كذلك فإن المشكلات الناجمة عن التقدم في العمر لا يمكن تجنبها كلية ، ولا سيما في مجتمع المنافسة الذي نعيش اليوم في كنفه ، خاصة وأن كثيراً من الشيخوخ تظل أعمارهم حتى تتعدى تماماً المرحلة الإنتاجية . ولذلك نجد المشاكل الآتية :

- (١) مشاكل الصحة العامة والضعف العام .
- (٢) مشاكل نفسية .
- (٣) مشاكل عقلية .
- (٤) مشاكل اجتماعية .
- (٥) مشاكل مهنية .
- (٦) مشاكل بطلان الشيخوخ .
- (٧) مشاكل إعادة تدريبهم مهنيًا .
- (٨) مشاكل التقاعد ووقت الفراغ .

وتهم الدراسات التطبيقية على تقليل المؤثرات السلبية للتقدم في السن . وهنا ينبغي الإشارة إلى أن دلائل التقدم في السن تختلف من فرد إلى آخر ، فقد تظهر في شخص مبكرة عنها في شخص آخر . وتدفع هذه الفروق بعض الباحثين إلى التفكير فيما يسمونه بالعمر الحيوي للفرد Biological/age والعمر الوظيفي Functional/age . وأفضل الطرق في دراسة الشيخوخة هو اعتبارها مرحلة طبيعية ومادية من مراحل نمو الإنسان ، والمعروف أن لكل مرحلة من مراحل العمر خصائصها ومتطلباتها .

مرحلة ما قبل التقاعد

وتقسم مرحلة كبر السن إلى مراحل منها مرحلة ما قبل التقاعد Pre-retirement ، وتمتد من سن ٥٥ إلى ٦٥ سنة ، وفيها يحدث مزيد من التدهور في الوظائف الجسمية والعقلية ، وانسلاخ من الأدوار المهنية والاجتماعية ، كما يعاني الوظائف والميول الجنسية الضعف . ولكن في بعض الحالات قد يؤدي تخلص الفرد من أعبائه المهنية إلى أن يجد الوقت لإحراز الانتصارات الاجتماعية فيتولى بعض المناصب العليا .

مرحلة التقاعد

وهناك مرحلة التقاعد Retirement ، وتبدأ من سن الخامسة والستين وما بعدها وهي المرحلة التي يطلق عليها اصطلاحاً مرحلة الشيخوخة Senescence ، أما سن الإحالة إلى المعاش فتحده قوانين التسوف في كل مجتمع وهو يختلف باختلاف المجتمعات وباختلاف الوظائف . وفي هذه المرحلة يتعد الفرد عن الأدوار المهنية والاجتماعية وفيها يقوى شعور الفرد بالعزلة وتتقوى العلاقات بالجماعات الأولية . وفيها تزداد قابلية الفرد للإحباط والتأثير بالاضطرابات الجسمية والعقلية . وقد يعجز الفرد عن القيام بالأنشطة العادية المطلوبة للحياة اليومية . وفي سن السبعين وما بعدها يحتاج الشيخ إلى من يعتمد



أداء الفرد نتيجة للمران والتدريب والتعلم والخبرة .

ويلاحظ أن نسبة الأحياء من الذكور والإناث في إنجلترا وويلز عام ١٩٦١ م ، كانت في السن من ٥ - ٥٠ تتراوح ما بين ٩٧,٢٪ إلى ٩٠,١٪ بالنسبة للذكور و ٩٧,٨٪ إلى ٩٣,١٪ ، وأن هذه النسبة كانت في سن ٨٥ سنة ٩,٤٪ و ٢٢,٧٪ على التوالي بالنسبة للجنسين . ويلاحظ بالطبع انخفاض نسبة الأحياء بالتقدم في العمر ، كما يلاحظ طول عمر الإناث عن الذكور وتؤيد هذه النتائج المستمدة من إحصاءات وفيات الذكور والإناث . ومن الجدير بالذكر أن التغيرات التي تطرأ على المسن لا تحدث بصورة فجائية أو طفرة واحدة وإنما تحدث بصورة تدريجية .

ولا يبدأ الضعف يعتري جميع أجزاء الجسم الإنساني في وقت واحد ، وإنما هذه الأجزاء تبدأ في الضعف في أوقات متفاوتة .

أما عن الأسباب التي تؤدي إلى التغير الجسمي فهي الأمراض والإصابات المختلفة وعن طريق العمليات التي تحدث في خلايا الجسم وأعضائه ، فالخلايا تشيخ وتكبر وتموت كما يموت الزرع أو النبات ، ونتيجة لضعف الخلايا والأعضاء ، فهناك اضطرابات تحدث في بناء الجسم ثم اضطرابات في وظائفه ، كما تحدث الشيخوخة نتيجة لضعف المواد الكيميائية والحوية داخل الجسم .

كبار السن والاهتمام بهم صحياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ومهنياً وترفيهياً والاستفادة منهم ومن خبراتهم .

المناهج العلمية في دراسة الشيخوخة

أما عن المناهج العلمية التي تستخدم في دراسة الشيخوخة فهناك الطريقة العرضية Cross-Sectional وهناك الطريقة الطولية Longitudinal method في الطريقة الأولى يستخدم الباحث عينات من أرباب أعمار مختلفة في وقت التجربة . ولكن هذه الطريقة يعترضها الضعف ، لأنها تدرس أثر السن عن طريق مقارنة أرباب الأعمار المختلفة في وقت إجراء البحث ولكن الأثر الثقافي والتاريخي يتدخل في نتائج مثل هذه البحوث . كانت عندما تقارن شخص عمره عشرين عاماً بشخص آخر عمره خمسين عاماً ، فمعنى ذلك أن الشخص الأخير عاش في جو حضاري لمدة ثلاثين عاماً يختلف عن الجو الحضاري الذي عاش فيه الشاب الصغير الذي تقارن به ، ومعنى ذلك أنك لا تقارن عامل السن وحده أو عامل السن نقياً وخالصاً ، ولكنك تقارن عوامل حضارية ورواسب ثقافية متعددة ومتشابكة . أما طريقة المنهج الطولي وهي التي تقارن سلوك نفس الأفراد فترات متعاقبة متسلسلة فإن نتائجها تتأثر أيضاً بعوامل مثل الاختيار الطبيعي وموت بعض أفراد العينة ، والتغيرات التي تحدث على

عليه كما يعاني الفرد مما يعرف باسم خريف العمر .

توجه البحوث نحو الشيخوخة

وتتطلب دراسة الشيخوخة جمع المعلومات المكتسبة من علم الطب ، والطب العقلي ، وعلم الحياة ، والأنثروبولوجيا ، وتضافر هذه المعلومات وتكاملها . ومن مظاهر الاهتمام بدراسة الشيخوخة بعد الحرب العالمية الثانية صدور مجلة الشيخوخة Journal of Gerontology في عام ١٩٤٥ م ، عن طريق جمعية الشيوخ في الولايات المتحدة الأمريكية وتتولى نشر مقالات متصلة بالعلوم البيولوجية والطب العلاجي وعلم النفس وعلم الاجتماع والخدمة الاجتماعية . وفي أوروبا صدرت أول دورية عن الشيوخ عام ١٩٥٦ م ، وأنشئت جمعية دولية للشيوخ وتعتقد المؤتمرات الدولية . وفي الوقت الحاضر يوجد كثير من وحدات البحث أو المنظمات أو مراكز البحوث الخاصة لظاهرة التقدم في السن وهناك الجمعيات الخيرية التي ترعى الشيوخ وكبار السن . وهناك بعض رسائل الماجستير والدكتوراه التي تتناول ظاهرة الشيخوخة . ولكن لا بد من الاعتراف بأن الباحث في مجال الشيخوخة لا بد وأن يجد صعوبات كبيرة . كذلك لا بد من الاعتراف بأن البحوث النفسية في هذا المجال ما زالت محدودة للغاية ؟ والمأمول أن توجه العناية في عالمنا العربي إلى دراسة

دمج مدارس محو الأمية

بقلم: د. لطفي بركات أحمد

الإلزام الذي أكدته أحد تقارير هيئة الأمم المتحدة والذي جاء فيه^(١) :

« أن الزيادة السريعة في عدد الأطفال قد أثارت مشكلة أخرى تواجه الدول النامية وهي المستوى المتدني للمعارف والمهارات التي تستلزمها عملية التنمية الاقتصادية ؛ فالكفاح من أجل محو الأمية ورفع كفاءة التعليم قد تعثر نتيجة الارتفاع المتزايد لعدد الأطفال الذين هم في سن الإلزام ».

(٥) أن هذا الدمج يعني مواجهة الصراع ضد التخلف حيث إن الغالبية العظمى من الكبار في أكثر قطاعات واقعتنا العربي ما زالوا أميين ، وفي نفس الوقت فإن قرابة نصف أطفال الوطن العربي لم يلتحقوا بالتعليم الابتدائي ، وبذلك أصبح هؤلاء وأولئك رصيذاً لدعم التخلف بدلاً من أن يكونوا أملاً في التغلب عليه .

(٦) أن هذا الدمج يحل من التناقضات الثقافية التي تفرض نفسها على التعليم بحكم كونه من صنع المجتمع وجزءاً من ثقافته ، ويصبح على واضعي الاستراتيجيات التربوية في واقعتنا العربي أن يضعوا في اعتبارهم الإجابة على العديد من الأسئلة منها :

- ★ كيف يصبح التعلم مجالاً للتفاعل الصحي بين الكبار والصغار على السواء ؟ .
- ★ كيف يصبح التعليم مجالاً وأداة تمكين الكبير والصغير من أن يكون مجتهداً لثقافته لا مقلداً لغيره ؟ .

مفهوم النجاح والفشل مفهوم نسبي حيث تتعدد الفرص أمام الفرد ليجد ما يتناسب مع ميوله وقدراته الحقيقية وبذلك لا يكون فاشلاً إلى الأبد وإنما يمكن أن يتخذ من فشله سبيلاً إلى النجاح في مجالات تناسبه^(٢) .

مزايا الدمج العصرية

وفي تصورنا أن هذا الاقتراح يحقق عدة مزايا عصرية منها :

(١) أنه سيحقق مطلباً أساسياً من مطالب واقعتنا العربي ، وهو تحقيق الفرص المتكافئة لكل أفراد المجتمع ارتكازاً على مسلمة رئيسية في الطبيعة البشرية تعترف بحق الأفراد في النمو الاجتماعي إلى أقصى قدر ممكن تسمح به قدراته وميوله .

(٢) أنه سيحقق مطلباً أساسياً يسعى واقعتنا العربي إلى إنجازه وهو تعليم المجتمع كل المجتمع ، بحيث يكون للكبير الحق في التعليم مثله مثل الصغير ؛ بل إنه يعطي الأولوية له عن الصغير لتضييق مسافة التخلف ورفع مستوى الكفاية الإنتاجية .

(٣) أنه سيقضي على الفكرة التقليدية التي ما زالت سائدة في واقعتنا التعليمي بأن « مدارس » تعليم الكبار ومحو الأمية في مرتبة متدنية ومنتهية ولا صلة لها بالسلم التعليمي القائم حالياً .

(٤) أنه سيقضي على التعثر الناتج من الارتفاع المتزايد لعدد الأطفال الذين هم في سن

إن نظرة استقرائية تقييمية لواقع هذه « المدارس » وقاعليتها في تعليم الكبار ، تؤكد أموراً أساسية هي في الحقيقة من المثالب التي أبرزها ما يأتي :

(أ) أن غالبية الجهود التي تبذل للنهوض بهذه المدارس ما زالت مبعثرة ولا طائل منها .

(ب) أن غالبية هذه الجهود لم تستطع أن تتخطى المنطق التقليدي في أي من مراحل تطورها وخاصة فيما يتصل بترقيع هذه المدارس ؛ فقد استمرت النظرة إليها على أنها مدارس مؤقتة خارجة عن إطار السلم التعليمي القائم حالياً .

(ج) أن غالبية الجهود الحالية ما زالت قاصرة حيث تفتقر إلى النظرة الشمولية الموسعة لديناميات الاستحداث التربوي العصري في كلياته وجزئياته .

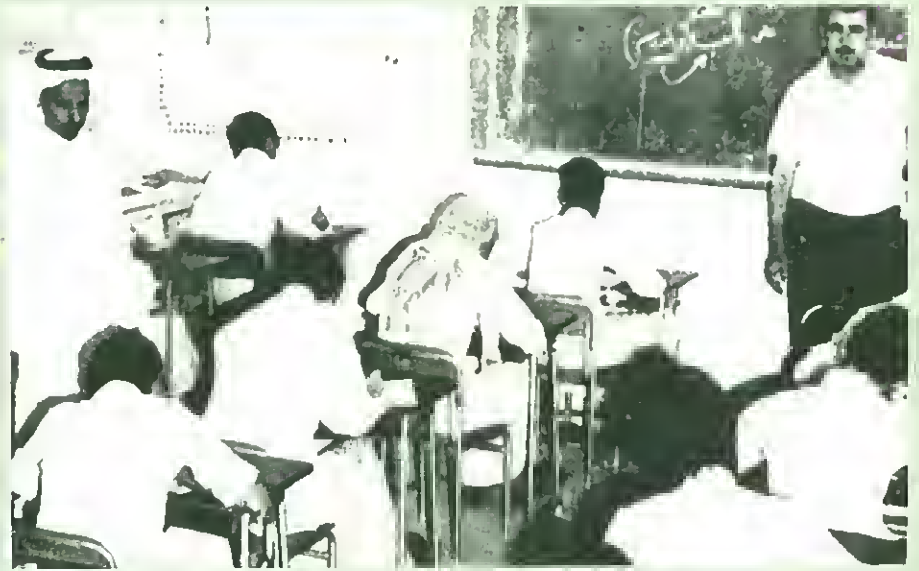
وعلى ضوء هذا ؛ فإننا نقترح دمج مدارس محو الأمية وتعليم الكبار في السلم التعليمي ، على أن تكون هذه المدارس معادلة للمرحلة الأولى بكل منهاجها ومقرراتها وأنشطتها وأهدافها حيث يحصل الدارس على شهادة إتمام المرحلة الأولى ليلتحق بالمدرسة المتوسطة الليلية ، ومنها إلى المدرسة الثانوية الليلية حتى الجامعة انتساباً وذلك حسب قدراته وإمكاناته واستعداداته وميوله وظروفه ؛ انساقاً مع المفهوم العصري للتعليم المستمر الذي يؤكد أن

تعليم الكبار في السلم التعليمي الحالي

(٨) أن هذا الدمج يستلزم مراجعة النظر كلية في واقعنا التعليمي بمدخلاته ومخرجاته للكبار والصغار على السواء ومن خلال السياق الاجتماعي الذي فيه وتحديد رؤى تربوية جديدة في إطار مبادئ واتجاهات وتطلعات واقعنا العربي .

(٩) أن هذا الدمج يعني التوسع في التعليم على مختلف مستوياته ليصبح تعليمًا شعبيًا بعد أن كان فاصراً على الصفوة ، ولا بد أن يصحبه تحول في طبيعة التعليم نفسه من حيث المحتوى والشكل والنظم والعلاقات لتنسحب الكبير والصغير على السواء^(٣) .

(١٠) أن هذا الدمج يستلزم أن تشارك في تحقيقه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووزارات التربية والتعليم ، واتحاد جامعات الدول العربية ، واتحاد المعلمين العرب ، ومراكز البحوث ، ومكاتب التربية في المنطقة العربية لتحقيق المستهدف .



● واقع مشكلة الأمية وتعليم الكبار في المستويين العربي والدولي .

● أخطار مشكلة الأمية اقتصادياً واجتماعياً وفكرياً .

● أهم التجارب العربية والدولية في مجالات عو الأمية وتعليم الكبار .

● الأسس التشريعية لمحو الأمية وتعليم الكبار .

● الخصائص النفسية والعقلية والاجتماعية للكبار .

● مشكلات تعلم الكبار وطرق التغلب عليها .

● مسؤوليات الدولة في عو الأمية وتعليم الكبار .

★ ما التغيرات الثقافية التي يجب إحداثها في التعليم ومحتواه بحيث يصبح أداة لتذويب الفوارق الثقافية بين الأجيال داخل واقعنا العربي وصولاً إلى أسباب التماسك والتكامل الثقافي ؟ .

★ ما التغيرات التي يجب أن تطرأ على التعليم لتجعله قوة في معالجة الملامح السكانية القائمة من حيث معدلات نمو التركيب العمري ؟ .

(٧) أن هذا الدمج يستلزم بالضرورة إنشاء أقسام بمعاهد وكليات إعداد المعلمين لتأهيل معلم الكبار وعو الأمية ؛ كما يتطلب أيضاً وضع برامج مناسبة يمكن أن تتضمن الموضوعات التالية :

الهوامش

(١) نحو استراتيجية جديدة للتربية في البلاد العربية — المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم — مؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ، صنعاء ٢٣ - ٣٠ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٢ م .

(٢) United Nations Survey on The Problems and Policies of Economics Development: Appraisal of Recent Experience, 1967.

(٣) دكتور لطفي بركات أحمد : في فلسفة التربية ، القاهرة ، مكتبة الخانجي ، ١٩٧٨ م ، ص ٢٢٤ - ٢٢٨ .

يوسف عز الدين



شاعر العرب

ولكن الشاعر، حين يتكلم عن الوطن في هذا الديوان فوطنه لم يعد العراق وإنما هو الذي يمتد من ساحل المحيط إلى الخليج العربي... فكل الأنات حينما صدرت نجد له صدى فيه... فالجزائر أو مصر أو العراق كلها هناك. وكما كبر يوسف في السن فقد كبرت تجاربه العاطفية سلباً وإيجاباً، فالخزن أصبح أكبر مما كان والفرح أصبح أكبر مما كان، وتلون المرأة وأصبحت لها جنسيات مختلفة، فلم تعد المرأة بغدادية أو قاهرة، فقد جاءت هذه المرة من لندن ومن روما ومن استانبول، ومن مدينة ما في ألمانيا أو غيرها من البلدان.

وأصبح في عواطفه أكثر عنفاً في التعبير، فهو احتراق الشمعة الشديدة قبل أن تحل الشيخوخة... فهي الرجولة أو الكهولة التي لا زالت يعرضها الجوع إلى الحب صرفاً وممتزجاً... حلواً أو مرأياً... عابراً أو دائماً.

وكثيراً ما يراجع نفسه في ساعات اليأس ويرى نفسه أنه قد أفلس من حياة كانت زاخرة باللهو فيقول:

لم تبقى غير الذكريات وطبيها
ومرارة الآلام والحمران
يا قلب ويحك كل يوم واجف
نضبت قواك وأنت بعدك حاني
في كل يوم لوعة مهراقة
قد حطمتك لواعج الأزمان

بقلم: د. داود السلوم

المتعددة التي نارت الخصومات حولها وفيها، ويوسف الجامعي، اختلفت فيه الأقوال... ولعل الشاعر في نشاطه وحيويته ومعاملته لطبقات اجتماعية متفاوتة قد أثار كثيراً من الحسد أكثر مما أثار كثيراً من الإعجاب... لبروزه الشديد بين أقرانه وتفوقه المبكر في محيطه.

ويوسف الإنسان الشاعر الإنسان له عدة جوانب، ترى يوسف الهازل، أو يوسف الضاحك، أو يوسف الوفي الأمين... ولا يمكن أن تعرف من يوسف المؤلف والاستاذ الجامعي هذا الثاني الذي تحدث عنه الآن... ما لم تعاشره وتلقاه وتحادثه وتحلل معه.

وقد نراه في ديوانه الثالث «لهاث الحياة» (بيروت ١٩٦٠م) يختلف عن الاثنين معاً... فهو شاعر وليس أستاذاً وهو حزين وليس ضاحكاً.

وفي هذا الديوان نراه يمزج الشعر الوطني والشعر الذاتي، ولم يجد له طريقاً واضحاً... فهو مرآة تدور وليست ثابتة أو مستقرة... وإن كنت أفضل للفنان نوعاً من التخصص في الموضوع الذاتي أو الوطني لاستخراج أفضل ما فيه.

الميلاد والتربية والتكوين

ولد الشاعر في بعقوبة ثم سافر إلى مصر عام ١٩٤٦م، وهو شاب يافع لإكمال دراسته في جامعة الإسكندرية. وفي سنة ١٩٥٠م، طبع أول مجموعة شعرية «في ضمير الزمن» وكانت دراسة متخصصة للحب وتجارب القلب الشاب، وطبع مجموعته الثانية «الحنان» في عام ١٩٥٣م.

وسافر إلى إنجلترا لإكمال دراسته العالية عام ١٩٥٤ / ١٩٥٥م، وفي فترة تكوينه الأدبي وتربيته الفنية يظهر عليه أثر الشعر القديم وأثر شعر الرصافي والزهاوي ومدرستها، ويلاحظ عليه خروج مبكر على نظام القوافي الذي شجع عليه الزهاوي في أشعاره وفي مقدمات دواوينه، ونجد صدى لأثر الموشحات الأندلسية من حيث تعقيد التركيب ونية القصيدة الشعرية وتجديد المعاني.

أما في موضوعاته - في هذه الفترة - فنجد كثيراً من جوانب الحب السلبى، فأشعاره مليئة بالخزن والحمران... فهو لا زال بسيطاً لا يعرف كيف يجد طريقته إلى قلب الأنثى. وانعكست المادة السياسية في مجموعته الثانية، وهي نتيجة حتمية لمن يعيش في خضم الأحداث التي كانت تمر بها الأمة العربية بعد عام ١٩٤٨م.

يوسف الرجل الجامعي

هناك يوسف الشاعر، وهناك يوسف الأستاذ الجامعي الجاد في مؤلفاته ذات المشاكل

..الشاعر والإِنسان

يا ويح قلبي ما يتوب عن الهوى
قد أسكرته مفاتن الغزلان

نحس وأنت تقرأ الشاعر في هذا الديوان ،
أن الشاعر على مضي هذا الزمن الطويل لم
يكتشف أسلوبه الخاص ولم يتمكن من تليين
العبارة الشعرية فهي قوية واضحة بعيدة عن
الليونة والخفة والمطلوبتين في الأسلوب الشعري
الوجداني .

الشاعر .. والأدب الحديث

حين أتكل عن الأدب الحديث أعني به
الأدب في العراق . فقد كانت مدرسة الرصافي
والزهاوي قد أذنت بظهور هذا الأدب
الحديث في الوقت الذي بدأ فيه الاقتراب بين
الشرق والغرب .

وقام هذا الأدب الحديث على التجديد في
اللغة والتخفيف من أساليب الماضي . وقد عبّر
هذا الأدب الحديث في بدايته عن المظاهر
الحضارية الجديدة والأفكار والمكتشفات العلمية
واختراعات .

وكانت هذه الأشياء التي انعكست في هذا
الأدب إنما هي موضوعات جديدة فقط ولم تكن
تجارب انفعالية ذاتية فالشاعر الحديث من
مدرسة الرصافي والزهاوي بقي يصف ما هو
خارج عنه دون انفعال أصيل أو عميق ، فالملح
تحول إلى الإعجاب بزعماء الساسة وكبار
المفكرين والأدباء ، وتحول انهجاء إلى أعداء
الأمة والاستعمار ، وتحول الوصف إلى صفة
ما حول الشاعر من مظاهر حياتية جديدة فمن

البعير إلى السيارة ، ومن قطار الإبل إلى قطار
البخار .

وعلى هذا لم يكن الشاعر الحديث بأكثر من
شاعر قديم استبدل العمامة أو الطربوش
بالسدارة ، واستبدل الوقوف على السطل
بالوقوف على ملعب كرة القدم أو بناء مدرسة !!
فالجديد ليس بجديد حقاً .

وتناولت هذه المدرسة الأفكار التي
استحدثها الغرب وابتدعها في السياسة
والاقتصاد والعلوم والفلسفة ، وحاول رجال
المدرسة نقل هذه الأفكار كما هي بعد أن

* الدكتور يوسف عز الدين ، وعس بيه
الدكتور داود السوم عم ١٩٥٩ *



أظهروا حماسة لتبنيها لا لأنها صالحة كل
الصلاحية لعصرنا ، بل لأنها حديثة متنسبة
لأوروبا نشرت عنها انجالات بحوثاً وقرأ فيها
الشاعر كتباً مترجمة .

وبهذا فقد وقع الشاعر في مأزق نفسي في
هذه المدرسة فهو أبداً يوازن بين الواقع اليومي
وبين الواقع النظري الذي حصل عليه من
انجالات والكتب ، فنعكس أدب مدرسة الزهاوي
والرصافي شعوراً حزيناً متألماً ظناً منهم أن على
اجتمع أن يقفز إلى الأمام قفزاً مستجيباً
لأفكارهم ودعواتهم دون النظر إلى واقع التطور
اليومي في الكيان الاجتماعي ، وانتهت هذه
المدرسة بموت الزهاوي والرصافي وغالب
تلامذتها الكبار مثل الشبيبي والبناء .
أو بانحسار هذه المدرسة إلى التكايا والمدارس
الدينية والمناسبات أو الصمت بسبب السن
وتبدل الأيام . وظهرت المدرسة الحديثة فعلاً
التي عانى فيها الشعراء الحياة الحديثة ثقافة
ومعيشة ودراسة وشعراً واطلاعاً ، وهذه المدرسة
تضم كافة التيارات المختلفة في شعورنا المعاصر
من حيث العقيدة أو المعالجة في الموضوع
أو التطور في الشكل . ونحن لا نريد أن نتكل
عن الفروق الكبرى بين تفرعات مدارس
الشباب الحديثة ، وإنما يهمنا في الواقع معرفة
الموضوعات المشتركة والخصائص المجتمعة .

شارك أغلب شعراء هذه المدرسة الحديثة
الثانية في التجديد في الشكل ، ويختلف الشعراء
من شاعر إلى آخر في مقدار هذا التجديد .



يوسف عز الدين ..الشاعر والإنسان



* د. يوسف عز الدين *

بنفسه ، وبما له ، وبما يعود له ، وقد ينظر من حين إلى حين إلى البيئة التي يعيش فيها ويواكب مشاكلها ، بشكل الشخص المتفضل لا الشاعر الذي يقف في وجه الأزمة أو وسطها ، وإني أختلف مع السيد « صاحب كمر » في كتابه « الرؤية الشعرية » في تفسيره لشعر يوسف عز الدين . فقد حاول المؤلف أن يفسر شخصية الشاعر يوسف عز الدين تفسيراً جديداً من حيث تناوله غرض « الغزل » في شعره .

فقد عرض السيد « صاحب كمر » رأياً جديداً ولكنه لم يكن رأياً صائباً - انتهى فيه إلى أن شعر الغزل عند يوسف لا يمكن أن يتوجه إلى المرأة وإنما أحاله إلى رمز الأرض التي أنبتته واحتضنته . ولا أظن الكاتب في ذلك إلا أنه يغالط نفسه ، أو يغالط الشاعر الذي أشار صراحة في هذه القصائد إلى الزمان والمكان والاسم ماذا تفعل بالشعر الغزلي الصريح الذي تخصص بأسماء نساء واضحات المعالم ، أو اللواتي تركن وراءهن عطرن وخصلهن في القصيدة ويعيون كعيون المها مصورة في أدب الشاعر ؟ .

أما المسألة الثانية التي حاول المؤلف أن يعرضها لنا في هذه الدراسة هي مسألة الالتزام في شعر الشاعر . وهذا أمر بديهي ، فعصرنا عصر صراع سياسي بين الأمم وشعر الشاعر إن هو إلا انعكاس لجيله وزمنه وعصره وكيف يمكن لإنسان أن يحيا في عصرنا دون أن يلتزم .

فمنهم من هجر القافية الموحدة ، ومنهم من هجر البحر الواحد ، ومنهم من خرج على عدد تفعيلات البحر الواحد ، ومنهم من سقط في النثر وكتب نثراً مركزاً تغلب عليه الصور البلاغية .

وغلبت على الشعراء في هذه الفترة من حيث الموضوع ثلاثة اتجاهات هي : (الجانب الذاتي الرومنطيكي ، والجانب الاجتماعي التصوري ، والجانب السياسي القومي أو الديمقراطي) . واختلف الشعراء أيضاً في تغليب اتجاه على اتجاه بواسطة الاهتمام في موضوع معين أكثر من الاهتمام في موضوع آخر .

ومن خلال الشكل والموضوع وطبيعة معالجتها يمكن أن نحدد خصائص كل شاعر على حدة بمقدار أثر الشاعر وقوة شخصيته أو تكامله ، أو بمقدار اعتماده على الآخرين وخضوعه لأثرهم عليه .

وبذلك يمكن أن أحدد خصائص يوسف عز الدين بسهولة وسر وذلك بالنظر إلى الشكل فهو تقليدي في مجوره في الغالب ، مبدد في قوافيه ومعانيه ، لغته أنيقة فيها ظل المعنى القديم وجزالة التركيب اللغوي المتناسك المنتزع من الأساليب اللغوية والشعرية القديمين .

أما مضامينه فهي تتراوح بين الشعر الذاتي ، والشعر السياسي ، وغلب في شعره الذاتي الغزل على التأمل العميق أو الفلسفة الحزينة أو المتفائلة .

فالشاعر ، شاعر حب حساس صادق ،

انفك من ققمة الضيق في المجتمع المحافظ إلى رحاب مفتوحة واسعة في القاهرة والإسكندرية ولندن والمدن الأخرى في الشرق والغرب يصطاد بشعره وخلال مهارته الخاصة به ما يستطيع من ساعات اللقاء التي لا يبق منها غير لوعة عشق فترتر ، أو أشواق رفانيل . فترك ذلك أثره في شعره .

أما الشعر السياسي فغلب عليه ما غلب على جيله من الشعراء ، وهو موضوع الصراع السياسي بين العرب والاستعمار .

ويفتقد الشاعر الشعور الاجتماعي والمعالجة للموضوعات الاجتماعية فهو في شعره بعيد عن العالم ملتف حول نفسه وذاته في إعجابه



سبع عرفت بالجزر الأيونية نسبة إلى البحر الأيوني الذي تحتل فيه موقعاً في مواجهة الأرض الإيطالية . وقد ظلت هذه الجزر بمنأى عن الاحتلال العثماني . تلقى **سولوموس** علومه بالمدارس الإيطالية . وبعث به أبوه إلى إيطاليا حيث درس القانون دون أن يحصل على شهادة بإتمام هذه الدراسة ، فقد كان باله منشغلاً بالشعر والشعراء . وقد كتب فعلاً قصائده الأولى بالإيطالية ، إلى أن تبين نتيجة لقول أحد أصدقائه أنه لن يضيف جديداً إلى الشعر الإيطالي . فليس هذا الشعر بحاجة إلى دانتى جديد ، أما الشعر اليوناني فبحاجة إلى من يوقظه من سباته . ولما عاد **سولوموس** إلى جزيرته راحت الروح اليونانية تستيقظ بأعرقه ، وتنفض عن كاهلها ركائبات الدراسة الإيطالية ، ليجد نفسه شاعراً يونانياً خالصاً . وقد بحث عن معينه فوجده في « الأغنية الشعبية » . وكتب قصائد تنصف بالسلاسة والعمق . حتى إنه كان ما إن يؤلف قصيدة ويذيع أمرها ، حتى يتغنى بها أهل جزيرته . وقد عول **سولوموس** كثيراً على هذه العلاقة بينه وبين شعبه . فكان يقول إنه لا يكتب قصائده للقلة ، بل للكثرة العريضة .

عاش **سولوموس** في عصر الرومانسية . ولهذا جاء بدوره شاعراً رومانسياً ، وكان من أشد المعجبين بالشاعر الإنجليزي **بايرون** (١٧٨٨ - ١٨٢٤ م) الذي كان بدوره أكبر عشاق الروح اليونانية ومات في إحدى المعارك من أجل استقلالها . وقد قدر **سولوموس** أن يرتقي بتفهمه للروح الشعبية إلى أن يصبح أكبر شعراء الوطنية بقصيدته الطويلة « أغنية إلى الحرية » التي سيسبق منها « السلام القومي » اليوناني بعض مقاطعها ، فنجبري أبياته القوة على كل لسان .

لم تكن في حياة **سولوموس** أحداث مثيرة . وقد كانت « مثاليته » تتجاوز قدراته . وهذا جاء كثير من قصائده طويلة وغير مكتملة ، فقد كان يتأمل عمله ويحفظه ضيقاً . وعند التنفيذ كثيراً ما كان يتوقف وينصرف عن إنجاز العمل . وكان صديقه مونتي يقول له : « المهم في الشعر هو الشعور وليس العقل » ولكن **سولوموس** كان يريد أن يقدم أعمالاً متوازنة . تستق من الوجدان ، وتصل إلى كمالها عبر التفكير والتأمل .

ونجد في شعر **سولوموس** الطبيعة باعتبارها الدلالة على وجود الله ، والوطن باعتباره المستقبل والغاية ، الأم الرؤوم والرعاية . ولكن الشاعر مهما تأمل الطبيعة ، فمن أعماق ذاته يستمد اليقين بالحقبة . وهكذا يتحول الشاعر إلى « المثالية » ونحمس لأراء الفيلسوف الألماني **شيلر** (١٧٥٩ - ١٨٠٥ م) دون أن يتخفى على أي حال عن جذوره الإغريقية . وهكذا اختلقت « المثالية » . « بالقومية » في شعر **سولوموس** الذي أعلن أن « على الشعب أن يعتبر قوماً كل ما هو حقيقة » .

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٨٥٧ م ، مات شاعر اليونان الكبير تاركاً العديد من الأعمال الناقصة وغير المنشورة . بل إن بعض القصائد التي كان يعلم أصدقائه المقربون بوجودها بين أوراقه لم يعثر لها على أثر . وبصعوبة سمح أخوه **ديميتريوس** بنشر ما خلفه من مسودات صدرت في مجلد واحد عام ١٨٥٩ م .

هذه حياة **سولوموس** الذي لقب « دانتى اليونان » ونجد في أفضل ما بقي لنا من قصائده ميزات لم ينتقص مرور الزمن من قيمتها شيئاً . الميزة الأولى حسه النقدي المهدف لأعماله وشجاعته على إقصاء كل ما لا يرضي فيه

بدايات الشعر اليوناني الحديث

بقلم: د. نعيم عطية

يبدأ الشعر اليوناني الحديث بشاعر كبير هو **ذيونيسيوس** **سولوموس** الذي أرسى بعطائه الشعري تقاليد واصلها « شعراء الجزر الأيونية » مكونين مدرسة تميزت على الأخص بما قدمته من عطاء أدبي ممتاز ، قللت فيه أعمال النثر وبرزت أعمال شعرية اتصفت « بمثاليته » من ناحية الموضوع و « موسيقيتها » من ناحية الشكل .

دانتى اليونان

ولد **سولوموس** عام ١٧٩٨ م ، في زاكينثوس وهي إحدى جزر يونانية



مثله الجبالية العليا ، والميزة الثانية تحقيقه للتوازن بين عمق المعنى وسلاسة التعبير وموسيقية الأداء في العمل الشعري . ونقدم فيما يلي من عطاء سولوموس الشعري قصيدته « الأم المجنونة » :

« الآن ، وقد وجدنا الليل ، مضاء النجوم ، وحدنا منتظرين ، وهناك عند الصخر يتمزق صوت البحر في خفوت .
الآن ، وقد تفتح كل صدر للأحزان ، اسمعوا حكاية ، تمس شغاف القلوب .

في الجبانة شجرتا سرو متآخيتان ، بين القبور مخضرتان . لو كنت تراهما كيف تتأيلان عندما تنوح الرياح في منتصف الليل ، لقلت لهن تيكبان الأحياء وتندبان . وتحت الثرى ينام نومة الموت أخان مسكينان لا صحوة لهما . بيننا طاش صواب أمهما من أجلهما ، وأصاها خبال . كان التمسان يلعبان ، هناك حيث يقوم الحصن ، فهوت عليها صاعقة أزهرقت روحهما التعتستين . وفي ثياب بيضاء ، أنزلا مكللين بالورود إلى غياهب القبر متعانقين .
ما كنت تسمع في الجبانة نباح كلب ، ولا زقزقة طير ، ولا تمتمة شفاء ، ولا حفيف غصن ، ولا حتى أنفاس أحياء . خير ماء فحسب ، في الهدوء العميم ، يتناغم حينما سال نبع رقرار ، ينث نسات ترطب شواهد كل قبر . أما من الجناز فلم يبق سوى رائحة بجور ينسكب في الخلاء .

تهرع الأم المكلومة إلى هناك . تتوقف ، تتشمم الهواء ، وتعتصر فكرها - يا للآم الشقية ! - كما لو كانت تريد أن تتذكر شيئاً ولا تستطيع . تتكئ إلى الحائط ، وتشرذ نظراتها . ومن لوعة الحزن تبسم ، محنية ، للزرع النابت بين القبور ابتسامة مرة .

ثم تبسم للسحب والنجوم ، وقد استبدت بها رعشة ، مهدلة الذراعين ، تنكئ باكية ، وتنتفض من شدة دعرها . تهمد لحظة ، وتسى ، ثم تعود تبدأ الطواف داخل الأسوار ، باحثة من جديد ، تدور ، وتدور ، وفي النهاية تدخل الكنيسة ، وتصعد الدرجات مسرعة الخطى إلى موضع الأجراس .

كان القمر بدرأ يسكب في هدوء الليل نوره ، رانقاً مثلما في أول ليلة خلقت فيها الضياء . لكن المسكينة ، وقد اختل صوابها ، راحت تجيل النظرات المتلعة من حولها . تدق الأجراس ، وقد استبد الرعب بها ، وتعالى من فها الصياح :
« بسرعة ، فليرحلوا عن الوديان العتيقة ، ومن الظلمات الكثيفة الخافتة ، آه ! كم ينسحق بالأحزان قلبي . بسرعة ، فليرحلوا . ما عدت أحتمل شكل الغطاء المهترئ الذي ألقى على ولدي وغطى وجهيها » .

جلان ، جلان ، تدق أجراس الكنيسة . جلان ، جلان ، في السكون يرن رجع الصدى ، يرد عليها بالألم الخفيف وبالأسى .
« من الدير القصي جلبت للولدين تعويذتين مباركتين ، خيطين أقيس بها طول كل منها أودعها حضني ، واحتفظ بها ، وبالخيطين سأقيس كل يوم قبريها .

جلان ، جلان ، تدق الأجراس . جلان ، جلان ، في السكون يرن رجع الصدى ، يرد عليها بالألم الخفيف وبالأسى » .

« بالصلوات يح صوتي . وأوشكت الشموع أن تنطفئ . يئن خشب الفراش حيث يرقد الموت . وتدق الأجراس بطيئة محملة بالألم . أجل ، أجل ، لقد ماتا . إلى الظلمات أنزلوهما - أسمع الجلبة - إلى أعمق الأعماق أنزلوهما » .

جلان ، جلان ، تدق الأجراس . جلان ، جلان ، في السكون يرن رجع الصدى . يرد عليها بالألم الخفيف وبالأسى .

« لماذا تهللون التراب عليها ؟ حذاري حذاري ، لا تحجبا الجسدين الصغيرين اللذين راحا في نوم حلو . غداً سنقطف زهراً . غداً سننشد أغنيات عذبة ، عندما يأتي الربيع برياحينه الوفيرة العاطرة » .

جلان ، جلان ، تدق الأجراس ، جلان ، جلان ، في السكون يرن رجع الصدى . يرد عليها بالألم الخفيف وبالأسى .

جلان ، جلان ، مضت تتخبط ، وتولول ، وتضطرب . وتردد ما تقول حتى يح صوتها ، وفي حلقها اختنق . وإذا بنسمة رقيقة منعشة تستقيظ هفهافة عملة بعقب الفجر النضير العطر . تمر الأوراق على الأغصان وبالقلوب مرتجفة ، مثل الخيال يرسم السعادة أينما خطرت فرشاته . أما هي ، المسكينة ، فقد مضت في الضباب تسير ، وإلى الخلاء ولت . آه ، إن العذاب في السويداء عميق . ويقلب حزين مرت بالقبور كلها ، تلقى عليها النظرات ، وتحصيا بإيلاء ونيدة من رأسها .

نواح الصبية الميتة

وربما كان براسيموس ماركوراس المولود عام ١٨٢٦ م ، والمتوفي عام ١٩١١ م ، أفضل الشعراء الثمين إلى مدرسة سولوموس . وتعتبر ملحمة الغنائية « القسم » التي اسنمدت موضوعها من الثورة الكريتية عام ١٨٦٦ م ، من أبداع ما كتب في هذا النوع من الشعر . وقد جمع ماركوراس في قصائد ديوانه « أعمال شعرية » و « رحلات قصيرة » بين ما سبق أن رأيناه في عطاء سولوموس من جمال الصورة وعذوبة النغم . ونقرأ الآن من شعره قصيدته « نواح الصبية الميتة » :

« يا أيتها الدنيا الجميلة ، بأي شوق أطورك الآن في قلبي ! .
أسمع نسات ربيعك حتى وأنا في أعماق فبري .
ضمن كل ما نبت الأرض من حولي ، وددت ، يا إلهي ، أن أبزغ من التربة التي تحوطني ، مثلما تبزغ وردة ! .

أربع عشرة مرة ، رأيت مهرجان الربيع هذا ، قبل أن يجزني الموت إلى قفار بلا زهر .

كنت بدأت ، يا لتعاسي ، ألقى حلو اللقاء ، بالنسيم ، بالأغصان الخضراء ، بالنبع .

كان الزهر والعشب . ونجوم السماء الكثيرة ، بهمس كله في صدري بشيء لم يكن يدركه عقلي .

اكتسى الفجر في عيني جمالا جديداً ، وأيفظ القمر بأعماقي مئات الأحاسيس الدفينة .

كنت أينما سرت وحيدة بين الزهور أو بأرض موحشة ، أسأل من التقى به لو يعرف كنه ما أشعر به فيخبرني .

شجرة الزيتون

أما لورينتوس مافيليس المولود عام ١٨٦٠ م، والمتوفي عام ١٩١٢ م، والذي كتب بعضاً من أجمل الشعر الغنائي، فقد عرف بشجاعته الوطنية، وسقط شهيد إحدى معارك التحرير في إبيروس. ولئن كان شديد الإعجاب بفلسفة شوبنهاور (١٧٨٨ - ١٨٦٠ م)، إلا أنه بدا معترساً بقوميته فيما يكتب. وفي قصيدته «شجرة الزيتون» يقول:

عششت اليعاسيب في جذعك الأجوف، يا شجرة الزيتون
المعجوز، يا من تتأيلدين، متشحة بخضرة قليلة تزينين بها زينة الموت.

كل عصفور سكر بالحب يشقشق، وينخرط في مطاردة الحبيب
على أغصانك التي لن تزهر من جديد.

كم ستعزبك في جنازك هذه الأهازيج الساحرة، أهازيج
الصنوبر والجمال الخالد. الأهازيج التي بداخلك مثل الذكريات
تتكاثر.

أواه، لو أمكن أن تموت ميتتك هذه أنواح أخرى، تجمعها
الأخوة الوطيدة بروحك.

ومن شعراء مدرسة سولوموس أيضاً ستيفانوس مارزوكيس المولود
عام ١٨٥٥ م، والمتوفي عام ١٩١٣ م، والذي تأثر بالشعر الإيطالي الرومانسي،
ويورغيوس كالوزغوروس المولود عام ١٨٥٣ م، والمتوفي عام ١٩٠٢ م،
والذي ترجم عن الإيطالية «جسيم» دانتي. كما ترجم إلى اليونانية ما كان
قد كتبه سولوموس من قصائد بالإيطالية، وياكوفوس بوليلاس المولود
عام ١٨٢٦ م، والمتوفي عام ١٨٩٦ م، وقد ترجم «الإلياذة»
و«الأوديسة» إلى اليونانية الحديثة. كما ترجم إلى هذه اللغة بعض أعمال
شكسبير المسرحية. على أنه برز في تاريخ الأدب اليوناني الحديث بكتابات
النقدية على الأخص.

على أنه مهما كان تأثير سولوموس على شعراء الجزر السبع، إلا أن من
شعراء هذه الجزر أيضاً من لم يتأثروا به، واختطوا لأنفسهم في عالم الشعر
سبلاً خاصة. ومن أبرز هؤلاء الشعراء الكبار أندرياس كالفوس
وآرسطوطيليس فالاوريتيس.

كالفوس

وقد عاش أندرياس كالفوس المولود عام ١٧٩٢ م، والمتوفي عام
١٨٦٩ م، أغلب سنوات حياته في إيطاليا وإنجلترا حيث توفي بها. جاء إلى
اليونان إبان ثورة الاستقلال، وعين أستاذاً «بالأكاديمية الأيونية» في
كيركيرا واستقر به المقام بها خمسة وعشرين عاماً دون أن يلتقي على الرغم من
ذلك بسولوموس. وقد تعمق كالفوس في دراسة الشعراء القدماء، وتأثر
على الأخص بالشاعر بينداروس (؟ ٥٢٢ - ٤٤٨ ق. م).

وينحصر عطاء كالفوس الشعري في «عشرين قصيدة» مستلهمة من
الكفاح اليوناني من أجل الاستقلال عام ١٨٢١ م. وقد نشرت العشر قصائد
الأولى في جنييف بعنوان «القيشار» عام ١٨٢٤ م، ونشرت العشر قصائد
الأخرى في باريس بعنوان «أغنيات» عام ١٨٢٦ م، ثم نشرت القصائد
العشرون في ديوان واحد مصحوبة بترجمة إلى الفرنسية.

من وجه جميل، أو من نظرة ملائكية، كان الجواب يكاد يطلعي،
وأوشك أن أراه مكتوباً.

ولكن قبل أن ألتقي من الصوت إجابة واضحة صريحة، انقض الموت
كالصقر، وألق بي هنا.

هذه الذكرى تجثم على صدري ثقيلة، مثل تراب القبر الذي أرقد فيه
طريجة، بينما يريديني عصفور العالم الآخر أن أزداد معه صعوداً!

أواه، يا إلهي، فلأعد إلى الحياة من جديد، فلأعد بالقدر الذي يكفي
كي أعرف ما يضمه قلبي من سر كبير.

الملاك

يعتبر يوليوس تيبالدوس المولود عام ١٨١٤ م، والمتوفي عام
١٨٨٣ م، أكثر أتباع سولوموس وفاء لتعاليمه. وقد لفت عطاؤه الشعري
الأنظار بمثاليته. وكتب قصائد غنائية وملحمية، لقي بعضها شعبية كبيرة، مثل
قصيدته «الرحيل». وهذه أبيات من قصيدة لهذا الشاعر بعنوان
«الملاك»:

«في الليل البهيم، من ناحية الغرب، أقبل ملاك الموت.
رغرف بجناحيه السوداوين، فهمدت دفقات الهواء، وجد
السلسيل. وعلى الوجود، انبسطت صمت القبور.

وها هو ملاك الحياة قبالة يطير. ينثر في طريقه عبق البخور
وعالياً في السماء ازدادت النجوم لموره وضاءة وسحراً ونبئت من
الأرض زروع خضر ورياحين.

تلاقى الملاكان وسط السماء وتسمرت مرتعشة من حولهما
الأرض والبحر والنجوم، كما لو كانت أصدااء النشور دوت في
الصدور، وانكتمت الأنفاس لمراى الحياة والعدم في صحبة
واحدة.

ملاك الحياة:

ارح جناحيك

قامي السواد. ارحيها.

كم من الأفراح، يعجز اللسان عن وصفها،

أطفأها بجيتك!

ملاك الموت:

أوتنى كم من عواطف جائعة أيضاً

تذوب بين يدي؟،

وكم تضي الأيام كثية

في هذا الوجود الفاني؟

ومن الشعراء المتميزين إلى مدرسة سولوموس أيضاً يورغوس
تيرستيتيس المولود عام ١٨٠٠ م، والمتوفي عام ١٨٧٤ م. وكان قاضياً عرف
بغيرته الوطنية، ورفض أن يحكم بإدانة المناضل القومي كولوكوترونييس.
ومن أفضل قصائد هذا الشاعر «أفراح الإسكندر الأكبر». وقد وضع
أعمال سولوموس والأغاني الشعبية نصب عينيه، وعاش أغلب سنوات حياته
في أثينا حيث كان الصوت الناطق بأدب الجزر السبع.

ويعتبر كالفوس أكثر الشعراء اليونانيين تميزاً بطابع خاص ، وهو من أرقى الكلاسيكيين في الشعر اليوناني الحديث ، وإن كانت قصائده لا تخلو من شجنية رومانسية . ولئن كان لم يترك أثراً مباشراً على من جاؤوا بعده من الشعراء ، على عكس سولوموس ، إلا أنه جمع بين عطاء الشاعرين الكبيرين تغنيهما بالكفاح في سبيل الحرية ، والثورة من أجل الاستقلال .

أرسطوطيليس

أما أرسطوطيليس فالأوريتيس المولود عام ١٨٢٤ م ، والمتوفي عام ١٨٧٩ م ، فقد درس في إيطاليا وسويسرا وفرنسا . وشارك في الحركة الوطنية ومعارك التحرير شجاعاً غير هيب لالأخطار . وانتخب نائباً في « البرلمان الأيوني » وهو برلمان الجزر السبع ، وكفح من أجل الوحدة بين الجزر السبع واليونان الأم . وبعد الوحدة اختير نائباً في البرلمان اليوناني . وقد استلهم فالأوريتيس كثيراً من قصائده من حركة النضال من أجل الاستقلال الذي تحقق بثورة عام ١٨٢١ م . والتفت شأنه في ذلك شأن سولوموس إلى الأغاني الشعبية التي اهتدى بثراتها اللغوي . وقد طعم الشعر اليوناني بكثير من التعبيرات والاستخدامات اللغوية خفيت حتى على سولوموس نفسه .

الصخرة والموجة

كما هام فالأوريتيس إعجاباً بالشعر الفرنسي الكبير فيكتور هوجو (١٨٠٢ - ١٨٨٥ م) الذي استعار منه « الرومانسية » بكل خصائصها . وصار أفضل الشعراء الرومانسيين اليونانيين . وهو من الصق الشعراء اليونانيين بالطبيعة ، وأشداهم ولاء لها . وقد أثر بذلك على الشعراء اليونانيين من بعده . وسوف يكون فالأوريتيس همزة الوصل بين شعر الجزر وشعر المدرسة الأنثوية الجديدة التي ستحتل مكان الصدارة في تاريخ الأدب اليوناني الحديث اعتباراً من عام ١٨٨٨ م . كما كان سولوموس همزة الوصل بين الشعر الكريتي في القرن السابع عشر وشعر الجزر الأيوية . ولنقرأ فيما يلي واحدة من قصائد فالأوريتيس ولنستشف منها مبلغ ارتباطه بالطبيعة ، واستلعاره بالضراوة التي تكتسي بها روابطها . تلك الضراوة التي تصيغ صورها بجمال شجي أخذ أفرغه فالأوريتيس في شعره ، فاستحق الخلود . لنقرأ قصيدته « الصخرة والموجة » :

بمسارة تصيح الموجة حائلة مكفهرة .

تقول لصخرة اليم « افسحي لي الطريق ، أيتها الصخرة ، كي أمر .

افسحي الطريق ففي صدري الذي كان هامداً ،

عششت رياح الشمال وعواصفه السود .

ما عاد الزيد سلاحي ، ولا الجلبة الجوفاء مركبتي ،

بل أنهار الدم سلاحي ومركبتي .

استبدت بي لعنة عالم طفح به الكيل ، عالم يهتف الآن

قائلاً :

(أيتها الصخرة ستسقطين ، حانت نهايتك الرهيبة)

عندما كنت آتي وادعة الخطى ، وجلة كسيرة ،

التم قدميك ، أغسلها كجارية .

كنت تنظرين إليّ محتالة ، وتنادين الملاً .

كي يشاهد المهانة التي يلقاها منك رذاذي .

ومع ذلك ، فقد مضيت ليل نهار ، وأنا أغمرك بقبلاقي .

— مضيت أحر في أعماقك سراً ، وتنحت لحمك أنيابي .

بالطحالب كنت أخفي الجراح التي شققتها في بدنك ، وأواري بالرمال الحفر التي أصنعها .

أيتها الصخرة الخني ، اطلّي في غياهب البحر على جذورك .

نهشت دعائمك ، أحلتك حجراً أجوف .

افسحي لي الطريق ، أيتها الصخرة ، كي أمر !

قدم العبد سيطاً عنق السيد . . . استيقظت ، هببت أسداً . . .

كانت الصخرة نائمة ، بالضباب مغلفة ، تبدو كما لو كانت عن وعيها غائبة ، مسجاة في أكفانها ميتة . على جبينها الذي انحفرت فيه التجاعيد الغائرة طبع القمر الشاحب ضياء خافتة . من حولها تهب أحلام وصيحات لاعنة وفي دوامات الريح تصطخب أشباح مثل طيور جارحة عندما تتشمم جيف الموت .

سمع الصخر آلاف المرات زئير الموج ، وتهديداته القاسية ، يتردد صداها في جنبات الأثير غاضباً متهدجاً ، لكنه ما كان يصحو من نومه ، ولا يعير الموج أدنى التفاتة . أما اليوم فقد ارتعدت فرانسه ، وأوشك بأسه أن يخذله . فسأل :

« أيتها الموجة ، ماذا تريد مني ، ولماذا ترهبيني ؟ من أنت ، وكيف تجسرين ، بدلا من أن تنعشيني برضابك ، وبأغنياتك تهددي نومي ، وبمائك الرطيب تغسلي قدمي ، كيف تجسرين على الوقوف أمامي متوعدة ، وقد توجت هامتك بأكاليل الزبد الأبيض ؟ أيا من كنت ، فاعلمي أنه ليس من السهل أن أسقط » .

« أنا الانتقام . أيتها الصخرة ، على الأوجاع ربيت . وغذيتي الأيام حفداً لك مرأ . كنت من قبل مجرد دمة . أما الآن ، فانظري إليّ ، أصبحت بحراً لجأ خضياً . لا أحمل بين ضلوعي ، كما ترين ، طحلباً ، بل أخرج سراً من الأرواح المنفية ، سحابة تطلب ثأراً . استنفذي الآن ، من جحيمي اندفعت خطواتي إليك . جعلت مني نعمتاً . . . وحملتني جنساً . . . القيت بي إلى شطآن أجنبية . . . دفعني إلى حيث سخر الكثيرون مني ، وأنا ألفظ أنفاسي ، وفي الخفاء تصدقوا عليّ ، فنقلوا بإسئافهم السم في خزي ، افسحي لي الطريق . أيتها الصخرة ، كي أمر ، انفضت السكينة . لم أعد البحر الساجي . أنا الموج الذي يُغرّق ، أنا عدوك الذي لا يرحم . عملاًناً أقف أمامك ! » .

خيّم الذهول والصمت على الصخرة . غمر الموج المنذفع الجسد الأجوف ، وفي الأغوار السحيقة ، ضاعت الصخرة . تهدمت ، تهشمت ، ذابت مثلما يذوب الثلج . اعتلاها البحر ، ومن فوقها زبحر برهة . ثم أطبق عليها ، وحيث كان يقف الشيء الرهيب هناك لم يبق سوى الموج يتلألأ بياضاً وزرقة . وعلى القبر يلهو .

تأليف: فرنسوا ميتران
تقديم: د. فكتور الكوك



هنا... والآن

★ فرنسوا ميتران ★

إلا أن كتاب فرنسوا ميتران، رئيس الجمهورية الفرنسية، ليس من هذا الاتجاه. إذ إنه ألّفه قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية؛ فكتابه تصوّر حالي - مستقبلي لسياسة يريد ميتران أن يضعها موضع التنفيذ فيما لو ارتق سُدّة الرئاسة الفرنسية الأولى. وقد حقّق حلمه فوصل إلى رئاسة الجمهورية، وكان كتابه «هنا... والآن» مدخلاً إلى رئاسته!

ولا بدّ من الإشارة، في هذا الصدد، إلى أن فرنسوا ميتران اقترح على «غي كلاس» (Guy Claisse)، بناءً على إشارة صديق، أن يجري حواراً يكون مادة لكتاب ينشره فرنسوا ميتران على الملا. أما غي كلاس صحافي مرموق في جريدة «صباح باريس» Matin de Paris كان ميتران يقرأ تعليقه الأسبوعي بعدم ارتياح لأنه يحس أن الصحافي المرموق لا يجبّه ولا يرى إلى آرائه السياسية والاقتصادية بالموافقة أو التجانس.

وهكذا اجتمع الصحافي والسياسي دون سابق تصور وتصميم، من الناحية العملية على الأقل، ليسجلاً، خلال ثلاثة أيام، خمس عشرة ساعة من الحوار ضمهما هذا الكتاب الذي يقع في (٣٠٩) صفحات من القطع المتوسط، والذي صدر عن دار «فايار» في باريس، في أواخر عام ١٩٨٠ م. وقد تناول الرجلان،





★ جيسكار ديستان ★

★ شارل ديغول ★

في وجه اليمين والتجمعات التي تدعم «جيسكار ديستان» لأن الاشتراكيين لا يستطيعون تأمين الأكثرية النيابية وحدهم ، فهم مجبرون على تحالف كهذا ، بشرط أن يحتفظوا بشخصيتهم ؛ مع علمهم بمزايدات الشيوعيين ونسبهم «البرنامج المشترك» الذي أقامه الطرفان ؛ بالإضافة إلى فسخهم «اتحاد اليسار» عام ١٩٧٧ م . أما أسباب فسح هذا الاتحاد فتعود إلى أمور منها :

- أولاً : خوف قادة الشيوعيين — إذا ما قُيِّض لهم أن يتسلموا الحكم — من مواجهة الأزمة الاقتصادية والصعوبات الناجمة عنها .
- ثانياً : خيبتهم بسبب فقدانهم زعامة اليسار ، وعدم قدرتهم على بيان تصوراتهم ، وهو أمر مرتبط بالأول .
- ثالثاً : أن الاتحاد السوفياتي لا يرغب في أن تبرز إلى الوجود تجربة اشتراكية في أوروبا مغايرة بطبيعتها للنموذج الماركسي — اللينيني ، وذلك بمشاركة حزب شيوعي في الحكم معها .

إلا أن الخصم الذي يرمي فرنسوا ميتران إلى هزيمته هو رئيس الجمهورية الفرنسية آنذاك ، فاليري جيسكار ديستان ومؤسسات «دولته» التي سخرها لهواه . فميتران يتهمه باحتكار السلطة وما نتج عن ذلك من مفاسد . إن الأمين العام للحزب الاشتراكي يتهم النظام برومته كما آل إليه في عهد جيسكار ديستان : من مدة الولاية إلى مسؤولية الحكومة ، مروراً باستقلال القضاء ، وانتهاءً بحرية الإعلام . ويختصر ميتران كل ذلك بما أسماه «الملكية التي أقامها جيسكار» ! .

في هذه «المقابلة الصحفية» الطويلة النفس ، معظم القضايا المهمة التي يطرحها واقع فرنسا في الحقبة الحاضرة ، سواء السياسية منها ، أو الاجتماعية والاقتصادية .

وكان ميتران ، الاشتراكي المعارض ، لا يفتأ يردد دعوته إلى إقامة «جمهورية المواطنين» في مواجهة النظام الفردي الذي أوجده الجنرال ديغول على صورته ومثاله . وعلى أساس هذا الشعار الجديد كان قد رشح نفسه لانتخابات رئاسة الجمهورية عام ١٩٦٥ م .

أنا

«أن يكون الإنسان ذاته ، قبل أي شيء» عنوان الفصل الأول من كتاب فرنسوا ميتران . وهو عنوان مثير في نظري يرفع شعاراً يعيد إلى الأذهان تعليم سقراط : «أيها الإنسان اعرف نفسك» ١ . وهذا الفصل يتناول مسألة لا تشغل بال الرئيس المقبل للجمهورية ، وهي مسألة العمر التي يرددها خصومه لغير صالحه ، فيجبهها ميتران بقوله : «يُحكم على المرء بأرائه لا بعمره» . ومهما يكن من أمر فهو ، في ميدان السياسة ، منذ ٣٥ عاماً ، وقد وصل إلى منصب الوزارة وهو في الثلاثين من عمره ، فهو ، بذلك ، أصغر وزير عرفته الجمهورية الفرنسية منذ عهد الإمبراطورية الأولى ! ولقد حق له أن يردد قولاً كثيراً ما يطيب له تردادده : «أنا ركن في طبيعة فرنسا» ! .

وقد عرفت فرنسا ميتران تلميذاً قضى ثماني سنوات في مدرسة داخلية خاصة ، نفذت خلالها إلى نفسه الفتية تعاليم الكتاب المقدس وأفكار روحانية . وليس هذا بضائره ، فهو مشدود إلى ذلك الإرث ، لم يستطع أحد أن يخضعه لغسل الدماغ ، فللاشتراكي الحق في أن يؤمن بالله ! فليس لتيار فكري ، أيّاً كان ، أن يناقض الاختيار الروحي عند رجل واع .

والآخرون

فإذا انتقلنا من الكلام على الذات إلى الكلام على الآخرين ، وجدنا المحاور الصحافي لرئيس المستقبل يطرح أسئلته ببراعة تسير الإحراج . وبذلك ندخل في فصل ثان عنوانه «المنعطف الشيوعي» . إلا أن ميتران يواجه الواقع بشجاعة ، كما هو ، لا كما يرجو . فيعترف بأن على الحزب الاشتراكي أن يتحالف مع الحزب الشيوعي ليقف

التغيير المرتجى

ينطلق فرنسوا ميران ، في المجال الاقتصادي الذي ينبغي به التغيير ، من أرضية عملية تجريبية . فقد علمته التجربة ومعرفة التاريخ أنه لا يجوز هدم كل شيء لإحداث التغيير المنشود . وعليه فالاشتراكيون براءاً مما ألصق بهم من أنهم يعارضون « المبادرة الفردية » . إذ إنهم يقولون - في مجال الاقتصاد القائم على النمو الاجتماعي - بالمبادرة ذات الحد الوسط ، سواء كانت صناعية أو تجارية أو مهنية ، لأنها توفر مجالاً طبيعياً للابتكار التقني وخلق الوظائف للعمل .

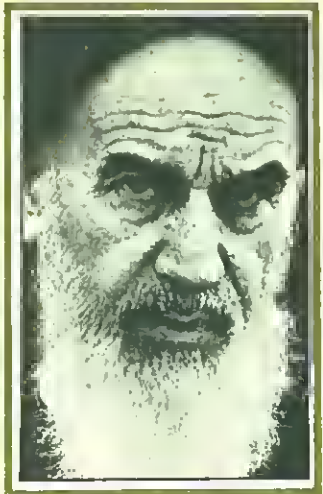
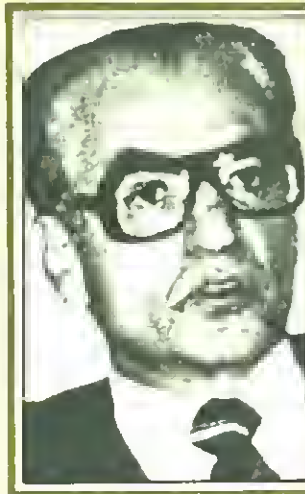
إلا أن الاشتراكيين - وفاءً منهم للالتزامات المقررة عام ١٩٧٢ م ، عند توقيع البرنامج المشترك للسياس - يعتبرون انتقال الصناعات الأساسية للقطاعات الرئيسة إلى الدولة أمراً لا بد منه . من هذا القبيل : الثروات الجوفية ، التسليح ، صناعة الملاحة الجوية والفضاء ، الصناعة النووية ، وكذلك الصناعة الإلكترونية والكيميائية في معظمها . وبطبيعة الحال القطاع المصرفي والمالي بأكليته .

أما تلبية المطالب الاجتماعية لتحسين ظروف المعيشة ، وتأمين الشيخوخة ، فيضعها فرنسوا ميران في صلب اهتماماته وأهداف الحزب الاشتراكي . وهو ، إذ يدعو إلى الإنتاجية القصوى ، يرى كذلك إلى تقليص ساعات العمل ، وتقديم سن التقاعد ، معتبراً ذلك استيلاءً على مدى زمني للحياة ! وهي ، لعمري ، نظرة نابعة من إنسانية الإنسان ، لا من استخدامه آلة للإنتاج !

وليس عبثاً أن وضع ميران عنواناً لفصله هذا : « السيادة على

★ شاء إيران ★

★ الخميني ★



التقدم » . فريش اليوم ذو تفكير سليم ، وصاحب تعبير دقيق أنيق متجذر في الأدب السياسي .

هواء الخارج

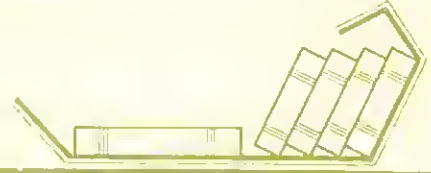
ولما كانت فرنسا ، كاية دولة في هذا العصر ، لا تنفصل عن العالم ، بل تتفاعل مع الخارج على أنها معنية إيجاباً أو سلباً بما يجري في الدنيا ، فقد خصّ فرنسوا ميران الفصل الأخير السابع من كتابه يشؤون الخارج تحت عنوان عام هو : « هواء الخارج » اندرجت تحته عناوين فرعية كما يلي : إيران : أخطاء الشاه وذنوبه - خميني يُخطئ الثورة - العربية السعودية ، مفتاح النظام القديم - العراق وإيران ، معركة في سبيل خليج - مسّ البترول هو الحرب - السادات - الإسرائيليون والفلسطينيون - شعبان لأرض واحدة - حديث مع ماو - في الصين - ساعة مديري الأعمال - مستقبل العالم الثالث - إصلاح النظام النقدي العالمي - عودة ما إلى الذهب - بترودولارات لغير المحظوظين - دور فرنسا - طموح الاشتراكية العالمية وحدودها - بولندا - نظام على المحك - أي علاج لأم الإنسان ؟ .

هواء الخارج هذا هبّ على أفكار فرنسوا ميران فبت حديثاً كان قبل مكتباً . . ومن مفارقات هذا الحديث أن الزعيم الاشتراكي الفرنسي لا يُخفي حبه للأميركيين ولا معارضته لسياساتهم ؛ في حين تبين خصومته القاسية للتوسع السوفييتي . ثم يرسم موقع فرنسا من الجبارين على الشكل الآتي : إن التوسع السوفييتي يجبرنا على تقوية دفاعنا العسكري . لكنه لا يهدد استقلالنا الاقتصادي . . الإمبريالية الأميركية لا تهدد كيان أرضنا ، لكنها تستولي على مواردنا الزراعية والصناعية وتجبرنا على تنظيم دفاعنا الاقتصادي .

إلى جانب ذلك أبدى فرنسوا ميران اهتماماً كبيراً بالعالم الثالث ، من إيران ، إلى أفغانستان ، إلى الشرق الأدنى ، وصولاً إلى بولندا . ولم يُغفل محنة لبنان فقال : « لن أختم هذا الحوار من دون أن أدعو الأمم المتحدة وضمير الإنسانية إلى إنصاف لبنان الممزق . لقد ترك يواجه الموت وهو البلد الصغير الذي لا يقف في وجه مسيرة الزمان اللامبالية » .

هذا ما كتبه فرنسوا ميران للتاريخ ، وقد شاء التاريخ أن يكون كتابه مدخلاً إلى رئاسته لجمهورية فرنسا . فهل يضع القول في موضع الفعل ؟ نترك الحكم على ذلك إلى نهاية ولايته .





يترعرع كونتا كني في هذه البيئة الفطرية السودودة ، ويمر بنفس مسلسل حياة أبناء القرية ، إلا أنه يُمنح فرصة السفر والترحال البعيد وهو ما زال فتي صغير في سن الثامنة . فيرافق والده في مسيرة خمسة أيام على الأقدام نحو قرية جديدة أقامها الأخوان الأكبران لوالد كونتا . وقد كانت تجربة قاسية وممتعة في آن واحد لكونتا ، حيث خرج لأول مرة من الأفق الضيق لقريته إلى مجال أرحب تملأ خلالها أشكالاً متعددة من مبادئ السفر الطويل وكيفية التعامل مع مختلف الكائنات الحية أثناء الحل والترحال .

ومن عادات قرى جامبيا أن تبت رسائلها عبر الأثير بواسطة الدقات المتواصلة والمتقطعة للطبول ، وكأنها إشارات لأجهزة **التلغراف** أو «موريس» في العصر الحديث . ويتم تفسير هذه الدقات وتناقلها من قرية إلى أخرى حتى تصل إلى وجهتها ، التي ربما تكون في أقصى بلاد جامبيا . وقد لوحظ في الفترة الأخيرة أن هذه الرسائل السمعية تشير إلى تزايد غزوات تجار الرقيق على القرى القريبة ، وما أحدثته من خراب وتدمير لبعضها وأسر الكثير من نساء وشبابها . ولذلك اتخذت الاحتياطات اللازمة لحماية قرية جوفور ، مسقط رأس كونتا كني ، وتحذير سكانها من

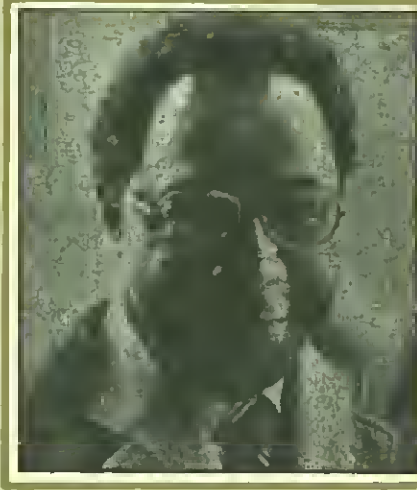
هي قصة البطولة العظيمة لبحث استمر اثني عشر عاماً عن جذور عائلة رجل . والرجل هو **اليكس هيلي** ، الأميركي الأسود : الذي تتبع خطى ستة أجيال عودة إلى الورا بدءاً من « **كونتا كني** » ، الفتي الإفريقي ذو الستة عشر ربيعاً حينما انتزع من بين صحبة أهله ويبيع في أسواق الرقيق في العالم الجديد ، ثم مراحل العبودية بكل معاناتها وضراوتها ، وتسلسل أجيال هذا الفتي حتى تنتهي بزمن المؤلف ، أحد أحفاد ذلك الأسير الإفريقي .

ويقع الكتاب في ٦٣٩ صفحة من الحجم المتوسط ، حيث يسرد فيه المؤلف سيرة حياة أسلافه على نحو دراماتيكي تاريخي . وسوف نسلط الضوء هنا على أهم الوقائع التاريخية والأحداث التي مرت بها تلك الأجيال الستة ، وإظهار بعض أشكال العبودية والاضطهاد التي مارسها الرجل الأبيض في سبيل إشباع جشعه ومتطلبات رفاهيته على حساب استغلاله لأرواح البشر الآخرين .

ولد كونتا كني عام ١٧٥٠ م ، لأبوين مسلمين يعيشان في قرية « **جوفور** » التابعة لقبيلة « **ماتدينكا** » بالقرب من ساحل **جامبيا** في غرب إفريقيا . ويتنسب هذا الطفل إلى شيخ جليل يدعى **كيرابا كونتا كني** ، هاجر من **موريتانيا** واستوطن في هذه القرية وأصبح إمامها وزعيمها المعزز . ولذلك سمي هذا الطفل بعد جده تيمناً بالإنجازات العظيمة التي خلفها الأخير . أما القرية ذاتها ، فهي تعيش بهدوء واضمئتان في جو تسوده المحبة والتعاون . فالأراضي الزراعية يتم تقسيمها عليهم بالعدل وحسب أفراد كل عائلة ، ليزرعوها في كل موسم بالقطن والفل السوداني والحبوب والخضروات . ويقوم إمام القرية والحكّمين من كبار السن بدور مجلس الشورى والأداة التنفيذية في إجراءات توزيع الأرض والنظم الداخلية وحل الخصومات الفردية ، والبت في أمور الزواج والمسائل العائلية ، والإشراف على إدارة مركز تدريب « **الرجولة** » الذي يقام كل عام لتدريب الفتيان في سن العاشرة على فنون القتال والقتل وتاريخ القبائل في إفريقيا وأحوالها وواجبات المواطن الصالح تجاه نفسه وأبناء قريته وقبيلته . وهناك مدرسة القرية يديرها الشيخ ويتعلم فيها الأطفال في سن الخامسة وطوال خمس سنوات ، دروس القراءة والكتابة باللغة العربية وحفظ بعض الآيات من القرآن الكريم وأصول القبائل وتاريخها .

تأليف: اليكس هيلي
عرض وتلخيص:
خليل الطرهوري

★ اليكس هيلي ★



غزوات «الطوب» . والطوب بلغة أهل القرية يعني الرجل الأبيض ذو الشعر الغريب الأشقر والذي يشبه المخلوقات المربعة الآتية من عالم مجهول ، لهول ما يخلف من خراب وتقتيل ورعب .

وحينما يبلغ كونتا كنني السادسة عشرة من عمره ، يقرر أن يقوم بسفر طويل إلى حيث موطن أجداده الأولين في بلاد «مالي» ، حيث هاجر إلى موريتانيا البعض منهم ، وولد هناك جده الشيخ الجليل كيرابا كونتا كنني . وقد درس خطة السفر بعناية مع الرجال المتمرين وأصحاب الدراية بتلك المناطق . واستعداداً لذلك ، خرج كونتا كنني إلى الغابة المجاورة ليجهاز له إطاراً خشبياً لطبله الذي سيرافقه حتى يستطيع بواسطته بث أخبار وأحداث سفره إلى ذويه وأهله في القرية . ولسوء طالع ، ينقض عليه مجموعة من عملاء تجار الرقيق ، الذين يتغلبون عليه ويُفقدونه وعيه ، ثم يجرونه مكبلاً إلى مقرهم في قلعة جزيرة الأسرى على النهر الكبير تحرس مياهها التماسيح المتوحشة .

بداية المصاعب

من هنا تبدأ طريق الآلام وحياة الأسر والعبودية . وفي جزيرة الأسر ،

الفرصة المناسبة ، فاندس في عربة محملة بأوراق التبغ ، وتحباً فيها حتى قطعت مسافة طويلة ، ثم خرج إلى الغابة وسار فيها بدون اتجاه محدد طوال يوم وليلة . ولكن رجال مطاردة العبيد اقتفوا أثره وألقوا القبض عليه تحت حراب أسلحتهم ، ونهشت الكلاب لحمه ، ثم بتروا قدمه بالفأس وحملوه إلى سيده وهو في حالة الاغناء الشديد .

أفاق كوتنا كنتي من سبات إغنامه الطويل ، ليجد امرأة سوداء تنظف جرح قدمه المبتورة وتضع عليها أصنافاً مختلفة من الأدوية ، ويعلم منها أنه الآن مملوك لسيد جديد اسمه **وليام موللر** ، ومهنته الثانوية طبيب ، وهو شقيق سيده الأسبق . ويبقى طوال فترة المعالجة تحت رعاية السطاهية السوداء «بل» ، التي يُقدر له أن يتزوجها فيما بعد . وقد أطلعه أحد العبيد على فقرات من ما يُسمى بقانون العبيد السذي سنته ولاية **فرجينيا** في ذلك العهد ، حيث قال له ، « إن أي شخص يمسك بك فاراً يكون له الحق في قتلك بدون محاسبة . ولا يُسمح للعبد بحمل بندقية أو حتى عصا غليظة . كما أن العبد الذي يُمسك بدون تصريح من سيده يُساقط ٢٠ ضربة ، ويتلقى ٣٠ ضربة إذا رفع يده في وجه رجل أبيض ، وتُقطع أذنه إذا ادّعى عليه بأنه أقسم باطلاً ، وكلتا الأذنين إذا ادّعى عليه بأنه كذب مرتين . والقانون يقول بأنه إذا قتلت رجلاً أبيضاً فسوف تُشنق ، أما إذا قتلت رجلاً أسوداً فستُضرب بالسوط فقط . ومنع القانون تعليم القراءة أو الكتابة لأي زنجي أو إعطائه كتاباً ، ومنعهم من دق الطبول أو ممارسة أي شعائر إفريقية » .

بدأ عمله لدى سيده الجديد كمزارع في حديقة الخضروات المحيطة بالمنزل ، ويقوم بتجهيز الخضروات للطاهية التي تعود بها للمنزل لتحضير وجبات الطعام لأسرة سيدها . أما العبيد الآخرون ، فإنهم يعملون طوال نهارهم في الحقول ، ولا يجتمع بهم كوتنا كنتي إلا في المساء حين يعودون إلى أكواخهم ويتناولون عشاءهم سوية بقرب الأكواخ ، ويتناقلون الأخبار التي تهمهم . واستمر كوتنا في روتين عمله هذا ، ولم تعد فكرة الهروب تخطر له ببال وخاصة أنه أصبح شبه مقعد بعد أن بُترت قدمه . وحيناً باع السيد موللر سائق عرته عقاباً له على عدم إطاعته لقانون العبيد ، اختار كوتنا كنتي ليكون سائقه الجديد . وهكذا استطاع كوتنا لأول مرة أن يرى معالم الوجود خارج نطاق حديقة الخضروات ، فيسوق عربة سيده إلى مسافة بعيدة لمعالجة مريض أو زيارة أحد الأقارب أو حضور اجتماع لإدارة المقاطعة .

يتزوج كوتنا من الطاهية «بل» وهو في سنته السابعة والثلاثين ، وتولد له طفلة في عام ١٧٩٠ م ، يدعوها «كينزي» . وتنمو هذه الطفلة وتصبح الشغل الشاغل لوالديها . وتتعلم القراءة والكتابة خفية بمساعدة

أطفال وشيوخ ورجال ونساء مكبلين وعراة من كل ملابسهم ، تسيل الدماء من كل جنباتهم ورؤوسهم ، يشنون ويستغيثون : « انقذنا يا الله » ، والضربات تنهال عليهم من كل صوب ، ثم يُوسم كل فرد منهم بأحرف «LL» على ظهره بواسطة الكي بالنار . وينقلون بعد فترة قصيرة وهم في هذه الحال إلى سفينة قديمة تبخر بهم إلى العالم الجديد «أمريكا» ، حيث يحشرون في الجزء السفلي منها وقد سدت عليهم جميع المنافذ العلوية . وطوال فترة الإبحار ، تفتك الأمراض والالام بالعديد منهم ، فيلقى بالمولق طعاماً لحيوانات البحر . وقد حاولوا التمرد وقتل الحراس والاستيلاء على السفينة ، ولكنهم فشلوا في ذلك وكانت النتيجة مقتل العديد منهم . وأصيب كوتنا بالأمراض وهزلت صحته حتى أنه لم يكن ليصدق بأنه سيبقى من بين الأحياء وسط المرض والفقران والبراغيث والمخلفات البشرية .

وصلت السفينة إلى ميناء «أنابوليس» في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٧٦٧ م ، ومن ضمن حمولتها ٩٨ أسيراً إفريقياً وبذلك تكون قد فقدت ٤٢ فرداً ماتوا أثناء إبحارها من إفريقيا إلى شاطئ أمريكا . ثم وضعوا في إسبيلات محكمة المنافذ ، وعرضوا بعد ذلك للبيع في المزاد العلني . وكان من نصيب كوتنا كنتي أن يباع إلى سيد أبيض يدعى «جون موللر» . وفي اللحظة التي يصل فيها كوتنا كنتي منزل سيده ، يباغت سائق العربة الأسود ويهجم عليه ، ثم يفر هارباً إلى المنطقة المحيطة . ولكنه لا يتعد كثيراً حتى تلحق به المجموعة الشرسة يتبعها الخدم وسيدهم ، فيوسعون ضرباً ولكماً ، ويوضع في السلاسل الموصولة بحلقة مثبتة في إحدى زوايا الكوخ المخصص له . وبعد فترة يرسل للعمل في الحقول وهو مكبل بالحديد في أعلى قدميه . كان يصلي لله ويدعوه أن ينقذه من الأسر الرهيب ، ويحاول أن يمتنع عن الطعام إن شعر أنه ممزوج بلحم الخنزير المحرم .

لقبه سيده باسم **طوي** ، وكان يصر على اسمه الحقيقي كوتنا كنتي . وما يثير عجبه الشديد في هذه المرحلة الأولى لحياته في العالم الجديد ، هو أن أبناء جنسه من السود يتعاملون مع أعدائه البيض ، ولا يتكلمون اللهجات الإفريقية أو يتصرفون وفق تقاليدهم الأصلية . إنه لا يستطيع أن يفهم مع هذا العالم الغريب حقاً .

كانت أولى الكلمات الجديدة التي سمعها وفهم معناها هي مثل : «زنجي» ، «سيد» ، «خنزير» . . . ومرة ثانية يعود كوتنا كنتي للهروب ، ويكون مصيره الفشل كالمرة الأولى . ورغم ذلك لم تبحر فكرة الهرب مخيلته ، فيحاول الحصول خفية على منجل أو سكين لقطع أعواد الذرة أو قضيب معدني ليستخدمه كسلاح في المرة القادمة . وحنانت

الطفلة المدللة للسيد جون موللر ، سيد كونتا الأسبق وشقيق سيده الحالي . وحينما تصبح في السادسة عشرة من عمرها ، يتعلق قلبها بفتى من أبناء عبيد المزرعة . ولكن الفتى يقرر الهرب إلى الولايات الشمالية ليتحرر من العبودية ويعمل هناك ، ثم يعود وقد استطاع توفير ما يكفي لشراء خطيبته كيزي من سيدها . وتساعد كيزي بتزوير تصريح مرور بخط يدها ، إلا أن جماعات مطاردة العبيد تكتشف تزوير التصريح ، فتعتقل خطيبها وتسلمه إلى سيده . ويقرر السيد موللر أن يعاقبها ببيع إلى أسياد آخرين . ولم تشفع استغاثات واسترحامات والديها لدى السيد في أن يعدل عن قراره فينجمون بفراق ابنتهم الوحيدة ، وهي المصيبة الثانية التي تحل بـ « بل » ببيع أولادها الأولين قبل زواجها من كونتا كنتي .

مصارعة الديوك

يشترى كيزي سيد أبيض يدعى « توم لي » اشتهر في منطقته بأشرس الطبايع وأسوأ الأخلاق والمعاملة . وقد بدأ حياته فقيراً معدماً لا يملك إلا نفسه وقطعة أرض غير مستصلحة للزراعة ، واستطاع أن يشتري أول عبيده بواسطة مكاسبه من مقامرات « مصارعة الديوك » ، وكان اسمه جورج الذي قضى نحبه تحت وطأة إرهاب وإذلال سيده له . وفي الأسبوع الأول من حياة كيزي لدى سيدها الجديد ، تتعرض لعملية اغتصاب بشعة منه ، ويذيقها أمر أصناف العذاب والهوان . وتلد منه ابنتها الأول عام ١٨٠٦ م ، ويلقبه سيدها باسم جورج تيمناً باسم عبده الأول . وهكذا ينمو جورج ويعمل وهو ما زال في سن السابعة مساعداً لمدرّب ديوك المقامرة . ويتمرس جورج على مهنة تربية الديوك المصارعة وتدريبها ، ويصبح يتقنها ويشتهر فيها وهو ما زال في بداية حياته ، حتى أنه يشارك بنصيبه الضئيل إلى جانب ديوك سيده الشهيرة . ويستمر جورج في أداء هذه المهنة لحساب سيده المقامر ، حتى بعد زواجه من فتاة مهيبة تدعى « ماتيلدا » عام ١٨٢٧ م ، اشتراها سيده من صاحب المزرعة المجاورة ليزوجها إلى جورج . وتنجب له ستة أطفال هم : فيرجيل ، توم ، اشفورد ، جورج الصغير ، كيزي الصغيرة ، ماري .

ومن أحداث سنوات الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي إغارات الرجل الأبيض في أميركا على مواطن وقبائل الهنود الحمر وإبادة الآلاف منهم ، ومصادرة أراضيهم ومصادر أرزاقهم . وحدثت أيضاً حركات تمرد عفوية عديدة للزنج في شمال وجنوب الولايات الأمريكية ، ولكنها قعت جميعها بالحديد والنار ، وتسبب عنها مقتل الآلاف من الزنوج .

يتعلم توم ، ثاني أبناء جورج ، الحدادة لدى عبد آخر في مزرعة

مجاورة ، ثم يعود ليقتنح دكاناً للحدادة لمصلحة سيده مقابل بعض فضلات الأجرة التي يكسبها . وتقرر العائلة أن يشترك جورج وابنه توم في توفير أكبر قدر ممكن من النقود ليدفعوها إلى سيدهم مقابل اعتاقهم ، وقد كان المبلغ المقدر لهذه المهمة يصل إلى حوالي ستة آلاف دولار . ويستطيع جورج أن يوفر مبلغ ٢٠٠٠ دولار .

وفي عام ١٨٥٥ م ، تقام جولة تحد في مصارعة الديوك المقاتلة بين السيد توم لي ، سيد جورج ، وبين السير أريك ولسل البريطاني صاحب أشهر ديوك للمصارعة في القارة الأمريكية وبريطانيا . ويطلب توم لي من جورج أن يشاركه بكل ما وفره من مبلغ على أن تعود جميع الأرباح إليه مقابل إعتاق كامل الأسرة . وفي لعبة مثيرة تحدد مصير أسرة جورج والدة ، واحتشد لها المئات من محبي هذه اللعبة ، يحالفهم الحظ في الجولة الأولى ، ولكنهم يخسرون كل ما لديهم في الجولات التالية . وهكذا يخسر جورج فرصته الحاسمة لتحريرهم ، ويفلس تماماً السيد توم لي فيضطر إلى تأجير جورج لمدة عامين للعمل كمدرّب للديوك مع السير أريك ولسل في بريطانيا . ويتعهد توم لي مقابل ذلك بأن يمنح كامل الأسرة حريتها بعد انقضاء فترة عمل جورج مع السير البريطاني وعودته إليهم ، ويؤكد عهده بكتابة شهادة منح الحرية موقعة منه ويضعها في صندوقه الخديدي إلى حين عودة جورج من بريطانيا .

يسافر جورج حسب الاتفاق ، إلا أن توم لي ينتكر لعده ، وقد طال عمره فوق الثمانين ، ويبيع كامل الأسرة ، ما عدا الجدة كيزي ، إلى عائلة « موريه » في كارولينا الشمالية . ويتزوج البعض من أبناء جورج ، ويفتح ابنه توم دكان حدادة لحساب سيده الجديد . وتعيش الأسرة في وضع أفضل عن السابق نسبياً . إلا أن الزوج بشكل عام يعانون أشكالا عديدة من الاضطهاد والارهاب بعد انتشار أخبار الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب ، ومناصرة الزوج للشماليين . وقد حقق الشماليون انتصارات عديدة بزعامة الرئيس أبراهام لينكولن ، ولكن الحرب ما زالت دائرة بين الطرفين ولم تنضج نتيجتها بعد . وفي تلك الفترة يتزوج الحداد توم من فتاة زنجية ، تدعى « إيرين » وقد تعرف عليها أثناء عمله بعض الأبواب والنوافذ المعدنية لمزول أسرة سيدها . كذلك تزوج جميع أبناء وبنات جورج .

العودة

يعود جورج بعد انقضاء فترة تأجيره في بريطانيا ، ويتوجه إلى بيت سيده الأسبق توم لي . ويفاجأ هناك بعدم وجود أسرته ، ويعلم من امرأة عجوز ما زالت على قيد الحياة بأن أسرته بيعت إلى سيد آخر وأن والدته

العالمية الأولى ، حيث سافر إلى فرنسا وأصيب هناك بالغاز السام ، وعاد إلى موطنه للعلاج وإتمام دراسته ، ثم يتزوج من بيرتا جورج التي عملت مدرسة ، ولكنه يتابع دراسته العليا حتى أصبح عميد كلية الزراعة في جامعة أركنساس . وهنا نصل إلى المؤلف ذاته الذي ولد من هذين الوالدين عام ١٩٢١ م .

★ ★ ★

ولكن قد يتساءل القارئ عن كيفية حصول المؤلف على تفاصيل هذه الأحداث التاريخية والتي يرجع تاريخها إلى أكثر من قرنين ماضيين ، أم أن كل ما تحدّث عنه هو من نسج الخيال الواقعي ؟ والكاتب لا يتركتنا نبتعد كثيراً في تصور أحكام وتخمينات لهذه المسألة ، بل يبادر فور انتهائه من سرد الأحداث حتى زمانه إلى أن يروي لنا قصته ذاته في ذلك المشوار الطويل الذي قطعه بحثاً ومعاونة عن جندور أسلافه . وقد كان العامل الأساسي في بقاء هذا التاريخ الطويل حياً هو ذلك المبدأ الذي اعتمده كونتا كنني برواية قصة حياته وحياة أهله وقريته في جامبيا بإفريقيا إلى ابنته كيزي ، ومتابعة هذا المبدأ مع كل طفل يولد من ذريته حتى وصلت القصة ذاتها ، رغم التغييرات التي طرأت عليها ، إلى الكاتب نفسه .

يقول اليكس هيلي في نهاية كتابه : إنه سمع هذه القصة مختصرة جداً من جداته الكبار في السن ، وكان لزاماً عليه أن يعود إلى جميع مصادر القصة وأحداثها حيث وقعت . فقد راجع مئات الكتب والملفات القديمة وسجلات البواخر والمواثيق ذات الصلة ، واستعان بالكثير من الباحثين في تاريخ وعادات الشعوب الإفريقية وسافر ما يقرب من نصف مليون ميل بحثاً عن أصول هذه السلسلة من الأحداث . وكانت أهم رحلة قام بها رحلته إلى موطن جده الأول كونتا كنني وقريته جوفور بالذات .

يصف اليكس هيلي كيف التقى بسكان قرى جامبيا بمساعدة مترجمين جامبيين يدرسون في أميركا . « لم يكونوا ينظرون إليّ كفرد بذاته ، ولكنني كنت أجسد في نظرهم رمزاً لخمسة وعشرين مليوناً منا نحن السود لم يروه مطلقاً ، يعيشون وراء المحيط » . لقد تحدّثوا إليه كأنه واحد منهم ، بل إن النساء في قرية جوفور رمين بأطفاهن في حضنه تعبيراً على أنهم من دم ولحم واحد . لقد رقصوا حوله ابتهاجاً بعودة الابن المفقود واحتفوا به وهتفوا له في كل القرى المجاورة التي علمت بقصته .

روى له المعمرون من الرجال في قرية جوفور التاريخ الطويل لأنساب وأحساب سكان القرية الأولين عن ظهر قلب وكانهم يقرأون من كتاب مفتوح . وأخيراً أخذوه إلى مسجدهم المقام من قصبات البامبو والقش ، ووضعوه بينهم ثم صلوا لله شاكرين : « الحمد لله الذي أعاد لنا من فقدناه منذ مدة طويلة » .

قد توفت ، ولم يبق سواها من العبيد بالإضافة إلى سيدها القابع طوال الوقت في غرفته ينتظر ساعة الموت . وقد أصبح المنزل وما حوله مكاناً مهجوراً مشؤوماً كمقبرة للأحياء الأموات . ويحين جنون جورج غضباً على سيده ، فيصعد إليه ، ويغافله فيأخذ شهادة الإعتراف من العبودية من الصندوق الحديدي ، ويمتطي جواده مسرعاً إلى حيث تعيش أسرته .

يلتقي جورج بأسرته وقد تضاعف عددها بفعل زواج أبنائه ونسائه ، ويمكث معهم فترة قصيرة لأن قانون المقاطعة لا يسمح له بالبقاء كرجل أسود حرّ أكثر من شهرين ، وإذا انقضت هذه المدة ولم يغادر فسيعود عبداً من جديد . ويضطر للمغادرة على أن يعود إليهم من جديد ويعتقهم بالمال . وفي تلك الأثناء تستخدم المعارك بين الشمال والجنوب ، وتقترب الحرب من نهايتها بانتصار الشماليين وإعلان وثيقة تحرير العبيد ليتم تطبيقها في كامل الولايات المتحدة الأمريكية . ولم تفض فترة قصيرة على نهاية الحرب حتى يعود جورج إلى أسرته من جديد بعد فراق دام حوالي عامين . ويقرر جورج أن يرحل مع أسرته وجميع من كانوا عبيداً لدى السيد موريه ، وأحد الرجال البيض الفقراء وعائلته ، في موكب واحد بلغ تسعاً وعشرين عربة إلى مقاطعة «لواورد يل» في الشمال .

يستوطن الجميع هناك ، ويستصلحون الأراضي وسيجرونها ليزرعوها لأول مرة في حياتهم لحسابهم وليس كعبيد مُسَخَّرين لأمسيادهم . ولكن جيرانهم من البيض لا يزالون ينظرون لهم ببغض ، ويمنعون نوم من افتتاح ورشة حدادة خاصة به . ورغم ذلك التمسك ، يستنبط نوم دكان حدادة متحركة أقامها على إحدى عربات الخيل ، وباشر عمله بهذه الطريقة إلى أن رضخ البيض أخيراً وسمحوا له بإقامة ورشة حدادة في المنطقة . وتزدهر أعمال الجميع فيتعاونون على بناء كنيسة للملونين والسود أسموها «كنيسة الأمل الجديد لطائفة الميثودست» . وبعد فترة قصيرة تتوفى ماتيلدا ، ويتلوها زوجها جورج بوقت قصير وهو في الثالثة والثمانين من عمره . أما توم الحداد ، فينجب مجموعة من الأولاد والبنات أصغرهن «ستشيا» ، التي تتزوج من موظف أسود يدعى «ول بالمر» . وقد استطاع بالمر بجدارته ونشاطه أن يؤسس بعد ذلك أول شركة يملكها رجل أسود في ولاية «تينيسي» . وتلد ستشيا طفلتها الوحيدة «بيرتا جورج» ، فيولها والداه عناية فائقة وتعليماً خاصاً ، وتذهب إلى الجامعة ، لتتعرف بزميلها سيمون اليكساندر هيلي ، طالب الزراعة . وهو ذاته من نسل أرقاء إفريقيين كانوا عبيداً لآسياد بيض من أصل إيرلندي في مقاطعة ماريون ، ولاية ألاباما .

وكان سيمون هيلي مجدداً في دراسته ويعمل نفسه من خلال ما يوفره من عمله في العطلة الصيفية . وقد جُنّد في الجيش الأمريكي أثناء الحرب



الكائنات الحية.. والبرد

بقلم:
عبد الرحمن حريثاني

تعمل، كما أنها هي طاقة الجسم لإحداث حركته، وحين يكون أي جسم مادي في حركة لمعنى الحركية أنه يمتلك طاقة حركية (كينية)، وحين تكون الطاقة مخزنة فيه نستعملها (الطاقة الكامنة)، والطاقة الكينية والطاقة الكامنة هما وجهان للطاقة الميكانيكية في الفيزياء الكلاسيكية.

الطاقة

الطاقة تعني الحركة والميوعة والقوة، وهي على أنواع، الطاقة الآلية (الميكانيكية) وطاقة الحرارة والضوء والطاقة الكيميائية، والطاقة الكهربائية، ثم الطاقة النووية والطاقة الميكانيكية هي القوة المحركة وراء كل آلة.



يبعث الموقد بالإضافة إلى النور (الضوء) بعض الإشعاعات غير المنظورة التي تولّد الدفء في الغرفة . هذه الإشعاعات هي الإشعاعات الحرارية أو (ما تحت الحمراء Infrared) ، وتنبعث الإشعاعات الحرارية والضوئية من الشمعة الصغيرة وشعلة النار الكبيرة . . ومن الشمس والنجوم والمجرات .

ومن قوانين الإشعاع الحراري في الأجسام الساخنة نعلم أن الجسم إذا سخّن ولد إشعاعات حرارية Heat Radiations ، وأنه يزداد سطوعه كلما ازداد تسخينه ، ويتغير لون التوهج بازدياد درجات الحرارة ، ومن لون التوهج نستطيع تحديد درجات الحرارة ، لأن انبعاث كل لون من ألوان الطيف Spectrum السبعة يلزمه درجة حرارة معينة .

والحرارة والبرودة أثران لظاهرتين طبيعيتين ، ومصدر الحرارة دائماً حدوث حركة ، وحالة السخونة لأي مادة تتوقف على مقدار نشاط جزيئات Molecules ذراتها وحركتها ، ذلك أن الجسم الساكن ليس ساكناً في حقيقته ، بل هو يتكوّن من كتلة من الجسيمات المادية غير المرئية مؤلفة من ذرات Atoms وجزيئات تهتز وتتحرك بسرعات خيالية ، والجسم في حالة البرودة حركة جزيئاته بطيئة نسبياً ، أما إذا ما ازدادت حرارته فإن جزيئاته تكتسب طاقة حركية (كينيه) إضافية وتتحرك بسرعات عالية ، ويقدر ما تزداد الحرارة تكتسب الجزيئات طاقات إضافية وتزداد سرعة تحركها . . وجسم الإنسان وأجسام الكائنات الحية جميعها تنبعث منها حرارة نتيجة الطاقة التي تولدها عمليات التمثيل الغذائي (المتابوليزم Metabolism) ، وهذه الحرارة تنتقل إلى المحيط المجاور على شكل إشعاع حراري مختلف الدرجات ، وتقاس درجات الحرارة هذه كاميرات حديثة تلتقط صوراً مختلفة الألوان يمثل كل لون درجة حرارة معينة . . وعموماً فإن الأطراف والوجه هما أكثر مناطق الجسم إشعاعاً للحرارة .

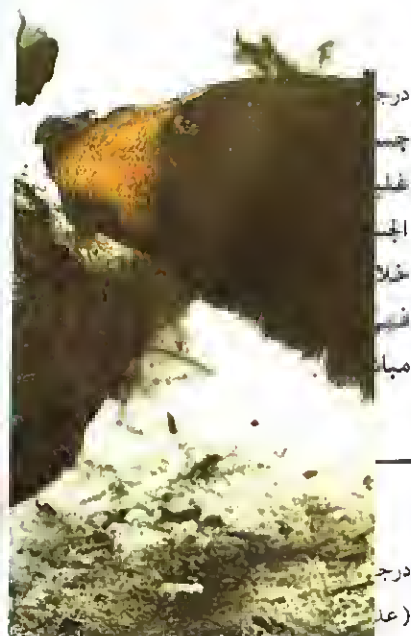
أثر البرد على الكائنات الحية

الانسجام في حركة الإنسان وحركة الكائنات الحية يطرأ عليها بعض التثاقل والاضطراب إذا ما تعرّض الجسم مدة طويلة لدرجات حرارة منخفضة تسبب ما نسميه (البرد) ، وأحدنا لا يتمكن من قلدح عود ثقاب أو كتابة بضع كلمات إلا بصعوبة بالغة حين نبرد أطرافه .

والبرد ينشأ حين يتعرّض جسم الإنسان لرياح عمّلة بالهواء البارد ذات درجات حرارة منخفضة لمدة طويلة دون أن يحمي الإنسان نفسه بعازل يصدّ عنه تيارات الهواء الباردة هذه ، فتتدنّى تبعاً لذلك حرارة الجسم الاعتيادية . وتنشأ حالة تسمى طبيياً بـ (الهيبوثيرميا) تؤثر على عمل الدماغ Brain والنظام العصبي Nerves System عموماً فتبطئ من نشاطهما ومن سرعة استجابتهما للتنبّهات العصبية الحسية والحركية ، وينتج عن هذا تباطؤاً في عمليات التفكير والإدراك وتباطؤاً في استجابة الأعضاء

★ في نهاية السبات الشتوي في منتصف أبريل (نيسان) أنقذ الدب الأسود مخارج مكنتها مع صغارها ★

★ اللباس عازل حراري يمنع
خروج حرارة الجسم ... (٧)
طبقات من اللباس يرتديها هذان
الأكحاح القطبان في درجة حرارة
(- ٥٠ °) ف (تحت الصفر) في
المنطقة القطبية ★



درجة
الحرارة
الجسم
خلال
الطريق
مياه

درجة
(عد
(آن
ونقط
درجة
بـ)
بينما
وحد
(كلف
فهرن
وهي





★ اللباس التحاسي الذي تجرى عليه التجارب ★

العاصف المصحوب بالرياح الباردة ، والكائنات الحية جميعاً تتأثر بالبرد أكثر عند هبوب الرياح (رغم أن درجة الحرارة لا تنخفض) . . والشعور بوطأة البرد القارس في الجو العاصف يُفسّر بأن هبوب الرياح المستمر يأخذ كميات من الحرارة أكثر وبصورة أسرع من الكميات التي يأخذها في الجو الهادئ ، ذلك أن الطبقة الجديدة من الهواء البارد لا تحمل محل طبقة الهواء الحارة بنفس السرعة .

وأيضاً فإن عملية تبخّر العرق التي تتم ببطء في الجو الساكن ، تتم بسرعة في الجو العاصف كثير الرياح ، وهذا بدوره يؤدي إلى انخفاض درجة حرارة الجسم ، وتعرّض الجسم لرياح سرعتها (٢) متر في الثانية تُخفّض درجة حرارته بمقدار (٧°) درجات ، وتعرّض الجسم لرياح سرعتها (٦) متر في الثانية تُخفّض درجة حرارته بمقدار (٢٢°) درجة . . أما الرياح في المناطق الصحراوية فتكون رياح ساخنة ودرجة حرارتها أعلى من درجة حرارة أجسام الكائنات ، ولهذا فإن هذه الرياح تُشعر الإنسان بحرارة أكثر ، ذلك أن الحرارة هنا لا تنتقل من الجسم إلى الهواء ، بل إن العكس هو الذي يحدث . إذ يقوم الهواء بتسخين جسم الإنسان ، لأن كتل الهواء الساخنة التي تلامس الجسم تزيده حرارة . . والقلة (الفخّارة) إنما تبرّد الماء في الصيف بسبب رشح الماء من خلال جدرانها الفخّارية إلى الخارج ، حيث يتبخّر ببطء ويأخذ الحرارة اللازمة لعملية التبخّر من حرارة مادة الفخّار ومن حرارة الماء الموجود في داخلها ، فيفقد الماء بعض حرارته ويبرد تبعاً لذلك . . وكلما زاد التبخّر زادت برودة الماء .

(كالايدي) هذه العمليات . . وعليه فإن حركات الإنسان بمجملها تتباطأ بصورة ملحوظة . . وأكثر ما تظهر في حركات أصابع اليدين . . وإذا اشتد البرد تصلّب الجسم بالكامل بعد أن تتباطأ حركاته تبعاً لشدّة البرودة ، ثم وفي درجة حرارة معينة تتوقف جميع ردود الفعل في الجسم لتتوقّف عمل الجهاز العصبي وتصل لحالة السكون التام الذي يعقبه الموت إذا لم يُتدارك .

وحرارة الجسم الاعتيادية تكون ثابتة عند درجة (٣٦,٧°) درجة مئوية إلى (٣٧,٢°) درجة مئوية (م) بفضل تنظيم تحت المهاد البصري (الهيبوثالاموس Hypothalamus) في الدماغ الذي يجعل الجسم يرتعش إذا انخفضت درجة الحرارة حوله ، أو يجعل الجسم يُفرز العرق من الغدد العرقية الجلدية إذا ارتفعت درجة الحرارة حوله . . وفي تجارب عديدة ثبت أن التبدلات الحرارية التي تطرأ على الجسم خلال (٢٤) ساعة تُحدث تبدلات في نشاط الدماغ ، وأن سرعة الاستجابة للتنبيه عند الإحساس بالبرد تحدث في مراكز السمع Auditory Aria خلال مدة تتراوح بين (٢ - ١٠) أجزاء من (١٠٠٠) جزء من الثانية ، في حين أن سرعة الاستجابة نفسها في الأحوال العادية تتراوح بين (٢ - ٦) أجزاء من (١٠٠٠) جزء من الثانية فقط ، أي أنه في ظروف البرد تتباطأ عملية الاستجابة للتنبيهات الحسية الخارجية . وعملية الاستجابة للتنبيهات الواردة إلى مراكز السمع في الدماغ ، علماً بأن البرد لا يُحدث تأثيراً ملحوظاً على قوة السمع نفسها ، ومعنى هذا أن استجابة الإنسان للنداءات تتباطأ فكرياً رغم سماعه لها ودون أن يشعر هو نفسه بهذا التباطؤ ، ودماغ الإنسان المصاب بحالة برد شديد يُظهر على جهاز قياس الموجات الدماغية خطوطاً بيانية تشبه الخطوط التي تصدر عن دماغ إنسان مصاب بتلف عصبي . . وبمجرد أن يسترد الجسم دفئه يعود كل شيء إلى حالته الطبيعية .

كيف نبرد ؟

الهواء الذي يلامس الوجه مباشرة يسخن من جراء حرارة الجسم الداخلية الثابتة التي تنبعث كإشعاعات حرارية غير مرئية ، والهواء الذي يسخن هذا يصبح كقناع هوائي غير مرئي يلتصق بالوجه ويحفظ حرارته ويُبطئ عملية فقدان الحرارة . . فإذا كان الهواء من حول الجسم ساكناً فإن طبقة الهواء الساخنة الملاصقة للوجه لا تُحمل إلى الأعلى من قبل الهواء البارد الثقيل إلا ببطء شديد (نعلم من القوانين الحرارية أن الهواء الساخن خفيف يصعد إلى الأعلى بينما الهواء البارد ثقيل ويهبط إلى الأسفل) ، ومروحة اليد التي نستعملها في أيام الصيف الحارة إنما تزيح عن وجهنا طبقة الهواء الساخن ، ليحلّ محله طبقة جديدة من الهواء البارد تأخذ الحرارة المنبعثة من الوجه وتسخن وتُحمل ليحلّ محلها طبقة جديدة من الهواء البارد ، وهكذا . .

وسكان المناطق الباردة (كالأسكيمو في المناطق القطبية) يتحملون البرد في الجو الذي تنعدم فيه الرياح أكثر مما يتحملون البرد في الجو

درجة الحرارة التي يتحملها الإنسان

أقصى درجة حرارة سجلت على سطح الكرة الأرضية بلغت (٥٧°) درجة مئوية في الظل في مدينة كاليفورنيا ، وقد أثبتت التجارب أن جسم الإنسان يتحمل درجات حرارة تزيد على درجة حرارة غليان الماء قد تصل إلى درجة (١٦٠°) درجة مئوية ، ويقاوم الجسم هذه الحرارة المرتفعة بإفراز المزيد من العرق من خلال مسام الجلد ، ولأن عملية تبخر العرق يلزمها حرارة ، فهي تأخذها من طبقات الهواء الساخنة التي تلامس الجسم مباشرة .. ونتيجة لذلك تنخفض درجة حرارة الجسم .

درجة التجمد ودرجة الغليان

لقياس درجات الحرارة ودرجات البرودة ، ولمعرفة التحولات من درجات الحرارة إلى درجات البرودة ، يستعمل اليوم في كافة أقطار الأرض (عدا أميركا وبعض الأقطار) الميزان المشوي (سنتيجراد) أو ميزان (آنديرس ساسيوس) الذي يعتبر نقطة تجمد الماء هي الصفر (٠°) ونقطة غليانه هي المئة (١٠٠°) .. وهناك ميزان فهرنهايت الذي يعتبر درجة حرارة جسم الإنسان السليم هي الدرجة العليا وحددها بـ (٩٨,٤°) درجة مئوية فهرنهايتية والتي تساوي درجة (٣٧°) مئوية ، بينما اعتبر النقطة الدنيا هي درجة تجمد مزيج من الجليد والماء والملح وحددها بـ (٣٢°) درجة فهرنهايتية .. وتوجد موازين أخرى مثل ميزان (كلفن) الإنجليزي الذي يقابل الصفر المشوي فيه درجة (٢٧٣,١°) فهرنهايتية أو (٢٧٣,١°) درجة مئوية .. وهذه هي درجة الصفر المطلق وهي أدنى درجة برودة يمكن أن تسجل في الأرض .

الحرارة النوعية

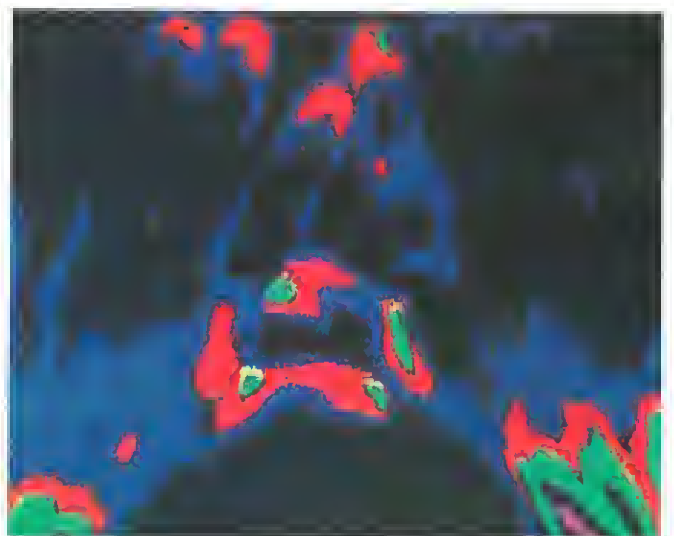
جميع المواد في الطبيعة تحتاج إلى كميات حرارة مختلفة لترتفع درجة

حرارتها درجة واحدة ، وهذا ما يسمى بخاصية (القابلية الحرارية) ، واختار العلماء الرقم (واحد) لقياس قابلية الماء للاحتراق ، وسميت هذه القابلية الحرارية بـ (الحرارة النوعية) ، والحرارة النوعية لجميع المواد تقريباً هي دون الحرارة النوعية للماء ، لأن الماء موصل رديء للحرارة ، فهو يمتص الحرارة ببطء ويفقدها ببطء ، ورفع حرارة الحديد درجة واحدة تحتاج إلى عشر كمية الحرارة اللازمة لرفع حرارة نفس الكمية من الماء درجة واحدة ، وهذا يفسر لنا كيف أن المياه على سطح الأرض (٧٣٪) تلتطف من حرارة الأرض بامتصاصها لكميات كبيرة جداً من حرارة الصيف ، وتم تعيدها إلى الجو ببطء خلال فصل الشتاء ، وأظهر ما تظهره هذه الخاصية في مدن الشواطئ التي يعتدل مناخها صيفاً وشتاءً .. ودرجة حرارة الماء تنوقف عن الارتفاع متى بلغت الدرجة (١٠٠°) مئوية وهي درجة الغليان رغم أن الماء يواصل نبخره ، ولأنه عند هذه الدرجة من الحرارة يتحول الماء من الحالة السائلة إلى الحالة الغازية (بخار) .. ومعظم السوائل والجوامد والغازات تتمدد بارتفاع درجات الحرارة ، ومدى التمدد هذا رهن بطبيعة المادة ، فالتمدد الحراري للمعدن أكبر من التمدد الحراري للزجاج ، والكيلومتر الواحد من السكة الحديدية قد يتمدد إلى أكثر من (٦٠) سم في الصيف .. وأيضاً يتحول الماء بفعل البرودة من الحالة السائلة إلى الحالة الصلبة ويتجمد عند درجة الصفر المشوي .

العوازل الحرارية

وهي مواد تعيق انتقال الحرارة وتساعد على حفظها كما هي ، وأيضاً حفظ البرودة كما هي .. والملابس في الشتاء عوازل حرارية تعزل حرارة الجسم عن هواء الشتاء البارد وتمنع حرارة الجسم من التبدد خارجه ، والهواء عازل جيد ، والملابس المصنوعة من الصوف أو القطن أو الفرو هي عوازل جيدة .. وعلى هذا فإن العازل يحد ذاته لا يمنح الدفء ولكنه يحول دون تسرب الحرارة من الجسم إلى الجو المحيط .. وكذلك فإن الثلج

★ الترميم الحراري Thermograph يستحل تغيرات الحرارة الناعمة من إبهدي شهاب في حو لنجمي بارد .. الألوان الفاتحة تشير إلى حرارة عالية ، والألوان الداكنة تشير إلى حرارة منخفضة ★



موصل رديء للحرارة ، وهو حين يغطّي التربة في الشتاء يحافظ على حرارتها ويمنع تسربها إلى الجو البارد ، ولذلك تكون التربة المغطاة بالثلج درجة حرارتها أكثر بـ (١٠°) درجات مئوية من تلك التي لا يغطيها الثلج ، وهذا سرّ فرج المزارع بالثلج .

في العصور الحجرية

الأدوات العظمية والحجرية المكتشفة تدل على أن الإنسان الأول عاش في إفريقيا منذ (٣) ملايين سنة ، وأقدم أثر مكتشف لاستعمال الإنسان للنار كان في قارة أوروبا (فرنسا والمجر) وفي قارة آسيا (الصين) ، والمراكز الأوروبية المكتشفة يرجع تاريخها إلى زمن الفترة الجليدية الثانية من (٥٠٠,٠٠٠ - ٤٠٠,٠٠٠) سنة ، بينما المراكز الآسيوية المكتشفة يرجع تاريخها لما بين الجليديتين ، واكتشفت مراكز أوروبية لاستعمال الإنسان للنار تاريخها يرجع إلى الفترة الجليدية الثالثة من (٢٠٠,٠٠٠ - ١٠٠,٠٠٠) سنة ، أما في إفريقيا فيظهر أن إنسانها قد تأخر قليلاً من الزمن حتى استعمل النار .

واستعمال النار انتشر ببطء في أوروبا وآسيا خلال العصر الحجري الأدنى The Lower Paleolithic من (٣ مليون - ١٠٠,٠٠٠) سنة ، واستعمال المواقد للاحتراق كان شيئاً نادراً خلال هذا العصر ، وخلال العصر الحجري الأوسط The Middle Paleolithic من (٣٥,٠٠٠ - ١٠٠,٠٠٠) سنة صار استعمال الإنسان للنار ليس استثناءً ، وأحجار النار البيريتية Pyrite Firestones (البيريت معدن مكون من كبريت وحديد) بدت أكثر وفرة في المراكز المتأخرة للعصر الحجري الأعلى من (٣٥,٠٠٠ - ١٢,٠٠٠) سنة .

واكتشف أثر لاستعمال الإنسان للنار منذ (١٥٠) ألف سنة في مركز من مراكز العصر الحجري الأدنى في كهف صغير يطل على البحر في مدينة (نيس) بفرنسا ، وكان هذا الإنسان يُطلق شرارة النار من الأحجار البيريتية ويشعل بها عواميد من الخشب يضعها قبالة جدار كهفه ، ثم يغطيها بجلود الحيوانات ، ودرجة حرارة كهفه تصل في هذه الحالة إلى (٧٠°) درجة فهرنهايتية ، بينما تكون درجة الحرارة خارج الكهف (٢٥°) ف . وكهف الإنسان العصر الحجري يبلغ قطره عدة أمتار .

وغير معروف لأن نوعية لباس إنسان العصر الحجري الأدنى ، وإن اكتشفت آثار لأول ألبة خيطت بإبر من العظام والعاج في مراكز للعصر الحجري القديم الأعلى منذ (١٧٠٠٠) سنة ، وقبل ذلك ربما كانت تُخاط اللباس بإبر من العظام أو مثقاب الحجر .

البيات الشتوي عند الحيوان Hibernation

تتمتع الحيوانات بدرجات حرارة خاصة بها ، ولها في أدمغتها مركز خاص لتنظيم الحرارة وتثبيت درجتها . والحيوانات بحسب تنظيم حرارة أجسامها فرزت إلى مجموعتين : (١) حيوانات ذات الدم البارد

Poikilothermes (كالزواحف والأسماك والبرمائيات و...) وتتغير درجات حرارة أجسامها تبعاً لدرجة حرارة الوسط الذي تعيش فيه . (٢) حيوانات ذات الدم الحار Homéothermes (كالثدييات والطيور) وتكون درجة حرارة الجسم المركزية ثابتة فيها تقف عند حد معين مهما كان الوسط الذي تعيش فيه ، وينظم هذه الحرارة ما تحت ذلك أن للطيور جيوياً هوائية خاصة تمكنها من أداء حركات تنفسية سريعة تعمل على تبريد الجسم أيام الحر . . وبعض الحيوانات يكسو جلدتها شعر وفراء يساعدها على تثبيت درجة حرارتها ، والكلاب فقط يخلو جلدتها من الغدد العرقية فلا إفراز عرقى عندها يخفف عنها الحر ولذا نراها أيام اشتداد الحر تلهث وتمدّ لسانها الذي يحوي شبكة دموية متقاربة أوعيتها تعمل على تبديد الحرارة الزائدة في الجو .

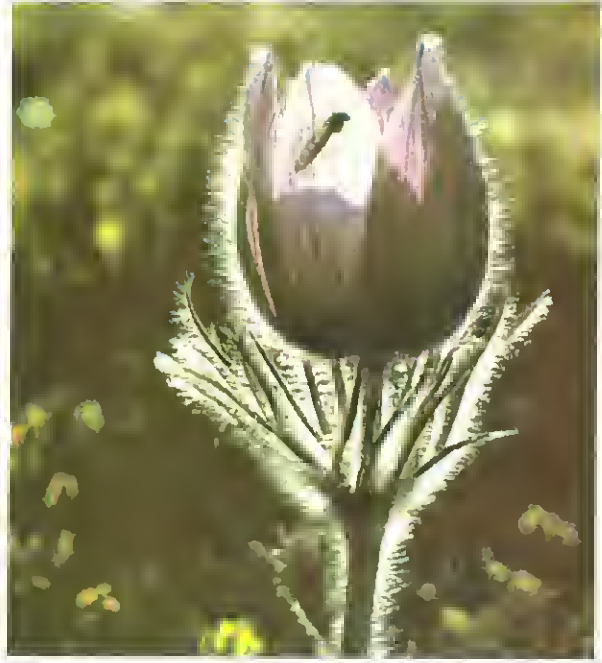
وعند حلول الشتاء البارد في نصف الكرة الشمالي يغدو من العسير في هذه الأحوال المناخية الصعبة على حيوانات تلك المناطق الوصول إلى مواردها الغذائية . . لذا فإن الملايين من تلك الحيوانات تلجأ إلى ظاهرة من أعجب ظواهر مملكة الحيوان وهي (البيات الشتوي) حيث تنام طيلة فصل الشتاء في أوكار وكهوف وأجوار وغايب وشقوق تحت الأرض تهيؤها بأنفسها بعناية وحرص . . ثم بقدوم الربيع تستيقظ وتخرج من مكانها لتعيش حياتها الاعتيادية .

والبيات الشتوي للحيوانات سببه هبوط درجات الحرارة الفصلية ، والحيوانات ذات الدم الحار (كالدب والقنفذ والخفاش) يتوقف عمل مركز تنظيم الحرارة في أدمغتها متى حان وقت البيات الشتوي وتهبط درجة حرارة الجسم هبوطاً سريعاً وتتباطأ عمليات التنفس حتى تكاد أن تتوقف وتقل عمليات التمثيل الغذائي والاستقلاب في الجسم وينبض القلب مرة واحدة كل دقيقة أو دقيقتين . . وعموماً تتباطأ جميع الوظائف الطبيعية للجسم إلى الحد الأدنى الضروري لحفظ الحياة . . وعندما تقترب درجة حرارة الجسم من درجة حرارة الجو المحيط يدخل الحيوان في حالة من فقدان الوعي طويلة . . أما الحيوانات ذات الدم البارد (كالزواحف والبرمائيات) والتي لا تمتلك في أدمغتها مراكز لتنظيم الحرارة فتتخذ بياتها الشتوي بسرعة مع أول النسيات الباردة التي تهب عليها وتشعرها باقتراب فصل الشتاء ، وتستجيب أجسامها تلقائياً لهذه المؤشرات وتدخل في نوم عميق طويل في الأماكن التي هيأتها سلفاً . . وقد يتعرض الحيوان أثناء نومه الشتوي الطويل إلى خطر الموت تجمداً إذا لم يجتر مكان نومه بعناية ، والحيوانات ذات الدم الحار إذا انخفضت درجة حرارة الهواء الذي تتنفسه إلى حد قريب من درجة التجمد يزداد تنفسها وترتعش طلباً للدفء . . تفعل هذا وهي ما تزال تغط في نوم عميق .

والبيات الشتوي يكسب الحيوان مناعة ضد الأمراض ، كما أنه يساعد الحيوانات التي ليس لها بيات شتوي على أن تبحث عن غذائها دون خوف من الضواري التي تغطي في سبات عميق . . وعلى هذا فإن فترة البيات الشتوي ليست فترة عجز بل هي فترة راحة وتجديد قدرات تقضيها الحيوانات

(كالأيدي
تتباطأ به
وإذا اشتد
البرودة ،
لتوقّف
الموت إذ
وحر
درجة م
المهاد
الذي ي
أو يعمل
ارتفعت
الحرارة ا
نشاط الد
في مراكز
أجزاء من
نفسها في
جزء من
للتنبّهات
مراكز الد
السمع نف
رغم سماء
المصاب
بيانية تشب
وبمجرد أ

الهوا
الداخلية
يسخن ه
ويطوى عد
فإن طبقة
الهواء الب
الساخن .
الأسفل)
عن وجهه
تأخذ الحر
من الهواء
وسك
البرد في ا



يرفع درجة حرارة الجسم لأكثر من الدرجة العادية الثابتة . . والعلميات هذه كثيرة ومعقدة ومتشابكة تعد بالآلاف وتستعمل فيها هذه العصافير الصغيرة قُدرات تحويلية عجيبة صيفاً وشتاءً ومع اختلاف الفصول تتمثل في تحويلها لثلاثة عناصر رئيسية من غذائها هي : (١) الكربوهيدرات Carbohydrates (٢) الدهون Lipids (٣) البروتين Protein إلى سلاسل من سكر الجلوكوز Glucose ترتبط على شكل كليكوجين Glycogen وثلاثي الجليسيريد Triglyceride تخزنها في الكبد Liver وفي العضلات الصدرية Pectoralis Muscles صيفاً . (سكر الجلوكوز تلتقطه من الدم بعد أن يصبح خلاصة غذاء) . .

وفي الشتاء البارد حين يقل الغذاء وتلزم العصفور طاقة إضافية لإنتاج حرارة زائدة ، يقوم العصفور بعكس ما عمله أثناء التخزين ويفكك سلاسل الكليكوجين ويحوّلها إلى سكر الجلوكوز الذي يستعمله كغذاء رئيسي في الجسم .

والبحث في الآلية الرئيسية التي تستعملها العصافير الذهبية (الحسون) Goldfinches تستتبع النظر في ثلاثة أشكال فيزيولوجية توافقية تجري في جسم هذا المخلوق الصغير لتعزز استخدام الطاقة الإضافية شتاءً لإنتاج الحرارة الزائدة . . وهذه الأشكال هي : (١) ازدياد قدرة النسيج Tissues التي تنتج الحرارة واستخدام الأكسجين لعمليات الأكسدة Oxidize وحرق الغذاء لإنتاج ثلاثي أدينوسين الفوسفات Adenosine Triphosphate (ATP) فيها . (٢) ازدياد في تخزين الكليكوجين وثلاثي الجليسيريد لتستعمله النسيج التي تنتج الحرارة . (٣) التبدل الفصلي لاستخدام الكليكوجين وثلاثي الجليسيريد صيفاً وشتاءً كوقود للارتجاف الذي سيتج الحرارة الزائدة . . وعموماً فإن نشاط الانزيمات Enzymes لتفكيك الكليكوجين والأحماض الدهنية Getty Acids في الجسم في العصافير الشتوية هو أعلى بنسبة (٥٠ ٪) من مثيلها عند العصافير الصيفية . . ما هذا ؟ يا لقدرة الله القاهرة التي تظهر في أضعف مخلوقاته . . وبالعظم هذه الأمور المنسقة والمنظمة بترتيبات وأقدار تُعجزنا عن فهمها لا عن إيجادها . . مشات وآلاف العمليات الكيميائية المعقدة والمتشابكة والتي تلزمنا صفحات كثيرة لشرحها إن استطعنا تجري في جسم هذا المخلوق الصغير الأعجم لنهيته لظروف أريد له أن يكون فيها . . هدف ومعنى وحكمة كبيرة . . ولتشكل الحكمة الأكبر من ترابط كل ما في هذا الوجود البديع الخلق والإيجاد في وحدة خلق ومخلوقات . . تدلّ على صانع واحد أحد سبحانه وجلّت قدرته .

الأزهار عندما تشرق الشمس

نحن نعلم أن الأوراق الخضراء في النبات تستعمل ضوء الشمس في عملية التركيب الضوئي Photosynthesis . . ولكن لا نعلم كيف تستعمل الأزهار الطاقة الشمسية لتولّد الحرارة لنفسها وتكتسب الدفء ، وهذا قد يكون بسبب أننا لا نرى كيف تمسك هذه الأزهار بالطاقة الشمسية . .

بلا طعام أو شراب معتمدة على ما خزنته في أجسامها من الدهون خلال فصل الصيف والخريف . . هذا وقد تستيقظ الحيوانات من بيئاتها الشتوي في أية لحظة تحس فيها بخطر أو انزعاج وتغير أماكنها وهي في نومها . . وللبنيات الشتوي خصائص تكيفية أوجدها الله (جلّ جلاله) لمخلوقات قد يُعجزها التدبير فلا تجد غذاءها .

ارتجاف العصافير

Shivering Finches

كما أن الأسكيمو الذين يعيشون منعزلين عن شعوب الأرض في هذه الأجواء الثلجية ، كذلك فإن بعضاً من أنواع الطيور وجميعها من العصافير تبقى في أماكنها ولا تهاجر لأماكن أخرى يتوفر فيها الدفء والغذاء . . والعصافير Finches كما الثدييات Mammals تحتفظ أجسامها بدرجات حرارة ثابتة ينظمها تحت المهاد في الدماغ ، وينتجها الجسم من عمليات التمثيل الغذائي كطاقة تحوّل الحرارة (٦٠ ٪) من طاقة الجسم (تصرف كحرارة) . . وفي البرد الشديد يزداد التمثيل الغذائي لتأمين الطاقة الضرورية للعمليات والنشاطات الحيوية ، وإذا ما زادت حدة البرد فإن هذا يتطلب من الجسم إنتاج طاقة أكبر تؤمّن حرارة أكثر . وهنا . . فإن الطيور خاصة (والثدييات أيضاً) تعرّض عن هذا بالارتجاف الشديد (الارتعاش) Shivering ، وأثناء الارتعاش تنتج طاقة تقبّض Constriction العضلات وتزيد الارتعاش الذي ينتج حرارة تعين الكائن الحي على مقاومة البرد ، والارتجاف يرفع نسبة التمثيل الغذائي لأكثر من خمسة أضعاف نسبتة العادية . . وأكثر ما تظهر هذه المعاناة في العصافير الصغيرة التي تزن أقل من (٣٠) غراماً ، فشكلتها مع البرد كبيرة ذلك أنها تمتلك سطوح أجسام كبيرة بالنسبة لحجومها الصغيرة ، ولذا فهي تفقد من تعرّض هذه السطوح للبرد حرارة أكثر من النسبة التي يفقدوها غيرها . . ولتغلب على هذه المشكلة تنفّذ آليتين . (١) آلية ميكانيكية تنتج حرارة زائدة وهي الارتعاش . (٢) آلية ميكانيكية إضافية تسمح

ولأزهار المناطق الباردة طبق صغير به هوائيات Antennas تعكس ضوء الشمس في بؤرة Focus تركّز الحرارة في وسط الزهرة حيث يستقر الإشعاع بين السداة Stamen (العضو السذكري للزهرة) والكربلة Carpel (العضو الأنثوي للزهرة)، وتحتجز الحرارة في هذا المكان فترة تكفي ليعمّ الدفء أوصال الزهرة بالكامل بعد أن ينتشر الإشعاع الحراري لكل أطرافها . . (البؤرة نقطة تركيز إشعاع مشتت) .

واللون الأحمر واللون الأزرق في أطراف الطيف الضوئي المرئي (قوس قزح Rainbow) من الأشعة الكهرومغناطيسية Electromagnetic ضروريان لعمليات اصطناع الغذاء في النبات، والأزهار في المناطق الباردة تتلقى الأشعة فوق البنفسجية Ultraviolet (الضارة للإنسان) وتستفيد منها لعمليات التلقيح (التأثير) والتناسل .

وفي الساعات الأولى من الصباح حين إشراف الشمس تشع الشمس طاقة حرارية غير مرئية هي الأشعة تحت الحمراء (الحرارية) Infrared بمقدار سعر حراري Calorie لكل سم² من الأرض تكون كافية لتبثت الحرارة والدفء في أوصال النبات خلال وقت قصير، والأزهار تستعمل هذه الطاقة الحرارية من الأشعة تحت الحمراء في عمليات تنتج درجات حرارة كافية تمنحها الدفء والفاء . (٥٠٪ من الطاقة التي تصل الأرض من هذه الأشعة) .

وأكثر من (٩٥٪) من أمواج الأشعة تحت الحمراء القصيرة الذبذبة (التردد) تضرب سطوح أوراق النبات والتبلات Petals وتنعكس مرتدة منها إلى الجو، والأزهار إذا كان عليها ماء الندى والمسام Pores الميكروسكوبية الثغرية الدقيقة مفتوحة، فإن كل حرارة الأوراق والأزهار تفقد بعملية التبخر Evaporation (مثل تعرق الإنسان والحيوان) وتصل درجة الحرارة فيها أكثر بـ (١٨ - ٣٦) درجة فهرنهايت من الجو المحيط، وإذا لم يكن هناك تبخر فإن الأوراق والأزهار تعدل من درجات حرارتها بطرق أخرى مثل تلك التي تستعملها النباتات في المناطق الدافئة حيث تتوفر أشعة الشمس على الدوام . . بمعنى أن الله (جلّ جلاله) إنما جعل من ألوان الطيف المرئي وأمواجه المختلفة ضرورات خلق . . فكل طول موجة له ضرورة عند كائن . . وما يضر هذا قد ينفع ذاك . . فكل شيء خلقه سبحانه بقدر .

نباتات الأماكن العالية الباردة

من الجبال الاستوائية العالية إلى مناطق التندر القطبية لا يخلو مكان من نوع ما من النبات، وفي المناطق القطبية Arctic يوجد أكثر من (١٠٠٠) نوع من نباتات (الأزهار) التي تعيش وتنمو وتزهو بوفرة في هذه المناطق الباردة، وأكثر من نصف هذا العدد من النباتات تنمو في قمم الجبال العالية حيث درجات الحرارة دون الصفر، ومنها مثلاً نباتات عائلة القرنفلديات ذات الأوراق الصغيرة التي تتفتح في قمم الجبال على علو أكثر من (٤) آلاف متر، حيث تصل كميات كبيرة من الأشعة فوق البنفسجية أكثر من تلك التي تصل لمناطق سطح البحر المنخفضة، ويقوم

الكلوروبلاست (جزء النبات المحتوي على الكلوروفيل) بعملية التخليق الضوئي، وفي الليل يتحول النشا إلى سكر ويغادر الأوراق إلى الساق والجذور . . وأكثر هذه النباتات أتت من خط الاستواء إلى المناطق القطبية الباردة حيث حملت بذورها الطيور المهاجرة والرياح . . وعموماً فإن النبات في المناطق القطبية الباردة لا يشغل أكثر من (٤٪) من مساحتها .

لباس للطقس البارد

الحرارة تنتقل من سطح الجلد إلى الجو المحيط بأربع وسائط :
(١) التبخر Evaporation (٢) الحمل الحراري Convection (٣)
التوصيل Conduction (٤) الإشعاع Radiation . . والتبخر له دور رئيسي في فقد الحرارة، والحمل ينقل الحرارة من الجسم الدافئ ويحرك طبقات الهواء الباردة التي تلف حول الجسم، والتوصيل عملية نقل للحرارة من الجسم الدافئ إلى أي شيء بارد ساكن بعد أن يلامس الجسم أشياء باردة تنتقل إليها حرارته، والفرق الرئيسي بين الحمل والتوصيل أن الحمل يتضمن حركة طبقات الهواء (صعود ونزول) بينما التوصيل يتم من خلال عناصر ساكنة، والإشعاع الحراري بين جسمين يعتمد على اختلاف درجات الحرارة فيما بينهما، فعندما تنخفض درجة الحرارة في يوم بارد فإن الجلد يشع حرارة أقل، وتنقبض الأوعية الدموية لتساعد على حفظ حرارة الجسم، وتقل كميات الدم المندفعة من القلب إلى الأطراف، ويبرد الدم العائد من الجسم إلى القلب، ويبرد الأيدي والأقدام . . هذا ورغم أن الأقدام لا تشكل أكثر من (١٠٪) من سطوح الجسم إلا أن الجسم يفقد من حرارته عن طريقها أكثر من (١٣٪)، وكذلك فإن السوجه والراس لا يشكلان أكثر من (٥٪) من مساحة سطوح الجسم، ولكنهما يفقد أكثر من (٧ - ٥٠٪) من حرارة الجسم، ولذلك يغطي الرأس دائماً في المناطق الباردة . . وأكثر حرارة الجسم تُفقد عن طريق الأيدي والأقدام والوجه والراس . واللباس هو أهم شيء يحافظ على حرارة أجسامنا عند معدلاتها الثابتة، واللباس العازل الرديء النقل للحرارة (كالصوف) يحفظ حرارة أجسامنا ولا ييسدها، وطبقات الثياب المختلفة تحفظ بين طبقاتها الهواء الدافئ الذي يصير هو بمجد ذاته عازلاً حرارياً، ذلك أن الهواء رديء النقل للحرارة، والتحكم بدرجة حرارة الجسم كلنا نلاحظه حين ننزع طبقة وراء طبقة من اللباس .

والمهندسون والعلماء الفيزيولوجيون ومصمموا الألبسة يحاولون إيجاد ثياب لا تمتص حرارة الجسم ولا تعيق التنفس أو حركات الجسم، وقد أفلحوا أخيراً في صنع ثياب من معدن النحاس Copper يمكن أن تكون أفضل الألبسة للمناطق الباردة، فهي عازلة حرارة ويمكن أن تُرسل من خلالها أيضاً الحرارة إلى الجسم، والعملية تم بإعادة أكثر من (٥٠٪) من حرارة الجسم التي تتبدد عن طريق الجلد إلى الجسم ثانية . . والتجارب مستمرة لصنع الكثير من هذه الثياب ولاستعمالها خاصة في الجيش الأمريكي . . إنه فعلاً ثوب لائق .



★ صورة ملونة ليضع خلايا عصبية معزولة من مخ إنسان. لتكون غابة غريبة من الاتصالات، التي نترجم النبضات إلى سيل من المعلومات، وكلها هي دوائر إلكترونية تختار فيها العنود البشرية ★

إن من يفقد عقله، يفقد آدميته، ويصبح بهذا أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان! ولا شك أن العقل ينبع أساساً من المخ، وليس هذا الاستنتاج وليد تصور أو خيال، بل جاء نتيجة بحوث طويلة ومضنية أجراها العلماء على أمخاخ الإنسان والحيوان. ومنها أدركوا أن أي خلل في المخ، ينعكس على خلل في التصرف أو السلوك.. أو بمعنى أوضح على العقول.

هذه العوامل بيولوجية (ميكروبات) أو عارضة (تهتك في المخ من شظية أو رصاصة) أو كيميائية أو صدمة عاطفية عاتية تحدث خللاً في النظم الدقيقة السارية في خلايا المخ.. إلخ. ومع ذلك، كان لا بد أن نستدرك ونشير إلى أن الحيوانات قد امتلكت أمخاخاً، وبها نتعامل مع مؤثرات البيئة الطبيعية التي تعيش فيها، كما هو الحال بالنسبة لنا تماماً، لكنها مع ذلك لا تتصف بصفة العقل والإدراك والإحساس بالذات كما يدرك ذلك الإنسان، وهذا يرجع إلى تطور وإضافات وتحويرات في

وقد يصاب الإنسان بالجنون، وللجنون درجات، وهي تختلف باختلاف ما أصاب المخ من تغيرات، وكذلك الحال مع الحيوان، إذ أحياناً ما يصاب بدوره بالاضطرابات والهياج والجنون، وليس أدل على ذلك من حيوان مسعور، وقد ينتقل سعاره إلى الإنسان عن طريق عضه، وفيها ينساب فيروس لسري في الدم، حيث يسكن خلايا المخ، ويحدث فيها تدميراً، وعندئذ يصاب الإنسان بالسعار، وهو - على أية حال - انعكاس لما حل في مخ الإنسان والحيوان من عوامل مدمرة، وقد تكون

الحرف مخك

..تعرف ذاتك

بقلم: د. عبد المحسن صالح

مع الإنسان ، أو بالتحديد في مراكز الإدراك العليا التي تبدو واضحة عند تشريح الأعماخ .

الكائنات سجلات لفكرة عليا

ولكي ندرك ذاتنا ، فلا أقل من معرفة التفاصيل الدقيقة التي جاءت بها أعماخنا ، لكن هذه المعرفة تستلزم مناهج محددة ، وبحوثاً مقننة ، وعلماء على درجة هائلة من الذكاء والاستيعاب والصبر والحرص البالغ في تحليل وتعليل ما تتمخض عنه تجاربهم من نتائج ، إذ ليس هناك - والحق يقال - ما هو أعوص ولا أشق من البحث في أسرار المخ ومناهاته وأمراضه واضطراباته ، لأن المخ هو أعقد تكوين ، وأرق نظام يمكن أن يتعامل معه العلماء في هذا الركن من الكون العظيم ، أو هو - في حد ذاته - كون مثير قائم فوق أكتافنا .

فن الرواد الأوائل في هذا المجال ، العالم الرياضي الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت الذي عاش في القرن السابع عشر ، إذ يحكي لنا أحد أصدقائه ، كيف أنه دخل عليه في خلوته ، فوجد أمامه بعض الحيوانات التي كان يقوم بتشريحها ، عله يعرف كيف ترتبط أعماخها بأجسامها ، وتسيطر هذه على تلك وتوجهها ، وعندما رأى ديكارت الدهشة بادية على صديقه ، أشار إلى ما أمامه وقال : « إن هذه هي كتبتي ومراجيعي التي أستقي منها معلوماتي » ! .

وهو - في ذلك - على حق ، لأن ديكارت هو مؤسس العلم التجريبي ، إذ ليس العلم موجوداً فقط في الكتب المؤلفة ، بل كأنما هو مكتوب ومسجل ومجسد في هذه المخلوقات التي ظهرت على الأرض قبل أن يظهر الإنسان نفسه عليها بمئات الملايين من السنين ، فلا شك أن كل خلق قد جاء على أساس علم متقن ، ونظام مدهل ، ولهذا كان منهج العلماء أن يستقوا العلم من مصادره ، وكأنما الطبيعة ذاتها بمثابة كتاب مكتوب ومفتوح أمام العقول الباحثة الواعية ، ومنه تنهل كل ما هو حق وأصيل ومتقن وعظيم ، وربما كان ذلك المنهج القويم في العلوم التجريبية ، هو ما أشارت إليه

الآية القرآنية ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية ٢٠) .

والذين نظروا وتأملوا وبحشوا وصلوا ، في حين أن الذين لم يفعلوا قد تخلفوا ، ولا يستوي هؤلاء مع أولئك . . ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ (سورة الزمر ، الآية ٩) .

وعندما قام الأوائل بتشريح الأعماخ ، لم يملكوا غير أدواتهم البدائية ، وعيونهم التقليدية ، لينظروا بها إلى هذه الكتلة اللينة المتكورة داخل رؤوس الإنسان والحيوان ، لكن العين هنا قاصرة ، إذ هي لا تستطيع أن ترى إلا التكوينات الظاهرة . . تراها على هيئة تلافيف غريبة ، وفصوص متجاورة ، وأوعية دموية منتشرة ، ومناطق ذات تضاريس مختلفة ، وفوق كل هذا ، فإن العيون تتعامل مع كتل ميتة لا حياة فيها ولا إحساس ولا حركة .

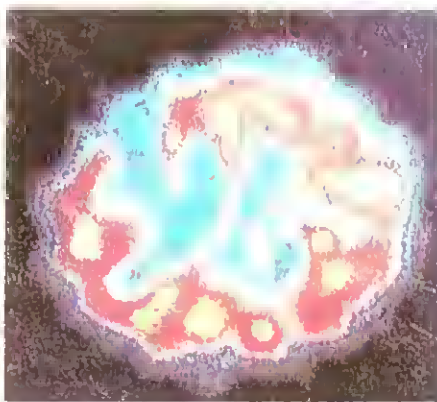
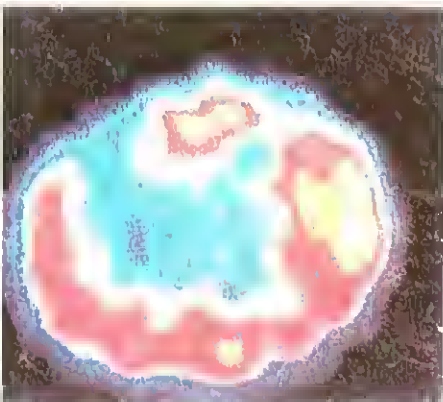
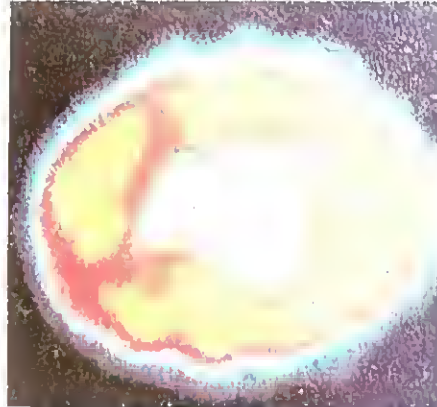
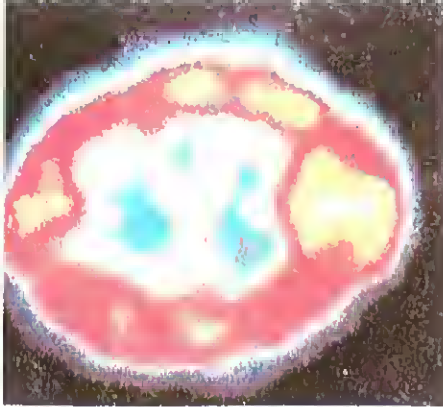
وعندما ظهر الميكروسكوب ، أصبح بمثابة عين أخرى للإنسان لترى « ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت » . . فعن طريق تكبيره

لدقائق الأنسجة مئات وآلاف المرات ، يمكن رؤية تفاصيل الخلق في الأعماخ وغير الأعماخ . . صحيح أن كل الخلق من خلايا ، لكن خلايا المخ بالنسبة لخلايا الجسم هي بمثابة أرق وأسمى ما في الأجسام على الإطلاق ، لأنها هي المسيطرة والموجهة والحاكمة والمدركة لما يجري حولها من أحداث .

الأساس واحد

إن خلايا الأعماخ - وكما أظهرتها لنا الميكروسكوبات - تبدو بشكل مشير ، ونظام فريد ، والغريب أن هذه الخلايا لا تختلف كثيراً في الشكل من إنسان إلى قرد إلى كلب وفأر وسحلية . . إلخ (انظر الشكل الدال على ذلك) ، وهذه نتيجة قد لا نرتاح إليها كثيراً ، ثم أنها تزيد حيرتنا في تكوين صورة حقيقية للحدود الفاصلة بين المخلوقات ، وبحيث يكون للسحلية موقعها في المخلوقات الدنيا ، وللإنسان موقعه في المراتب العليا ، لكن ذلك لا يعني أن مخ السحلية أو غيرها قد أمكن التوصل إلى

★ بوضع المسح الجزيئي للمخ بالميكروسكوب الإلكتروني المجسم ، الفرق بين حالات الفخ في الصحة والمرص . . فالتصوران العلويان لمخ إنسان سليم ، والسفليان لمخ إنسان مصاب بجنحة ★



ما فيه من أسرار، أو أنه شيء بسيط، بل العكس هو الصحيح، لأن خلية عصبية واحدة من مخ السحلية تنطوي على ذات الميكانيكية البيولوجية التي تشغل أيضاً على أساسها خلية عصبية في مخ الإنسان ! .

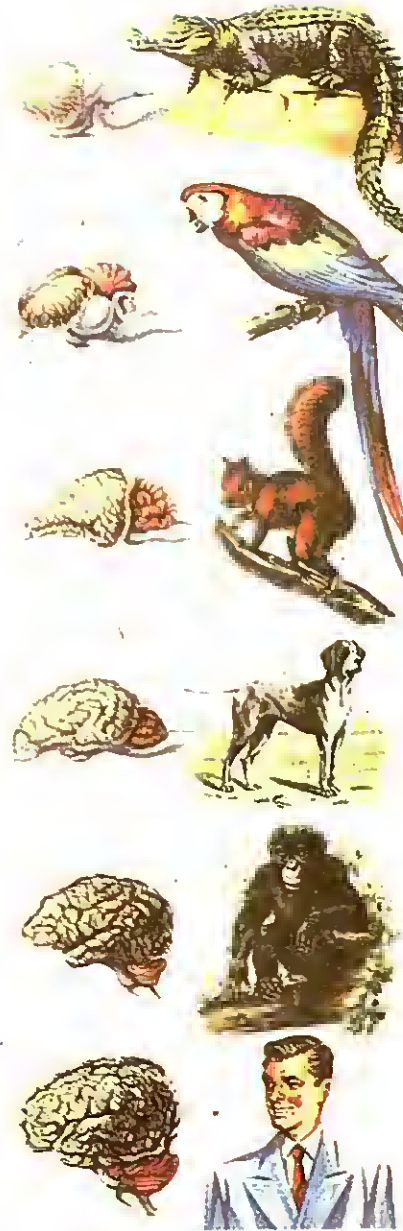
ولا شك أن هذه المقارنة قد تبدو مجحفة بالنسبة لنا نحن معشر البشر، خاصة وأن الإنسان هو سيد مخلوقات هذا الكوكب . . وهذا صحيح من وجهة نظرنا، لكنه من وجهة نظر الحياة مختلف تماماً، إذ إن الخلايا العصبية في كل المخلوقات قد اشتقت من أصل واحد، وجاءت على أساس غمط موحد، ليس فقط في الشكل الظاهري، بل أيضاً في التكوين الباطني، لأنها تشغل على نفس المبدأ، وتتعامل مع نفس المكونات، وتتفاعل بنفس المركبات، وتنتج نفس النبضات، وتسيطر على نفس الحركات . . بمعنى أنك لو أثرت عصباً في عضلة في ساق سحلية أو ضفدعة، فلإن العضلة تستجيب للمؤثر على نفس المنوال الذي يثار به عصب في عضلة في ساق قرد أو إنسان .

ولكي نخرج من هذا المأزق الفكري، فليس هناك أمامنا من مخرج إلا أن نقول إن مخ الإنسان قد جاء بتنظيم أدق، ومراكز أسمى، وأحجام أكبر، وتفاعلات أعقد، وتناسق أرق يتطلبه موقعنا السامي بين الخلق . . أي إن التغيرات والإضافات ليست في كيان الخلية العصبية ذاتها، بقدر ما هو تألف وتناسق بين ملايين وبلايين الخلايا العصبية التي تسكن رؤوس الحيوان والإنسان، فتجعل لكل درجته في سلم المخلوقات .

السر العظيم

ولكي نوضح ما قدمنا فأوجزنا، فلا مناص من التعرض هنا للوحدة التي قامت عليها أبحاث الإنسان والحيوان، فلنكني تدرك الأساس الذي قام عليه أي نظام من نظم الخلق، فعليك أن تدرس أولاً الوحدة التي بني على أساسها هذا النظام أو ذاك .

فرغم أن التناسق بين خلايا المخ ومراكزه المختلفة هو التحدي الحقيقي الذي يجابه العلماء،



* تطور أبحاث الحيوانات يتبعه تطور في حجم المخ ووزنه . لكن الأجزاء الرئيسية في أبحاث الإنسان والحيوانات متشابهة، مع اختلاف في النسبة ليصبح مع الإنسان أكبر وأغدها، لينبع منه العقل والإدراك *

إلا أن التحدي الأكبر يكمن أيضاً في خلية عصبية واحدة، إذ لو أدركنا سرها، وعرفنا نظامها، وتوصلنا إلى التفاصيل الدقيقة التي تقوم عليها حياتها، فإن ذلك يسير الطريق لمعرفة الكثير من أسرار أبحاثنا .

إن الخلية العصبية - أية خلية تشاء من أي مخلوق تريد - تتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية، أولها جسم الخلية ذاتها، وفيه تكمن مرافقها الأساسية التي تدير بها شؤون حياتها، وتعرف كيف تستقبل وترد على

الإشارات الواصلة إليها، و«تعي» ما يدور حوها، وثانيها محور عصبي يمتد من جسم خلية ليتصل بجسم خلية أخرى، وثالثها زوائد تشبه الجذور أو الأغصان المتفرعة، وعليها مئات أو آلاف البروزات الدقيقة التي تعرف باسم نقاط التشابك العصبي، لأنها بمثابة مراكز الاتصال الذي يم عن طريقها تبادل النبضات العصبية عن طريق المحاور التي تمتد حوها من الخلايا العصبية الأخرى، وبحيث تبدو لنا الأمور على هيئة شبكات هائلة ومعقدة أشد التعقيد .

هذا هو ببساطة ظاهر أية خلية عصبية في أي مخلوق، فإذا أتينا إلى باطنها، فإننا نصطدم بجيوش هائلة من الجزئيات العملاقة المتفاعلة والمتناسقة تناسقاً مذهلاً، وبحيث تعصر العقل ذاته، وتجعله يعيش في متاهات ما بعدها متاهات، لكن من هذه المتاهات ينبع تنظيم تهون بجواره كل نظم البشر وما يدعون .

ففي داخل أية خلية عصبية تكمن مرافق شديدة تشبيهاً بديعاً . . فمن نواة تحتوي على البروجرام الوراثي الذي أصبح بالنسبة لها بمثابة المخ المفكر، والعقل المدبر، لأنها - أي النواة - تحتوي على حوالي ثمانية آلاف مليون شيفرة وراثية منتظمة على أشرطة دقيقة غاية الدقة، تنطوي داخل كروموسومات، وعندما تشغل هذه الأشرطة، فإنها تعطي سبلاً من المعلومات . . المعلومات تتحول إلى خطط . . المخطط إلى تنفيذ . . التنفيذ يؤدي إلى إدارة مرافق الخلية، ويعطيها صفاتها التي جاءت بها عليها، لتؤدي رسالتها نحو ملكوتها الصغير، ونحو جيرانها، فتتم الاتصالات العصبية من الخارج ومن الداخل .

وفي نواة الخلية وفيها حوها من مادة الحياة (السيبتوبلازم) يوجد أيضاً حوالي ستة آلاف مليون بروتين من أنماط مختلفة، وتكوينات متباينة، ووظائف مميزة، فمنها ما جاء صغيراً أو متوسطاً أو كبيراً أو عملاقاً، وهي على أية حال معقدة أشد تعقيد، ولهذا أعيت العلماء الذين حاولوا معرفة تفاصيلها الدقيقة، إذ على هذه البروتينات يقع العبء الأكبر، والتنسيق الأعظم، فكأنما هي بمثابة الفنيين في دولة عظمى، أو حتى في العالم أجمع، لأن عددها

وفوق هذا تحتوي الخلية العصبية على حوالي عشرة آلاف مليون جزيء دهني ، وعلى أكثر من ٦٠٠ بليون «رسول» وراثي ، وكل رسول منها يحمل خطة محددة من رئاسته العليا (نعني النواة) ، وبهذه الخطط تقوم الخلايا بإنتاج بروتيناتها ، والإنتاج يتم في مطابع خلوية (ريبوسومات) ، والمطابع الحية تحتاج إلى طاقة ، كما تحتاجها أيضاً أية عملية أخرى كيميائية ، ومن أجل هذا زودت كل خلية عصبية بحوالي ١٥٠٠ محطة لتوليد الطاقة (اسمها ميتوكوندريا) ، وذلك يعني أنها شرهة شرهة زائدة لاستهلاك الطاقة ، وهذا صحيح ، لأن حياة الخلية هنا بمثابة العين الساهرة أو الحارس المتحفزة لكل ما يأتيها من إشارات ، وما يخرج منها من نبضات ، وما تقوم به من تحليلات ، وما تبثه حولها من معلومات ، وكل هذا يتم عن طريق سيل جارف من التفاعلات الكيميائية والإلكترونية .

وطبيعي أن هذه المجموعة الهائلة التي تحتاج كل خلية في أنماخنا، تحتاج إلى تحليلات وقياسات ومعايير ينشعب فيها الحديث ويطول، ثم أنها تستلزم مجموعات من العلماء ذوي تخصصات دقيقة مختلفة، لأن كل مجموعة تنظر إلى الخلية العصبية خاصة والمخ عامة، من وجهة نظر تتوافق مع تخصصاتها، فعالم البيولوجيا مثلاً يراها نظام حياة تنطوي على مرافق خلوية، وجزيئات وراثية، وظواهر فسيولوجية.. إلخ، وهو على حق فيما ذهب إليه، ويبحث فيه، وركز عليه!

أجيال . . وعالم الكيمياء الحيوية يعلم يقيناً أن
المخ بمثابة معامل كيميائية على أدق وأعلى
مستوى من التفاعلات ، وبحيث تؤدي هذه إلى
ما نسميه بالانفعالات ، لأن الانفعال أو
الاضطراب النفسي لا ينشأ هكذا بذاته ، بل
من ورائه جيوش من مواد كيميائية بعضها
تكونها أمخاخنا ، والبعض الآخر يصنعه الإنسان
على هيئة أقراص مهدئة ، وكلما عرف عالم
الكيمياء من أسرار الأمخاخ أعمق ، وأدرك من
تفاعلاتها أعظم استطاع أن يقدم للبشرية
خدمات أكبر .

كذلك يدخل إلى هذا الميدان علماء النفس والرياضيات والفيزياء .. إلخ ، وكل ينهل من أسرار المخ ما يشاء ، فعالم الرياضيات مثلاً يحاول استنباط معادلات رياضية ليدرك بها مغزى التوصيلات العصبية ، ولقد خرج أحدهم من ذلك بنتيجة لا شك أنها تضع عقولنا وفكرنا في حيص ببص ، إذ قدر أن عدد التباديل والتوافيق من الاتصالات التي تم بين الألياف المنتشرة حول خلايا المخ قد تصل إلى أعداد تذهل العقول ، وتقع فيما وراء حدود الخيال ، ونحن لا نستطيع أن نكتب هذا الرقم هنا ، لأن كتابته قد تستوعب نصف صفحات هذه المجلة ، إذ عليك أن تكتب الرقم واحد ، وتضع على يمينه ثلاثمائة ألف صفر !! .. فهل منا من يستطيع أن يستوعب ضخامة الرقم ؟ .. إنه — على أية حال — يعطيك فكرة عن تلك الغاية المتشابكة من الاتصالات والتفاعلات وتبادل المعلومات التي تتمخض في النهاية عن شعورنا بعالمنا ، وإحساسنا بوجودنا ، وإدراكنا لذاتنا ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ (سورة النحل ، الآية ٨٨) .

وطبيعي أن كل مجموعة من العلماء تقدم ما وضع العلم بين أيديها من أحدث التكنولوجيات ، لتجسس بها على أسرار هذا العالم المثير والغير ، فكل معلومة تحصل عليها مجموعة ، تفتح الطريق أمام المجموعات الأخرى ، لتقدم لنا حقائق جديدة ، والواقع أنها

●● إن مخ الإنسان يشغل حجماً يقدر بحوالي ١٤٠٠ سنتيمتر مكعب في المتوسط (في حجم لتر ونصف لتر بالتقريب)، وفي هذا الحجم تكمن ما بين ١٢ - ١٤ ألف مليون خلية عصبية، ومنها تمتد وصلات أو «أسلاك» أو خيوط حية تشبه الأخطبوط، وعن طريقها تم الاتصالات التي تسري على هيئة نبضات، ولقد قدر عددها بحوالي

●● لو أن هذه الوصلات الكامنة في
بوصة واحدة مكعبة من أنحاشنا قد أمكن
وصلها واحدة بجوار الأخرى ، لبلغ طولها ١٦
ألف كيلومتر ، وهذا يعني أن مجموع أطوال
الوصلات في مخ الإنسان أكبر من
المسافة بين الأرض والقمر بحوالي
مرتين .. أي في حدود ٦٠٠ ألف
كيلومتر ! .

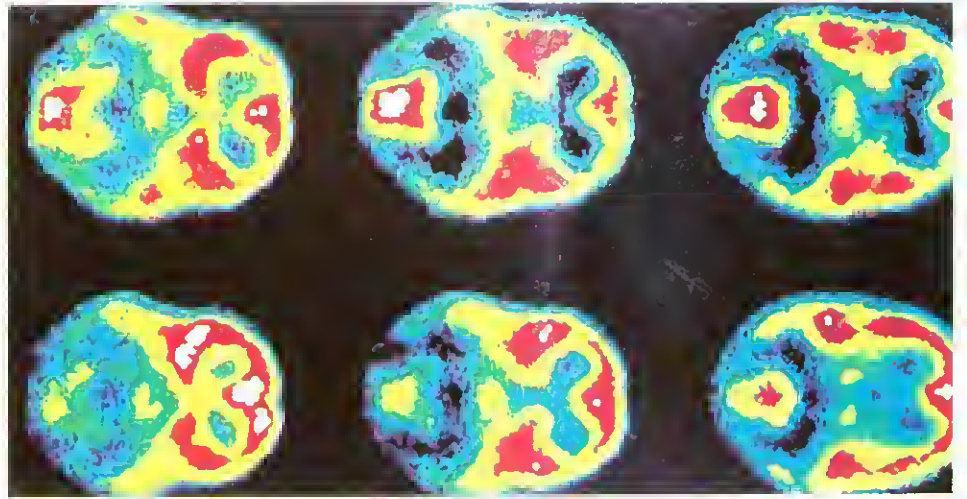
●● لو أن أي جزء من المخ قد حرم من الأوكسجين لمدة عشر ثوان

لا تتقبل الأذنان شيئاً.. وتظهر الاختلافات أيضاً في حالات الصحة والمرض، ففي نوبات الصرع، يزيد معدل استهلاك الطاقة، ومن أجل هذا يحس مريض الصرع بصفاء ذهني حاد بعد رجوعه إلى وعيه، في حين أن إصابة المخ بالجلطات، وما يتبع ذلك من نقص أو توقف اندفاع الدم إلى المناطق المصابة، يؤدي إلى نقص في استهلاك الطاقة، ومن ثم يمكن تمييز الأجزاء السليمة من المعطوبة.

●● إن خلايا المخ بمثابة بطاريات كهروكيميائية جد دقيقة، ويعني هذا أنها تشتغل بوسيلتين متلازمتين، إحداهما كيميائية والأخرى الإلكترونية، ولقد قدر أحد العلماء أن الطاقة التي تنتج من مخ إنسان تكفي لإضاءة مصباح كهربائي قوته ٢٥ واط!، وطبيعي أن أغناخنا لا تشع نوراً، بل الأحرى بنا أن نقول إنها تشع فكراً وإحساساً ونبضات تسيطر بها على كل حركة من حركات أجسامنا.

●● إن أغرب شيء في نشاط الخلايا العصبية هي السرعة المذهلة التي تشحن بها نفسها ثم تفرغ شحناتها، وكأنها هذه الشحنات بمثابة رصاصات تنطلق متتابعة من مدفع رشاش سريع الطلقات، لأن هذه الخلايا تبعث نبضاتها الإلكترونية بمعدلات تصل إلى مئات النبضات في كل ثانية، وأعلى معدل سجله العلماء قد يصل إلى ١٥٠٠ نبضة في الثانية الواحدة!

وحقائق أخرى مشيرة وغريبة، لا يتسع المجال لسردها، لكن يكفي أن نشير هنا في نهاية هذه الدراسة إلى أن تجميع مثل هذه المعلومات عن خلايا أغناخنا هو السبيل الوحيد الذي يهد لنا الطريق للتعامل معها كيميائياً وإلكترونياً وكهربياً، فلا تطبيق بدون معرفة سابقة، وبغير ذلك لا يستقيم التعامل على مستوى الخلايا والأغناخ والأجسام، أو أي شأن آخر من شؤون الحياة، ولقد حقق العلم في ذلك إنجازات كبيرة ومشيرة، ولهذه دراسة أخرى قادمة لنعلم عن أغناخنا ما لم نعلم، وما أكثر ما لا نعلم. **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً.**



★ يختلف نشاط المخ باختلاف المؤثرات التي يتقبلها من عائلته الخارجي... فالصور الثلاث العليا للمخ إنسان في ثلاثة مستويات مختلفة وهو يتابع بعض الأحداث بعينه، والسفل وهو منغمض العينين ★

ما يتسرب من شبكاتها فيما حوفاً، أو قد تعيد ضخه إلى الداخل، والضخ بلا شك يحتاج أيضاً إلى طاقة.. والحقيقة الثانية أن الخلايا العصبية بمثابة معامل كيميائية في عجلة من أمرها، وهي دائمة التصنيع لمركبات لا غنى عنها، والتصنيع في حد ذاته يستهلك طاقة.

●● لقد أظهر المسح الجزيئي بالميكروسكوب الإلكتروني الذي يعمل بموجات ذات ترددات خاصة أن أغناخنا ليست على مستوى واحد من الطاقة، فهي في النوم، غيرها في اليقظة، غيرها في أثناء التركيز الذهني، أو التفكير المضي، غيرها في الصحة والمرض.. إلخ.. إلخ، وهذه القياسات طرق عويصة قد يتشعب فيها الحديث ويطول، لكن يكفي أن نقول إن الصور التي أظهرها المسح بطرق خاصة (انظر الشكل الدال على ذلك ضمن هذا المقال) توضح أن المخ يحول تيارات الدم بطرق لنا ندرها يقيناً، إلى مناطق معينة تتميز بنشاط زائد، ليهبها نصيباً أوفر من السكر والأوكسجين، لنتنتج مزيداً من الطاقة.. من ذلك مثلاً أن النشاط العصبي الموجود في مراكز الإبصار يختلف شدة أو ضعفاً باختلاف المؤثرات الضوئية التي تتقبلها عيوننا عندما نتطلع إلى مناظر متتابعة، ويقل النشاط إذا أسبلت الجفون على العيون، كذلك الحال مع مراكز السمع التي يزيد نشاطها في حالة سماع الموسيقى مثلاً، ثم يضعف النشاط عندما

فقط، لأدى ذلك إلى انهيار في وظيفته، ولو زادت تفرقة الحرمان عن ذلك، لاختنقت الخلايا وماتت، فكأنما أرخص شيء في الوجود (الهواء) هو أثمن شيء في حياة هذه الخلايا!

●● إن هذا النهم الشديد لحرق الأوكسجين وتوليد الطاقة في أغناخنا ليس له مثل في خلايا أجسامنا، ولا بد - والحال كذلك - من توفير تيارات دماء سريعة إلى أغناخنا، لتجعلها تسبح في «طوفان» دائم من دم متجدد، وقد كان، إذ زود المخ بأربعة شرايين رئيسية، تتوجه من قلوبنا مباشرة إلى أغناخنا، وبحيث يحصل المخ وحده على حوالي ٢٠٪ من ميزانية الدم الموجودة في أجسامنا. هذا رغم أن المخ لا يزن إلا حوالي ٢٪ فقط من وزن أجسامنا!

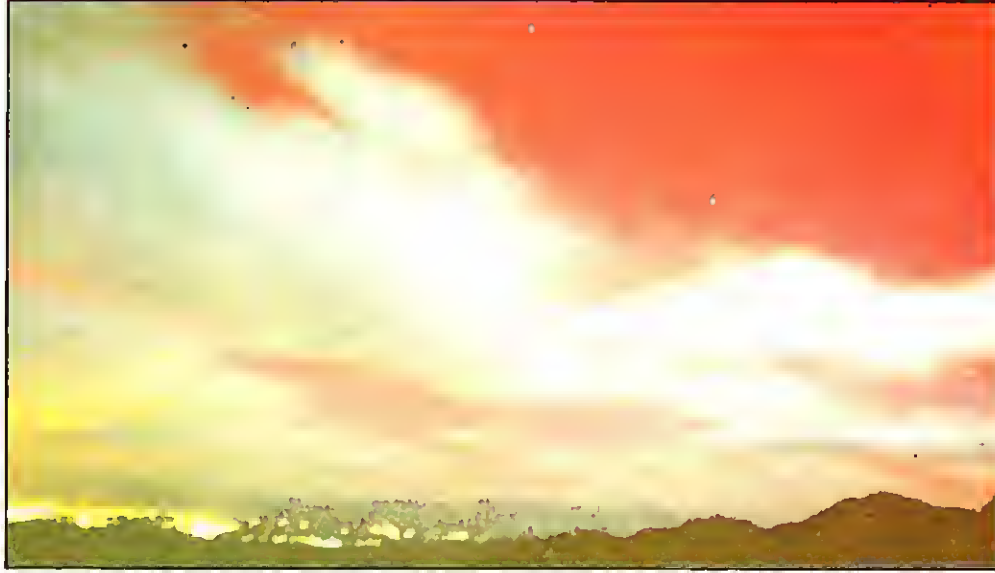
●● وتأسيساً على الحقيقة السابقة، يستهلك المخ وحده حوالي ٢٥٪ من ميزانية الجسم من الأوكسجين، أي كأنها خلاياه بمثابة أفران من طاقات منطلقة، ويرجع هذا النهم الشديد إلى حقيقتين أساسيتين، أولها ناشئ من ضخامة التوصيلات التي تحيط بكل خلية، وبالتالي مساحتها الكلية، لأن الخلية هنا تعمل على أساس مبدأ علمي معروف، إذ كلما زادت شبكات التوزيع، انخفضت كفاءة ما يسري خلالها، ولا بد من تعويض يعيد لها معدلاتها، وكذلك حلت الخلايا العصبية مشكلاتها عن طريق فيض دائم من طاقات عالية، تعوض بها

جو

Atmosphere

أضواء فجر الشمال

تكسون (Tucson) إشراق الألوان البديع الضارب إلى الحمرة في ليلة (١٢) أبريل (نيسان) الماضي، مشهد لم يكن موجوداً عند غروب الليلة نفسها، ولكن الأورورا (الشفق القطبي) aurora (الشمال) نراه كأضواء تتلألا عن قرب في منظر مهيب لا يتكرر إلا كل (٢٠) عاماً.. وهذا المشهد الجميل نراه في سماء



الشمسي وتدخل جو الأرض فتسبب توهج ذرات الأكسجين.

المواجه لهذا النشاط.. والوهج المضيء هذا والذي يخطف الأبصار تسببه الجسيمات Particles التي تنبعث من الفوران

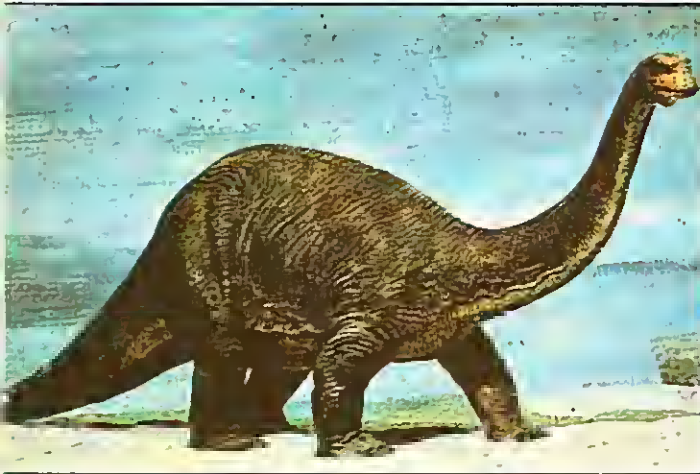
الشمال القطبي لمدة قصيرة، وذلك بعد فترات شمسية ملتفة تحدث في ذروة دورة البقع الشمسية وفي الجانب من الأرض

علم المستحاثات

Paleontologie

كشف هام عن الديناصورات

(تكساس Texas): عالم المستحاثات في جامعة ميتشيجان (أمريكا) يقول إن آثار أصابع القدم العملاقة الثلاثة - تشاهد في الصورة - التي وجدت مطبوعة على حجر الجير الكلسي في شمال غربي تكساس تمثل آثاراً أحفورية لأسرع حيوانات

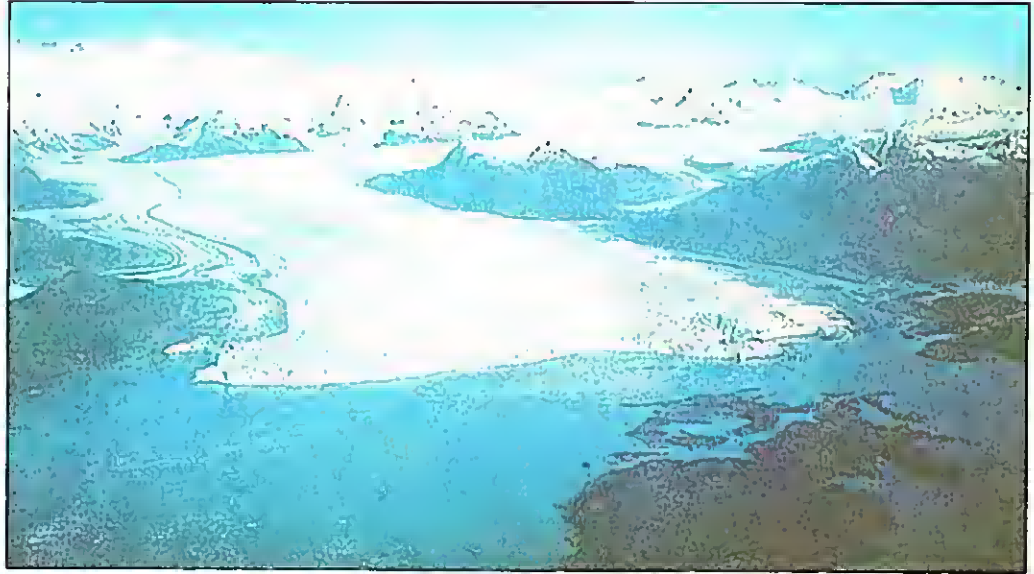


(التيرانوساورس Tyrannosaurus rex) والتي وجدت آثار لها في طبقات مشابهة. ولكن.. لم كانت هذه الزواحف العملاقة والتي

فارلو ليس متأكداً بعد من أنواع الديناصورات التي تركت هذه الآثار ولا كم هو عددها، ولكنه يشك بأن بعضاً منها هي من أنواع الديناصورات آكلة اللحم مثل

الديناصورات التي وجدت على الأرض وانقرضت فجأة منذ (١١٠) مليون عام.. والعالم (جيمس فارلو James Farlow) من جامعة هوب (أمريكا) وجد بأن العديد من الديناصورات كانت تجري وتنقل بسرعة تقريبية تصل إلى حدود (٢٥) ميل في الساعة، وأن هذه الديناصورات باستطاعتها تحطيم الرقم الأولي لسباق عدو المائة متر للإنسان وهو (٩,٩) ثانية.. ولم يسبق أن وجدت آثار لديناصورات تنطلق بهذه السرعة الرهيبة، ذلك أن أكثر سرعة مقررة لديناصور قبل هذا الكشف لم تكن تتجاوز السبعة أميال في الساعة. والعالم

شواطئ ألاسكا التي تتردد إلى الخلف، ففي العام الماضي فقط تقلص طولها بحوالي (٥٠٠) متراً، وهذه أكبر مسافة تتراجعها طوال تاريخها.. وقد تنبأ الجيولوجيون بأن طولها سينقص حوالي (٦) أميال حتى عام ١٩٨٥م، وفي عام (٢٠٣٠)م لن يتبق منها سوى نصفها أي حوالي (٤١) ميلاً فقط، لأن حوالي (٢٠) مليون طن من الجليد يذوب منها كل يوم، ويتوقع علماء الجليديات أن تحصل نفس التراجعات في الخمسين مجلدة أخرى من جليديات ألاسكا وذلك بسبب تباين درجات الحرارة وقلة سقوط الثلج.



كولومبيا لتيارات المياه في مضيق الأمير وليام لأكثر من ألف عام، بدأت الآن تتراجع ويتقلص حجمها، وأضحت آخر جليديات

المجلدة (كولومبيا) تتراجع

(ألاسكا) Alaska - بعد أن صمدت المجلدة (نهر الجليد)

علم الجليديات

Glaciology



يبلغ طولها حوالي (٥) أمتار ووزنها أكثر من نصف طن تجري بهذه السرعة الرهيبة؟ هذا غير واضح للآن. ويقول العالم فارلو لعلها كانت تهرب من شيء ما يطاردها أو أنها كانت تفر من حادث كبير أو لعلها كانت تدور حول أماكن توطنها.. والصورة تمثل آثار الأقدام العملاقة للسديناصورات السريعة والتي وجدت على شواطئ غربي نكساس وطولها حوالي (١٨) بوصة. (البوصة = ٢,٥٤ سم).

لوحة عن جان

• تكوين •

على اتزان العلاقات الهندسية (الأشكال من حيث الحجم، والخطوط من حيث الاتجاهات)، ويتسم بالمرونة اللوني الواحد الذي يميل إلى الشق الدافئ، فيغلب على ألوانه الأصفر والبني والذهبي.. ويستخدم الفنان الحروف العربية كعناصر خطية تشغل مساحات لها طبيعة نغمية تساهم في خلق وحدة النسيج العضوي في اللوحة.

بجذوره وتاريخه.
• التكوين في اللوحة
راسخ من الناحية البنائية، مصور في إطار البعدين، ويقوم



مستمدة من التراث، أي أن الفنان في هذه اللوحة يحاول العودة إلى التراث الإسلامي، للاستلهام والبحث والتنقيب من خلاله عن مفردات وجماليات تشكيلية كالزخارف المستمدة من الفن الإسلامي، وعملية تكرارها في إيقاع موسيقي، والحلال.. وعن طريق إبراز جمالية الحرف العربي كمادة تاريخية مؤثرة تربط الإنسان

• يتضح من اللوحة المعروضة المفهوم الفني للفنان علي الرزقاء وأسلوبه في معالجة موضوعاته.. فالفن عنده نشاط تركيبي إبداعي، يصنعه الجهد العقلي الساعي بكل أبعاده النفسية والاجتماعية، وليس من صنع اللاشعور أو الخيال أو الغياب عن الوعي.
• موضوعه في اللوحة هو تكوين لأشكال ومفردات وعناصر

• علي • عبد العزيز الرزقاء •

★ ١٦ معرضاً فنياً
بإيطاليا.

• أقام معرضاً ثانياً
بالاشتراك مع الفنان
السعودي سمير الدهام
بصالة العرض بفندق
الرياض انتركونتيننتال عام
١٩٨٢ م.

وبجاهدي وشهداء
فلسطين.

★ معرض كبار
الفنانين السعوديين
بالرياض.

★ معرض الفن
السعودي بالأردن.

الثانوية، ويعمل حالياً
مدرساً للتربية الفنية بمعهد
التربية الفنية بالرياض.

• اشترك في كثير من
المعارض الفنية داخل
وخارج السعودية متها:

★ معارض لجنة أسر

• من مواليد
«أشيقر» بالمملكة العربية
السعودية عام ١٣٦٤ هـ.

• دبلوم أكاديمية
الفنون الجميلة بروما -
إيطاليا.

• عمل مدرساً للتربية
الفنية بإحدى المدارس



الرحيل

شعر: د. زكي الجابر

تلك الدويلات لا زالت بمتصد
يزهو بشر، وشبرا ساد معتمد
غفا الرباب.. ولم يصدح على فنن
إلا الغراب، يناجي صوته الرصد
إن القصيد الذي باهى بخضرتة
خضر الروابي طواه العاصف الرعد
تنور الجهل فيها، واستطال بها
من لا يطول، وأبدى عزه الودد
تلقى القاسح عن حقد وعن ضعة
تبكيك حزناً إذا وافتك تزدرد
يا أمة الوهج الجبار لا هدت
هذي الضلوع، ولا أزرى بها الكد
دين إلى الصدق، يبق الحب متصل
مهما استطالت، ومهما تنفث العقد
الحب دمي
الصدق دمي

هذا القطار الصاعد المجهول
يحملني في زحمة المجهول
مقيداً مغلول
وليس لي بطاقة الرجوع ..
أهسر: يا ثمود ..
فيصرخ القطار: يا ثمود ... يا ثمود
الصخر هل يروع
لرجفة
للمسة ..

لكل ما تحمله الدموع؟
من يشتري مخاوفي بدفقة اليقين
ومن يذيب خافقي بموجة الحنين ..
ثمود .. يا ثمود

أي النجيين في جنبك يرتعد
خوف السواوات أم خوف لما وعدوا
وأي مسراك قد غامت مسالكه
وما انثيت، وأي الورد لا ترد
غرثان صديان إلا من هوى لب
بين الحنايا، وغير الصدق لا تجد
إذا نهدت عن الأظلام باركه
فجر وليد ولحن ساحر غرد
وهي الفيافي إذا وافيتها انبسطت
ماء كان المنى من حولها الزرد
تعيما العيون على الساري إذا التبت
منه الظنون، وساوى غيه الرشيد

هل تولد القصيدة
صامئة .. وحيدة
في جبل من عذاب
حتى إذا أدركها المغني
عند التقاء النور بالضباب
تفجرت رائعة فريدة
أتولد الأغنيات
في شفة المغني
أم يولد المغني
في شفة الأغنيات؟

يا أيها الشعر في أهواننا عجب
نبكي غناء كما يستضحك الكد
تظامن الليل، لا سلوى فنشربها
ولا ادكاراً له من روحنا المكد



مع الربيع الأخضر

شعر: زكي قنصل

هشّ الربيع فحيّة واستبشر
حسبي وحسبك نفحة من عنبر
يا قلبُ أشقانا وأسمدنا الهوى
بالروح أفدي كل طرفٍ أحور
لا تشك أنك في سهاد دائم
يا وبح قلب في الهوى لم يسهر
نام الخلي على الحرير فلم تطف
بسريره إلا الدمى من مرمر
هيات. أحسده على لذاته
تنهار ضحكته لدمعي الأحمر

★ ★

شبتنا ولكن لم تزل أحلامنا
ريّا تدور مع الربيع الأخضر
قرّبت قلبي للجمال ذبيحة
ونقعت غلّة وجده بالكوثر
ربّيته للحب يهتف باسمه
حرزاً يقيه أذى الحسود الأصفر
أنا قد رضيت من الحياة بقسمتي
يبقى الحبيب يأخذ الدنيا ثري!



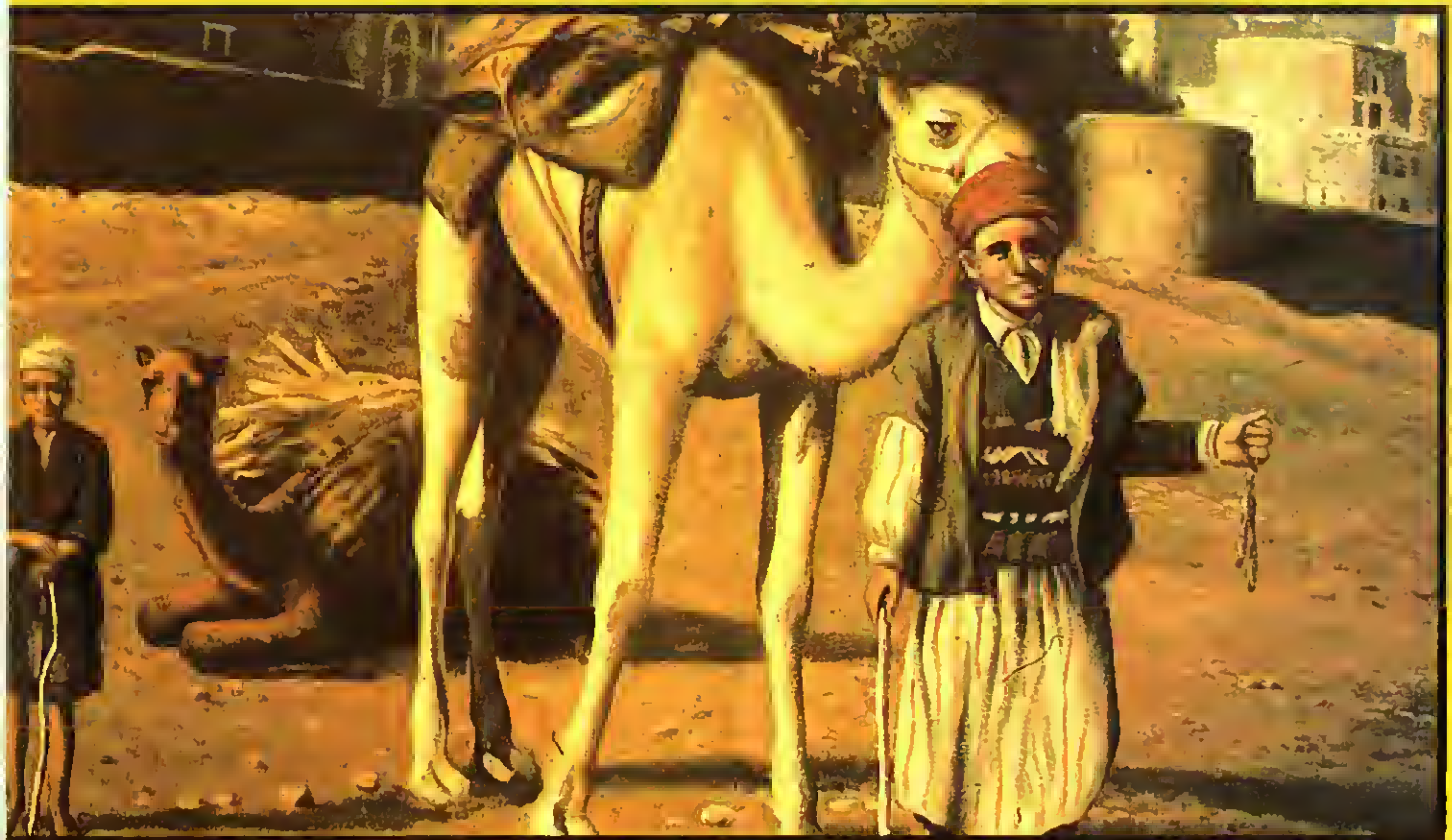
وأشد الأرض إلى قلبي
وأشد، الشعر، الدفء، الإيمان
يتحرر في الإنسان

في المقلتين غد يحلو وفي يدنا
يوم يطل على آفاقه الرغد
ضراوة الحقد ما أغنت أبا هب
تبت يداه وتبّ الجبل والمسد
تغضن الجلد من بعض وما غضنت
منا الضلوع، وذاك الصابر الجلد
سعيًا على الدرب، تلقانا على نشز
مهما افترقنا، وإن الشمل يتحد
وإنه القلب يدري أن سورتها
نار، وأنا لديها المعدن الصلد

وفي دمي
أحسن هدأة اليقين
ورعشة الحنين
وانبجس الحجر
بدفقة الدموع والمطر

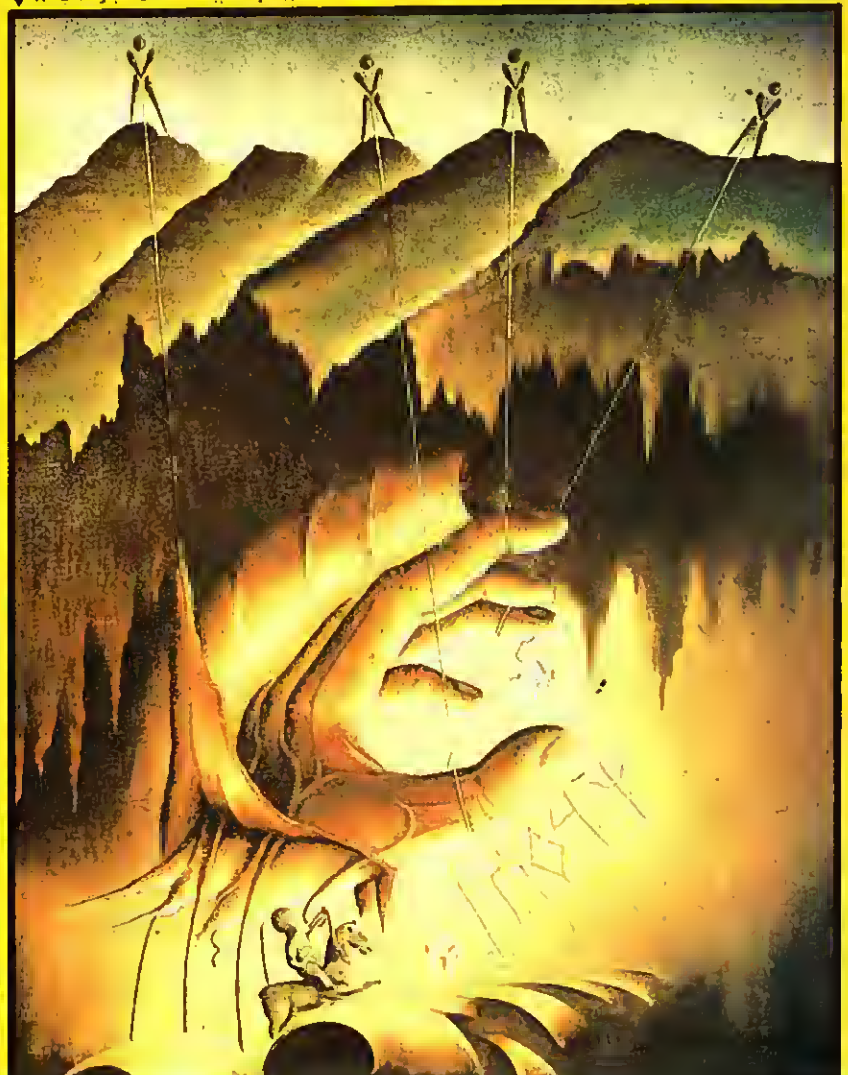
تفنى الهموم، ويبقى هم معتكف
في قلبه أحد، في صبره أحد
تطل سيناء غابات يسيرها
جند هم الرمل تغني عدهم عدد
سمر الوجوه يرق الطبع عندهم
كالنيل لو جنته صديان تبتد
وإنهم عند شد الهول عاصفة
هوجاء في جوفها الأتئون يتقد
هم الخاسين ما هبت وما نذرت
هم النسيم إذا وافاك يتبد
تهفو الشموس على سيناء رائعة
فوق الرمال ويحلو فوقها الراد
وإنها أمة القرآن ما وهنت
ولن تهون ولن يستامها الحرد

هذا القطار الصاعد الموعود
يحملني والحلم الموعود
أهمس: يا همود
فيصرخ القطار: يا همود.. يا همود
قد ولد المغني
في صيحة الرعود.



▲ ★ الحمار — للفنان عبد الحبار نعمان ★

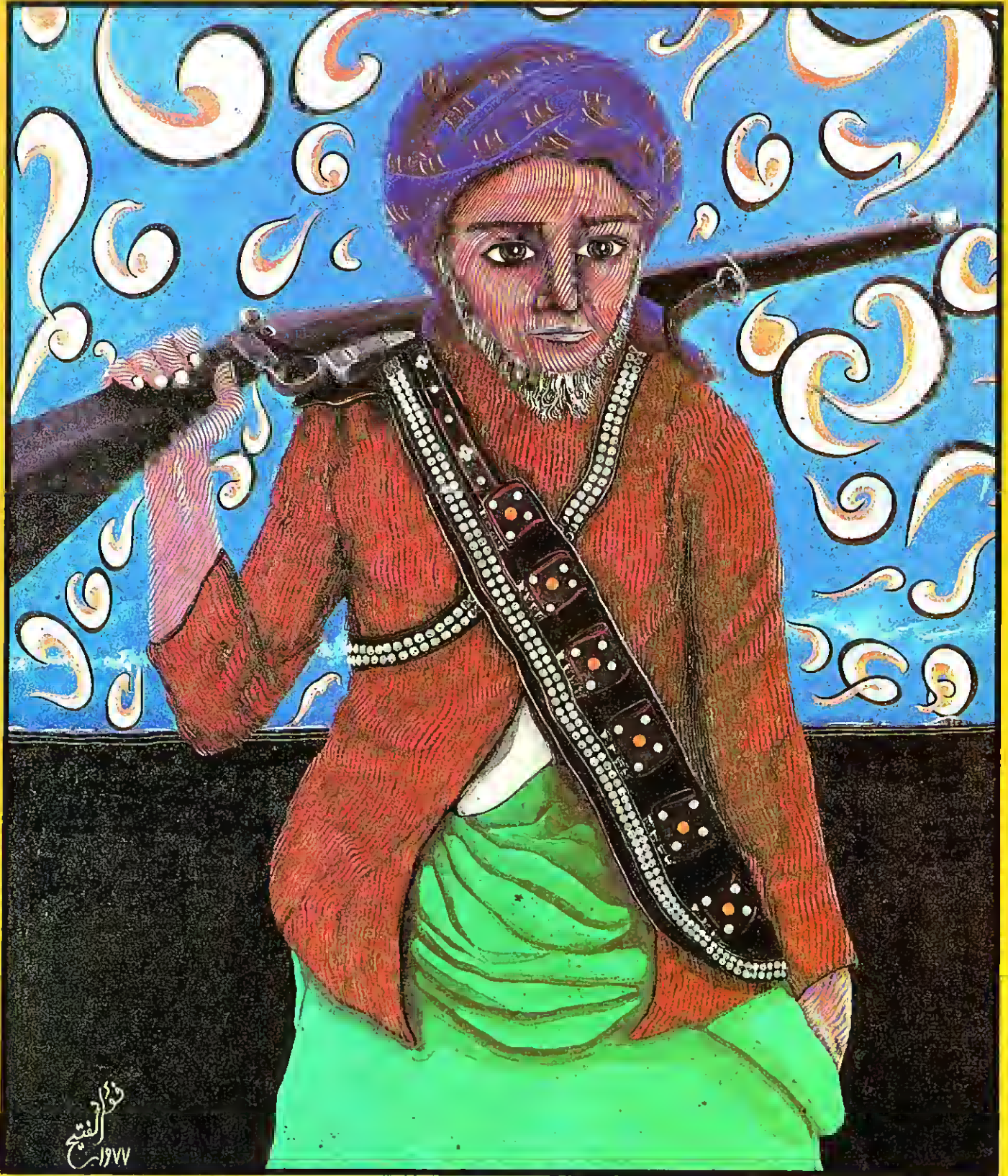
▼ ★ البد الحبيبة — للفنان حيدر غالب ★



الابداع والأصالة في الفن التشكيلي اليمني

بقلم: سمير ظريف

الذاكرة هي تاريخ أي أمة،
والعودة إلى ذلك التاريخ هي عملية
استحضار في الذات الاجتماعية ..
استحضار للماضي والحاضر .. واستدعاء
تلقائي لعمل مقارنة ومقابلة .. ومن
جهة أخرى فهي إحياء للبذور القابلة



★ العسكري - للفنان فؤاد الفتيح ★

ونظراً لأن الحركة من طبيعة الحياة والبشر فقد
ازدهرت بلدان ، وتخلّفت أخرى . وهذه طبيعة
التاريخ . . ولما كان الإنسان هو محور الكون ، ومن
سماته - أي الإنسان - التطور وصناعة المتغيرات

وتاريخ مجيد صنعه أبناؤها . . ويأتي اليمن
السعيد على رأس قائمة البلدان
بمضاراتها العظيمة ، وتاريخها الحافل
المضيء .

للحياة في أرض هذا الماضي .. أي
إحياء تراث هذا الماضي .. والأمم التي
لها ماضٍ عظيم ، أقيمت على أرضها
حضارة عظيمة شيدت بأيدي أبنائها ..



* المذاح - لفنان عبد الحذيفي *

الفنانون .. وأساليبهم

●● **عبد الجبار نعمان** : يستمد موضوعاته من البيئة ويصورها بأسلوب واقعي ، فهو في لوحة «الجمال» يصور الإنسان اليمني البسيط والجمال ، ويصور في الخلفية مباني شاهقة حديثة ، وهو هنا يدعونا لعمل مقارنة بين الحياة البدائية البسيطة ، والمدينة الحديثة التي يسير في ركبتها اليمن الشقيق .. ويدعونا الفنان أيضاً إلى تأمل حياة الإنسان البسيط في اليمن .. والتكوين في هذه اللوحة تقليدي .. وأسلوبه مباشر يحاكي الطبيعة والواقع ، ورغم تسجيله للواقع بالحاكاة إلا أنه نجح في موازنة الكتل عن طريق اتزان العلاقات الأفقية والرأسية في اللوحة ، والمتمثلة في المنازل كخط أفقي ، والفلاحين والجمال كخط رأسي ، كما أنه أجاد استخدام عنصر الضوء والظل بما يتناسب ومفهومه الأكاديمي .. أما الألوان فهي مستمدة من البيئة والطبيعة بل بنفس وجودها في الطبيعة ، فهو يصور الأشياء والعناصر كما هي موجودة في الطبيعة ونفس مفهومها ودلالاتها ورمزيتها .

●● **عبد الحذيفي** : موضوعاته المفضلة هي « الفلاح » ، و « الفولكلور الشعبي » ، ويصور تلك الموضوعات بأسلوب أقرب إلى المدرسة التأثيرية .. وهو لا يهتم بالتفاصيل بصفة عامة في لوحاته مثل لوحة « المذاح » التي يصور فيها رجلاً بملابسه التقليدية وهو في حالة غناء ، وتظهر من خلفه الأبنية اليمنية .. وفي لوحته « الرقص الشعبي » يصور الحركة والإيقاع بالألوان ساخنة ، وضربات فرشاة قوية مثقلة بالألوان توحي بالحركة والصخب .. وهو في أسلوبه هذا يتفق مع مفهوم الانطباعية عن سيادة اللحظة ، أي تسجيلها في الحركة الدائفة للوجود نظراً لأنها متغيرة .. وهو يتفق أيضاً مع الانطباعيين في رؤيتهم في تحول الثابت المتجسس إلى التحول الجزئي ، وفي تصوير الضوء والهواء ، وتحليل سطوح الأجسام والأشياء والعناصر إلى بقع لونية عن طريق ضربات الفرشاة السريعة المخللة « أي التكنيك الفني المستخدم » الذي يمثل في مفهوم الانطباعيين التعبير عن العالم المتحرك المتغير .

●● **حيدر غالب** : يصور موضوعاته بأسلوب سريالي ، مستخدماً الرمزية الموجهة بهدف معالجة قضايا وطنه ، ويتخذ هذا الأسلوب للبعد عن المباشرة الموضوعية ، أي من ناحية

والخضارات بعقله ووجدانه وإرادته .. لذا كانت الخضارات تقوم بالإرادة ، وترتكز على العقل المتمثل في العلوم ، وعلى الوجدان المتمثل في الفنون .

وفي معرض الفن التشكيلي اليمني الذي أقيم ضمن برنامج (الأسبوع الثقافي اليمني) بالملكة العربية السعودية .. شاهدنا محاولات فناني اليمن الشقيق في إحياء بذور الماضي .. واستلهم تاريخ أمته عن طريق الفن التشكيلي .. وهي محاولات جادة تختلف باختلاف مستوياتهم الفنية ، كل حسب خبرته وتجربته ودراسه وتحصيله وثقافته .. ورغم التباين الواضح والملموس في المستويات الفنية هؤلاء الفنانين ، إلا أن عنصر (الأصالة) يجمعهم في مظهر يبرز من خلاله تاريخ أمته ، كما يمثل التصميم الصادق على التطور من خلال حركة الفن التشكيلي .

المعرض

في هذا المعرض الذي ضم 41 لوحة تشكيلية بين رسم ، وحفر ، بأنواعه «حفر على الزنك - حفر على الحجر - طباعة على الشاشنة الحريرية .. وتصوير زيتي .. أبدعها ستة فنانين وهم : «عبد الجبار نعمان» الذي اشترك بلوحتين تصويرهما : (الجمال) و (الصياد) . و «عبد الحذيفي» الذي اشترك بست لوحات هي : (الرقص الشعبي) ، (المذاح) ، (قهوة الصباح) ، (ضاربة الخلبة) ، (فتاة من صبر) ، (شارع من جبلة) .. و «حيدر غالب» الذي اشترك بخمس لوحات هي : (اليد الخبيثة) ، (الشجرة) ، (شجرة البن) ، (الغريب) ، (الفلاح) .. و «هاشم علي عابيد» الذي اشترك بلوحة واحدة هي (منظر طبيعي) .

وفي مجال الرسم والحفر اشترك «عبد العزيز الزيري» بثلاث لوحات هي : (المزار) «حفر على الزنك» ، (فتاة صبرية) «حفر على الحجر» ، (قرية يمنية) «حفر على الزنك» .. و «فؤاد الفتيح» وهو من أحسن العارضين من حيث المستوى الفني ، قد شارك بأكبر عدد من اللوحات ، حيث عرض له (24) لوحة بخامات مختلفة ، وسوف نذكر مسميات لوحاته أثناء شرح وتحليل أعماله الفنية .. حيث سنختاره نموذجاً للدلالة على ما وصل إليه الفن التشكيلي اليمني من تقدم .

الموضوع ، وليس بهدف البعد عن المباشرة من حيث الأسلوب .. إلا أن لوحاته تخرج في النهاية بشكل أو بآخر بأسلوب سريالي .. وهو في لوحة «اليد الخبيثة» يصور يبدأ في منتصف اللوحة يتجاذبها أربعة أشخاص يقفون على سلسلة جبال في أعلى اللوحة ، يحاولون جذب تلك اليد ، لكنهم لم يستطيعوا سوى البدء في خلع القشرة الخارجية ، أي الجلد فقط ، الذي تظهر من تحته الشعيرات الدموية والعظام .. وهو في ذلك يريد أن يقول إن هناك صراعاً لا ينتهي بين الخير والشر ، وإن خلع الجانب الخبيث سواء في الإنسان أو في الحياة البشرية بصفة عامة ، بم بصعوبة شديدة ، ولا يمكن نزعها بسهولة وبساطة ويسر ، ويصور في أسفل اللوحة فارساً يمتطي حصاناً مقطوع الأطراف ، يحاول بتر تلك اليد الخبيثة بسيفه ، أي يحاول القضاء على الشر ، لكنه لم يستطع سوى قطع الشعيرات الدموية لتلك اليد الخبيثة .. وهنا دعوة صريحة لإيجاد فارس يضحي بحياته لنزع الشر نظراً لأن الشر لا يم نزعها بغير البطولة .. واليد الخبيثة في اللوحة تحيط بمزحل كأنها تريد القضاء

(الدودحية)، (الأم)، (الجالسة)، وأيضاً
(العسكري)، و (فتاة بطاقيّة)،
(الحزام)، و (الختجر).

فالموضوع عند الفنان مستمد حيناً من الواقع
وحيثاً من الخيال، وفي كلتا الحالتين يستخدم
مفردات ورموزاً عليّة .. وعناصر الشكل أي القيم
التشكيلية حديثة معاصرة .. أي يصور لوحاته
بمفهوم العصر .. وأسلوبه الفني يمنح إلى
الواقعية الجديدة أحياناً، كما في لوحاته
(الأطفال - العسكري - أطفال بير أبو شملة -
حارة من بير أبو شملة) . ويمنح إلى السريالية في
بعض الأحيان مثل ما يتضح من لوحاته : (رمز
رقم (١) - رمز رقم (٢) - الطيور) .. ويقوم
أسلوبه على التشخيص، فالإنسان هو محور
أعماله حيث لا تجد لوحة بدون عنصر آدمي،
ويتسم أسلوبه أيضاً بالبساطة وتجريد العناصر،
فالخط الخارجي لأشكاله بسيط، لكن داخل ذلك
الإطار الخارجي .. تختلّ مساحاته بالنفاصيل
والزخارف التي تظهر مهارته ودقته في الرسم
والتشريح والقدرة والصبر على رسم الزخارف ..
كما أنه في الرسم يميل إلى التشويه الفني لإظهار
النساحة التعبيرية في لوحاته ذات الصبغة
الاستثنائية .. ويظهر من خلال أسلوبه الفني مدى
استفادته من الحضارة الفرعونية، والحضارة
الإسلامية، وأيضاً الحضارة الغربية
الحديثة .

وفي النهاية نستطيع القول إن الفن
التشكيلي في اليمن الشقيق يسير في تقدم
ومخططات بناءة، وهو قادر على التخطي
والتجاوز، وذلك لاتساع القاعدة
التشكيلية من حيث عدد الفنانين
والفنانات لو اهتمت وزارة الثقافة
والإعلام اليمنية بخلق المناخ المناسب للفنان
التشكيلي اليمني وإقامة صالات عرض
مناسبة لإقامة المعارض بها، هذا إلى
جانِب المؤسسات المختلفة وذلك باقتناء
أعمالهم الفنية، وإرسال الشباب الموهوب
فنياً إلى الدول العربية أو الأوروبية الأكثر
تقدماً في هذا المضمار للدراسة .. كما
يمكننا أن نعلق الآمال في ذلك على إدارة
الفنون التشكيلية التي أنشئت في اليمن
حديثاً، خاصة أن مديرتها هو الفنان
فؤاد الفتيح أحد أبرز الفنانين في اليمن .



★ المزمار - للفنان عبد العزيز الزبيدي ★

دراساته العليا من أكاديميات الفنون
الجميلة بألمانيا الغربية عام ١٩٧٨م، وقد
مكث ثماني سنوات يدرس الفن ويشترك في
المعارض التي تقام داخل ألمانيا وخارجها حيث
استفاد من الدراسة والرؤية والتجربة .. ويظهر أثر
ذلك في ممارسته لفن الرسم وفن الحفر بأنواعه،
فهو يرسم بالخبر الصيني، ويحفر على الزنك
والحجر، كما يمارس الطباعة الحجرية .. فهو فنان
متمكن من الخامات التي يستخدمها، وأسلوبه
يتسم بالمهارة وقوة الأداء، والبنائية في التصميم
والتكوين، بالإضافة إلى القدرة على التعبير
ببساطة، حيث يقدم رؤيا في لوحاته يمتزج فيها
الخيال بالواقع .. وحيث يحقق العالمية من خلال
الغلبة، من خلال مفردات وعناصر لوحاته، فهو
يسجل الطرز المعمارية اليمنية المتميزة بما
تتضمنه من مشربيات وزخارف، ويسجل الملاب
اليمنية أيضاً، ويظهر ذلك في معظم لوحاته مثل :
(حامل الغنمة)، (حارة من بير
أبو شملة)، (حاملة المداعة)، (حاملة
السلة)، (الصياد)، (أم وطفل)،

عليه، أي القضاء على الاستقرار والأمان ..
ويضع الفنان اليد في منتصف اللوحة، نظراً لأنها
المحور الأساسي للموضوع، وذلك في تكوين
دائري، ذات ألوان درامية .

وفي لوحة «الشجرة» يصورها الفنان وهي
في حالة احتراق، وتخرج جمجمة من خلال
نيرانها، والشجرة تخرج من أرض جرداء رغم
تصويرها باللون الأخضر، التي يحاول الفلاح
حرقها، كما أن هناك يداً تنبع من الأرض ممسكة
بثمرة «ليمونة» في محاولة للعطاء، بالإضافة إلى
الطائر الأبيض المسك بطرف الجبل الذي نشر
عليه القماش الممزق ذي الرموز .. وعن طريق
الفلاح واليد والطائر يبعث الفنان فينا الأمل رغم
كل رموزه ومفرداته الموحية بالخراب والدمار
والشر .

أما لوحة «الفلاح» فيصوره كأنه ينبع من
الأرض، التي يمتزج وينصهر بها، فهو نسيجها
وتتبع منه الأشجار الخريفية غير المورقة، وتتبع من
رأسه وجسده الذي صوره كأنه مسامات أرضية
مسطحة، كما أن يد الفلاح نفسه ممسكة بقطعة
من الأرض أو بجزء من شجرة مكسورة كأنها أصابها
الدمار .. وهنا يريد الفنان أن يقول لنا إن الأرض
هي الفلاح، والفلاح هو الأرض، ولا قيمة
للأرض بدون الفلاح .. وهي مثل لوحته السابق
تحلبها سريالية الأسلوب .

●● عبد العزيز الزبيدي : يمارس الحفر
بأنواعه، فهو يحفر على الزنك كما في لوحته
«المزمار»، التي يصور فيها رجلاً بالزي اليمني
التقليدي، ينفخ في مزماره، وخلفه مشهد لمنازل
عليها الزخارف اليمنية فهو يسجل الفولكلور والبيئة
عن طريق التشخيص والطرز المعماري المميز
للمنازل اليمنية، وذلك في إطار واقعي يخضع
للمفهوم التقليدي لذلك الأسلوب من حيث المنظور
والقيم اللونية والنسب التشريحية والضوء والظل ..
وخلافه من عناصر العمل الفني .. وفي لوحة
«فتاة صبرية» وهي صورة شخصية لفتاة ترتدي
زياً تقليدياً خاصاً وتضع عمامة على رأسها، وهي
أيضاً مصورة بأسلوب أكاديمي واقعي بطريقة الحفر
على الحجر .

●● فؤاد الفتيح : الفنان فؤاد الفتيح يبرز
أصيلاً قديراً متمكناً من أسلوبه الفني، ومستفيداً
من دراسته الأكاديمية، حيث حصل على

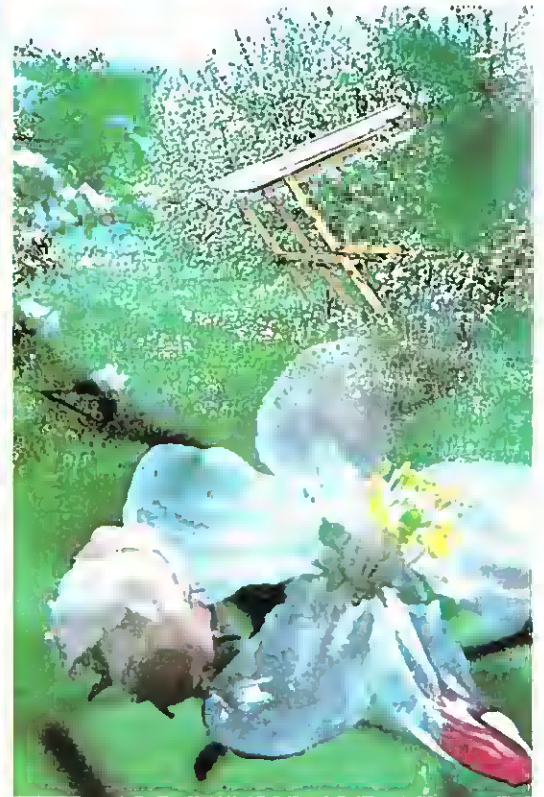
من آفات التلوث

المشكلة ، واتساع نطاقها الجغرافي .
ويكاد لا يخلو مكان على سطح الأرض
من التلوث وإن اختلفت درجة إصابة
البيئة باختلاف الموقع الجغرافي .
وتنقسم أنواع التلوث ومسبباته لدرجة
يصعب معها حصر هذه الأنواع والمسببات إلا
أن أهم خطراً وانتشاراً هو تلوث الكيمياء
Chemical Pollution حيث تدل الأبحاث
الحديثة على إصابة قطاعات كبيرة من
البيئة بالمواد الكيميائية التي من شأنها
أن تقضي على الأحياء أو تفسد عليها
عيشها .

تحتل مشكلة التلوث « Pollution »
باهتمام متزايد في الأوساط العلمية نظراً
لما تنطوي عليه من أخطار مباشرة على
البيئة التي تعد وسط الحياة الوحيد
لكافة الأحياء التي تستوطن الأرض .
ولاشك أن الثورة الصناعية التي بدأت
منذ ما يقارب قرنين من الزمان تقع في
مقدمة أسباب التلوث الذي يتزايد
خطره يوماً عن يوم . فمشكلة التلوث
اليوم هي أشد خطورة مما كانت عليه
منذ بضعة عقود . وسيكون خطرها
أكبر في العقود القادمة . ويؤيد ذلك
ما نطالع كل يوم عن تزايد حجم هذه



★ العثور على الأسماك البنية في البحيرات الملوثة ★



★ قطرة من ماء المطر سقطت على زهرة تفاح فلونتها بالأحمر ★

★ صورة لأحد المصانع في داونتريو بكندا ، لاحظ كثافة الغازات
الملوثة ★

البحيرات الصامتة

أثارت ظاهرة انقراض الأسماك من بعض البحيرات في وسط وشمال أوروبا وأمريكا حيرة الباحثين في شؤون الأحياء والبيئة . إذ سجل اختفاء الأسماك في ٢٠٠٠ من أصل ١٠٠٠٠٠ من البحيرات التي كانت تنزخر بها . وتتوزع البحيرات التي أصيبت بهذه الكارثة على الجزء الشمالي من الكرة الأرضية وخاصة البحيرات الواقعة في جبال (أديرونداك Adirondack) قرب نيويورك وبعض البحيرات في كندا ودول شمال أوروبا الإسكندنافية . ودلت الأبحاث أن سبب انقراض الأسماك يعود إلى هلاك الكثير من الأحياء العضوية والحشرات التي تعتمد عليها الأسماك في غذائها ، وإلى إصابتها بنوع من التسمم . وتبين الباحثون أن السبب في كل هذا يعود إلى الحموضة الزائدة لمياه البحيرات والتي يسببها تساقط الأمطار الغنية بمحضي الكبريت والأزوت أو ما يدعى بالأمطار الحمضية

. Acid Rain



★ انطلاق غاز ثاني أكسيد الكبريت من محطة كهربائية تعمل على الفحم الحجري ★

الأمطار الحمضية

الأمطار الحمضية هي محاليل ممددة لحمض الكبريت H_2SO_4 والأزوت HNO_3 التي تتشكل نتيجة لتلوث جو البلاد الصناعية بالغازات الحمضية كثنائي أكسيد الكبريت Sulfur Dioxide SO_2 وأكاسيد الأزوت المختلفة التي يعطي تفاعلها مع الرطوبة الموجودة في الغيوم قطرات الحموض التي تتساقط مع الأمطار أو الثلوج لتضاف إلى المحتوى المائي على سطح الأرض كالبحيرات والأنهار مما يؤدي إلى تلوثها . وأثبتت الأبحاث أن كتل المياه السطحية والجوفية في نصف الكرة الأرضية الشمالي أصبحت ملوثة بالأمطار ، والتأثيرات الضارة لحموضة المياه أخذت تتزايد لدرجة أنها بدأت تؤثر على المنشآت الحضارية كالأبنية والجسور وعلى المحيط الحيوي برمتها حيث تهدد الغابات والمحاصيل الزراعية والتربة ، وامتد تأثيرها إلى المياه الجوفية وأصبحت تمثل خطراً على صحة الإنسان نفسه .

ويعتقد خبراء البيئة أن مشكلة الأمطار الحمضية كانت

من نتائج اعتماد الإنسان على الوقود الأحفوري كالفحم الحجري والبتروول والغاز الطبيعي للحصول على الطاقة .
واليوم تتزايد « المدافن » التي تنشر نواتج الاحتراق في محطات توليد الطاقة الكهربائية والمراجل وأفران صهر المعادن ومحركات السيارات .
وتحتوي نواتج الاحتراق على أكسيد الكبريت وأكاسيد الأوزون بنسب هامة . ويشكل دخان المصانع عندما ينتشر فوق المدن والمناطق الصناعية ما يشبه الضباب الذي يكاد يغطي مناطق بأكملها . وعندما تتساقط الأمطار تتحول هذه الغازات إلى أحماض تذوب في المياه ويبدأ تأثيرها الضار مباشرة . أما إذا تساقطت الثلوج فإن الأحماض المشكلة تخزن ضمن الجليد المتبلور لتتحرر عند ذوبانه في نهاية فصل الشتاء .

دورة الأمطار الحمضية

إن غاز ثاني أكسيد الكبريت وأكاسيد الأوزون المختلفة تنطلق في طبقات الجو بمجرد تحورها كنواتج للاحتراق في المصانع . وتصل إلى ارتفاع أكبر كلما كانت درجة حرارتها مرتفعة . وفي طبقات الجو تخضع إلى نظام حركة الكتل والتيارات الهوائية التي تنقلها مئات وأحياناً آلاف الكيلومترات . وعند تعرض جزيئات الأكاسيد هذه لضوء الشمس فإنها تنشط كيميائياً مما يسهل تفاعلها مع الماء لتشكيل الأحماض . أما الأكاسيد الحمضية التي لا يتسنى لها الارتفاع إلى طبقات الجو العليا فإنها تتجمع قريباً من سطح الأرض نظراً لكون كثافتها أكبر من كثافة الهواء . . . وتصبح بذلك أكاسيد حمضية جافة تتحول إلى أحماض عند تساقط الأمطار . وبسبب إمكانية هجرة هذه الأكاسيد إلى أماكن بعيدة فإن التلوث بالأمطار الحمضية لا ينحصر في بلد معين بل يتجاوز حدود بلدان بأكملها ، إذ أكدت الدراسات تساقط هذه الأمطار وسط المحيطات وفي البلدان غير الصناعية . كما اكتشف تساقطها في كامل نقاط الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية وحيث يكون النشاط الصناعي قليل الكثافة للغاية . ويعتقد بعض العلماء باحتمال أن تكون هذه الأمطار الحمضية قد تشكلت نتيجة للنشاط الحيوي لأحياء المحيطات كالبيكتريات والطحالب والفلطور إلا أن الاحتمال الأكبر هو أن يكون مصدرها النصف الشمالي من الكرة الأرضية .

أرقام ومؤشرات خطيرة

وقد نتساءل : هل هذه المشكلة وليدة عصرنا الحالي . . . عصر الصناعة؟؟ والجواب هو أن هذه المشكلة قائمة منذ الأزل . فأكاسيد الكبريت والأوزون يمكن أن تنطلق بكميات كبيرة كنتيجة للظواهر الطبيعية كثوران البراكين وحرائق الغابات كما تطلقها البيكتريات والأحياء الدقيقة أثناء قيامها بالوظيفة الغذائية . وتؤدي ظاهرة اللمع والبرق إلى تفاعل الأوزون الجوي مع الأوكسجين لتغني الجو بكميات مناسبة من أكاسيد الأوزون التي تشكل عند تساقط الأمطار حمض الأوزون الذي يشكل بدوره مع التربة أملاح (الأزوتات) أو « النترات » الهامة لتغذية النباتات . إلا

أن المفعول المفيد لهذه الأكاسيد قد انعكس في العصر الحديث عندما تدخل الإنسان وبدأ يشغل ملايين الآلات والعربات التي ملأت أرجاء الأرض وخاصة نصفها الشمالي . فجأة تغير كل شيء فعنصري الكبريت والأزوت اللذين اختزنا في الوقود الأحفوري خلال ملايين السنين نجدهما اليوم يعودان إلى الجو بسرعة بالغة هي سرعة احتراق قطعة من الفحم أو كمية من البترول . وأثبتت الإحصائيات أن محطة واحدة من محطات إنتاج الطاقة الكهربائية التي تعتمد على إحراق الفحم الحجري تطلق من ثاني أكسيد الكبريت كل عام أكثر مما انطلق من يركان (سانت هيلينز) (*) الذي حدث في ١٨ مايو (أيار) ١٩٨٠ م ، في ولاية واشنطن الأمريكية والذي قدرت كئلته بـ (٤٠٠٠٠٠) طن .

والكميات الكلية من غاز ثاني أكسيد الكبريت وأكاسيد الأوزون التي تنطلق من المصانع والآلات في أمريكا وأوروبا مذهلة . ففي سنة ١٩٨٠ م ، أطلقت الولايات المتحدة في الجو أكثر من (٢٦) مليون طن من ثاني أكسيد الكبريت بالإضافة إلى (٢٢) مليون طن من أكاسيد الأوزون . أما كندا فأطلقت خمسة ملايين طن من الغاز الأول ومليون طن من الثاني . وخلال العام المنصرم أطلقت دول أوروبا وأمريكا وكندا ما مجموعه (١٠٠) مليون طن من ثاني أكسيد الكبريت . وهذه الأرقام تعكس بوضوح خطورة الوضع على البيئة ، وتبرر ما صرح به عالم التربة السويدي سڤانت أودن Svant Oden عندما قال : « إن الأمطار الحمضية أصبحت تمثل حرباً كيميائية حقيقية . . ؟ » . وأدت الدراسات التي قام بها (أودن) في شمال أوروبا ، وكل من ليكنز Likens ويورمان في أمريكا إلى التأكد من وجود الرواسب الحمضية بتركيز عالٍ في التربة والبحيرات والأنهار وكميات فاقت حد التصور .

وحتى عدة عقود مضت كان يقتصر تلوث الهواء بالأكاسيد الحمضية على المدن والمناطق الصناعية ، إلا أن النمو الاقتصادي والصناعي السريع الذي أعقب الحرب العالمية الثانية صاحبه ازدياد مضطرب في استعمال الوقود الأحفوري مما ضاعف من مشكلة تلوث الجو ، وجعل من أي أسلوب حلها لن يكون إلا على حساب الزيادة في مشكلة التلوث لأن المواد الكيميائية لا تحارب إلا بمواد كيميائية أخرى يكون لها بدورها تأثير خطير على البيئة . لذا اكتفت وكالة حماية البيئة الأمريكية سنة ١٩٧٠ م ، بإصدار قانون يلزم المصانع ومحطات الطاقة الكهربائية بزيادة ارتفاع المداخل التي يطلق منها عادم الاحتراق إلى الجو . وهذا من شأنه أن يبعد الغازات الملوثة نسبياً عن مواضع تشكلها . واليوم نجد هذه المداخل في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا ترتفع إلى أكثر من ٣٠٠ متر في بعض المصانع . وتعتبر هذه المداخل أهم منابع غاز ثاني أكسيد الكبريت . إذ تبين أن مدخنة واحدة في أحد مصانع أونتاريو Ontario في كندا تطلق يومياً (٢٥٠٠) طن من هذا الغاز . وبعد أن قام مسؤولو المصنع بإجراءات خاصة خفضت هذا الرقم من (٧٠٠) طن يومياً . مثل هذه المداخل العملاقة من شأنها أن تساهم في زيادة التلوث في جو الأرض بشكل عام وتجعل منه مشكلة عالمية .

وأظهرت الأبحاث أن إحراق طن واحد من الفحم الحجري يحرق (٩٠) كيلوغراماً من ثاني أكسيد الكبريت . بينما لا يحرق إحراق طن من البترول سوى سبعة كيلوغرامات منه . وهذا ما جعل وكالة حماية البيئة الأميركية توصي بالتخلص من المخططات التي تعمل على تحرير الطاقة من الفحم الحجري .

الكشف عن التلوث بالأحماض

في سبيل الكشف عن جزيئات الغازات الحمضية تستخدم مناطيد خاصة تنطلق في الفضاء لمتابعة عينات من الكتل الهوائية والرطوبة من أجل تحليلها وتحديد نسبة الأكاسيد الحمضية فيها . وتساعد العقول الإلكترونية في تحليل المعطيات . وثبتت هذه المراسد في مواقع كثيرة وأمكن بواسطتها التعرف على درجة التلوث الجوي في (٣٢) ولاية أميركية و (٥٥) منطقة في كندا . وأثبتت النتائج أن المناطق الشرقية من الولايات المتحدة وغالبية المناطق الجنوبية الشرقية من كندا تتلقى كميات هائلة من الرواسب الحمضية ذات التركيز العالي . وحيث يتراوح هذا التركيز في مياه البحيرات بمقياس (قوة تركيز شوارز هيدروجين Phscale) ما بين (٤,١ و ٤,٦) ، بينما تبلغ قيمة PH للماء الصافي (٧) تتناقص هذه القيمة إلى الواحد كلما زادت حمضية المحلول وترتفع إلى (١٤) كلما زادت قاعدية .

وفي بعض مناطق أميركا سجلت درجات حموضة خطيرة . ففي ولاية (بنسلفانيا) بلغت قيمة PH (٢,٧) في بعض البحيرات . أي ما يعادل درجة حموضة (الخل) . وغرب ولاية (فرجينيا) سجلت قيمة PH (١,٥) أي ما يعادل حموضة عصير الليمون ...!! .

تأثير الأمطار الحمضية على المحيط

أدت أبحاث قام بها الدكتور (كارل شوفيلد) سنة ١٩٧٧م ، في بحيرات (أديرونداك) حول سبب انقراض الأسماك ، إلى تقديم مفاجئ يظهر التأثير السام للمياه الحمضية على مختلف الأحياء . إذ لاحظ أن حمضية المياه تسبب انحلال الكثير من الشوارد المعدنية الموجودة في التربة في مياه البحيرات والأنهار . وأهم هذه المعادن الألمنيوم والزنك والرصاص ، وهذه المعادن تؤثر ساماً على الأحياء المائية ، إذ يؤدي تجمع شوارد الألمنيوم في خياشيم صغار الأسماك إلى إفرازها المفرط لمواد مغذية تؤدي إلى اختناقها . وينتشر هذا الضرر ليصيب المحاصيل الزراعية والحيوانات البرية والمياه الجوفية وصحة الإنسان نفسه . وأظهرت الدراسات أن الرياح التي تحمل الغيوم المحملة بالأكاسيد الحمضية ترحف من وسط أوروبا نحو الشمال وخاصة نحو (النرويج) حيث تبلغ قوة الحموضة (٤,٤) في بعض البحيرات التي أصبحت خالية من أسماك «السلامون» . وفي الشتاء تتساقط الثلوج بما تحمله من أحماض متجمدة فيكون الجليد على هذا النحو كقطع الإسفنج المنتشرة بالحموض . وعندما يجل الربيع يذوب الجليد فتجري المياه الحمضية في جداول عبر التربة

لتذيب الشوارد المعدنية السامة ثم تصب في البحيرات مما يؤدي إلى تغيرات كيميائية مفاجئة كافية للقضاء على الأسماك . وهذا ما يفسر ظاهرة كثرة العثور على الأسماك الميتة في الربيع . ويؤدي اختفاء الأسماك من البحيرات إلى ازدهار بعض الحشرات والأحياء المائية الصغيرة التي تعد الغذاء الرئيسي للأسماك . ولكن هذه بدورها تختلف درجة تأثرها بالحموض . فالأنواع من الحشرات والنباتات التي بإمكانها تحمل زيادة الحموضة تزدهر وتتكاثر بسرعة . وتلك التي لا تتحمل الحموضة تنقص أعدادها ، وهذا ما يحدث لأغلب النباتات المائية . وقد يفسر ذلك مظهر مياه البحيرات الملوثة بالأحماض حيث تبدو شديدة الصفاء لأن اختفاء النباتات المائية يسمح لضوء الشمس باختراق المياه بسهولة .

وتؤثر المياه الحمضية على النباتات المائية الكبيرة ، إذ تضمحل الزنايق المائية بينما تزدهر طحالب الإسفاغنون Sphagnum Mosses والطحالب الخيطية Filamentous Algae . وهكذا نجد أن حموضة مياه البحيرات لا تؤدي إلى موت كل الأحياء ولكنها تعمل على تناقص أنواعها مما يؤدي إلى اختلال كبير في عامل التوازن الغذائي بالنسبة للأحياء المائية التي غالباً ما تتغذى على بعضها .

وإذا كان من السهل دراسة تأثير زيادة الحموضة في مياه البحيرات على الأحياء ، فإنه من الصعب معرفة تأثيرها على الغابات والمحاصيل والحيوانات البرية . ولهذا لا توجد حتى الآن إحصاءات مؤكدة حول تأثير الأمطار الحمضية على المحاصيل . ولكن من المعروف أن حموضة الأمطار تلعب في هذا الشأن دور السلاح ذو الحدين ، إذ بالرغم من الآثار الضارة التي تخلفها في التربة إلا أنها تشكل في نفس الوقت مصدراً من مصادر إغناء التربة بالأزوت والكبريت وهي عناصر هامة في تغذية النباتات . والتجارب المخبرية التي أجريت في هذا الشأن أعطت نتائج متباينة فبعض هذه الدراسات بينت حدوث تناقص في المحاصيل وأبحاث أخرى بينت عدم تأثرها وأخرى أثبتت أن الأمطار الحمضية تؤدي إلى تزايد بعض المحاصيل . إلا أن أغلب العلماء يجمعون على أن الترسيب المستمر للأحماض في التربة لا بد أن يفضي إلى إصابة النباتات بأضرار بالغة على المدى البعيد .

وفيما يخص تأثير الأمطار الحمضية على الغابات فإن الدراسات التي قام بها العلماء حتى الآن لا تكفي بدورها لإعطاء حكم صحيح نظراً لأن نظام النباتات الغابية تحكمه ظروف بيولوجية معقدة تختلف كثيراً عن تلك التي تحكم حياة النباتات التي يزرعها الإنسان . وخلال ست سنوات من التجارب يؤكد الدكتور (فولك أندرسون) من الجامعة السويدية للعلوم الزراعية أن أشجار الصنوبر قد ازداد نموها بتأثير الأمطار الحمضية وخاصة في المناطق التي تتميز بترتها الفقيرة . إلا أنه يؤكد أن الأضرار التي تسببها هذه الأمطار لن يظهر أثرها إلا بعد مضي وقت كافٍ وستلحق بالثروة الغابية خسائر خطيرة .

وفي ألمانيا الغربية بينت الدراسات في الكثير من الأحوال تلف جذور الأشجار نتيجة ترسيب الحموض وهذا ما أدى إلى تناقص كبير في نموها .

هذه نسب تلوين شعر الإنسان باللون الأخضر عندما يستنجم بهذه المياه .

القنابل الثلاث الموقوتة

يجمع العلماء أن عصرنا الحالي تهدده ثلاث قنابل موقوتة تتمثل في :

(١) الأمطار الحمضية .

(٢) التلوث بالمواد الكيميائية السامة .

(٣) تزايد نسبة غاز ثاني أوكسيد الكربون في الجو .

ويقولون إن هذه الأخطار آخذة في التزايد سنة بعد أخرى طالما أن حاجة الإنسان إلى إحراق الوقود آخذة في التزايد .

ويتساءل الخبراء الآن : هل من حل لهذه المشكلات ؟ وهل ستتمكن الدول والشعوب بالتعاون مع بعضها من وضع القوانين التي تضمن العيش ضمن «هواء نقي» ؟...

الإجابة تبقى مرهونة بنتائج الأبحاث المتواصلة التي ينكب عليها العلماء في المعاهد وجمعيات ووكالات حماية البيئة ، وخاصة في تلك الدول التي أصيبت بداء التلوث إلى درجة أصبحت تهدد الحياة فيها ، إلا أننا نجد المتشائمين أكثر من المتفائلين في إمكانية الوصول إلى حل . ويرى بعض العلماء أنه إذا كان من الصعب القضاء على التلوث فإن من الضروري العمل على وقف الزيادة من حدته قبل فوات الأوان .

ويتساءل العالم النرويجي (لاوس أوفراين) : كيف سيكون الحال عام ٢٠٠٠ ؟؟ .

وهل سننعم في نهاية هذا القرن برؤية الأشجار الخضراء والطيور المغردة والأنماك التي تقفز فوق الماء... ؟؟ .
أم أن الربيع سيكون صامتاً تماماً... ؟؟ .

المراجع

Ref:

« Acid Rain- How great a Menace? ».

By « ANNE La BASTILLE ».

« National Geographic » - Vol 160 - No 5 November 1981.

الهوامش

(★) أهلة : طالع العدد (٥٨) من مجلة « الفصيل » موضوعاً مرسماً عنه .



وفيما يتعلق بتأثير الأمطار الحمضية على الأحياء البرية فقد أكدت الدراسات أن المخلوقات التي تتكاثر عن طريق وضع البيوض تصاب بأضرار بالغة بتأثير تفاعل محاليل المياه الحمضية مع قشور بيوضها الكلسية مما يتلف هذه البيوض أو يقلل من سمكها ويؤدي بالتالي إلى عدم تفقيسها . وهذا ما يؤثر بشكل خاص على الطيور المغردة . كما بينت دراسة قام بها (إريك نيولم) من جامعة (لوند) في السويد أن الطيور تصاب بالتسمم بالألمنيوم نتيجة تغذيتها بالخشبات الملوثة بهذا المعدن والتي تكون قد نقلته من البرك والبحيرات الحمضية . وأثبت تنريح بعض الطيور التسمم احتواء عظامها على كميات هامة من معدن الألمنيوم . وفي بولونيا تصاب الكثير من الغزلان البرية بالتسمم بالمعادن مما أدى إلى تناقصها بشكل كبير خلال العقدين الماضيين .

أضرار أخرى

لقد تركت الأبحاث الخاصة بالأمطار الحمضية العلماء يتساءلون بتخوف عن المستقبل فما لو استمرت المشكلة على ما هي عليه وخاصة بعد أن أثبتت أبحاث أخرى تأثيرها على المنشآت التي يبنها الإنسان كالأبنية والجسور ، إذ تبين أنها تؤدي إلى تآكل الجسور الحديدية وحتى الفولاذية . وكذلك تؤدي إلى سرعة تآكل أحجار البناء ، وخاصة القديمة منها ويعتبر الخبراء المتخصصين في الآثار هذه الظاهرة من أهم العوامل المؤدية إلى تآكل الأبنية والقطع الأثرية الشهيرة (كالأكروبول) في أثينا باليونان ، ومعبد (الكرنك) في مصر وأبي الهول ، ومبنى « الكابيتول » في الولايات المتحدة ، وحتى تمثال الحرية في نيويورك لم ينج من هذا التآكل... !! .

التأثير على الإنسان

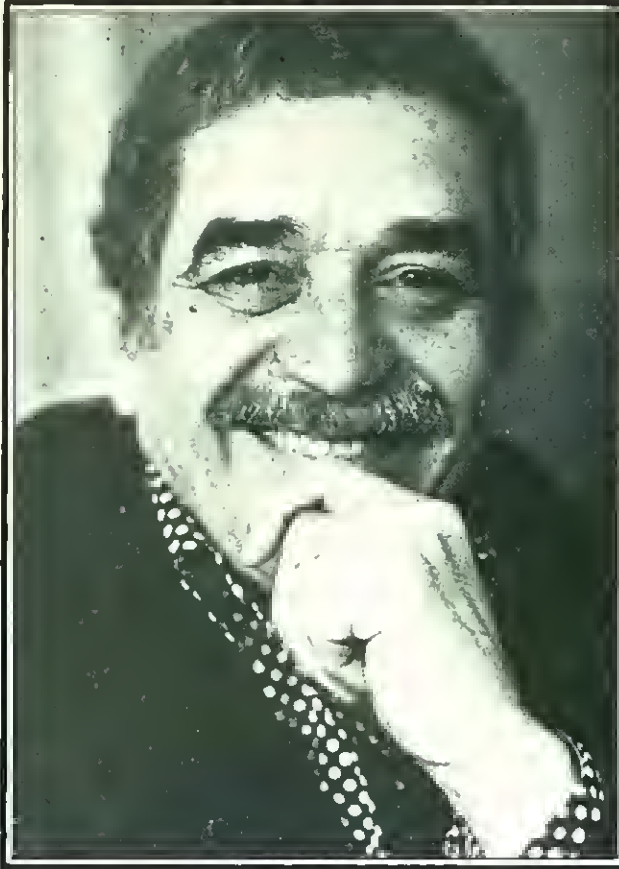
تؤثر الأمطار الحمضية على صحة الإنسان تأثيراً كبيراً . فالهواء الجاف المحمل بالأكاسيد الحمضية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأمراض التنفسية كالتهاب القصبات المزمن Bronchitis و « الربو » Asthma و « الانتفاخ الرئوي » Emphysema . وقد أشار الدكتور (ليونارد هاميلتون) من مخبر (بروك هافن) للأمراض الوبائية في دراسة نشرها عام ١٩٧٥ م ، إلى أن : « الأكاسيد الحمضية الناتجة عن إحراق الوقود الأحفوري هي المسؤولة عما يتراوح بين ٧٥٠٠ إلى ١٢٠٠٠٠ حالة وفاة كل عام في الولايات المتحدة » .

ويعتقد علماء آخرون أن الأرقام قد تكون أكبر من ذلك بكثير . وفي غرب السويد لوحظت ظاهرة إصابة الأطفال « بالإسهال » الذي يستمر لعدة أشهر . وكشفت الأبحاث أنه يعود إلى احتواء مياه الشرب على كميات كبيرة من شوارد النحاس التي تأتي كنتيجة لتفاعل المياه الحمضية مع المواسير النحاسية التي ينقل فيها الماء إلى المنازل ، ومركبات النحاس

أعلنت لجنة جائزة «نوبل» فوز الروائي الكولومبي «غابرييل غارسيا ماركيز» بجائزتها الأدبية لعام ١٩٨٢ م.. ويعتبر ماركيز الفائز رقم (٧٩) لجائزة نوبل للآداب منذ إنشائها عام ١٩٠١ م.. ويأتي ترشيح ماركيز لجائزة عام ١٩٨٢ م، مجموعة أعماله الروائية والقصصية.. وهو أول أديب كولومبي يفوز بهذه الجائزة، والرابع بالنسبة لأمريكا اللاتينية حيث فاز قبله «غابريلا ميسترال» عام ١٩٤٥ م، و «ميخيل أنجل أوسترياس» عام ١٩٦٧ م، و «بابلو نيرودا» عام ١٩٧١ م.

والمعروف أن قيمة الجائزة (١٥٠,٠٠٠) دولار، أعلن ماركيز أنه سيخصصها لإصدار جريدة يومية في بلده (كولومبيا) .. وقد كان ماركيز أحد المرشحين لهذه الجائزة منذ عشر سنوات .. وقد بعث إليه الرئيس الفرنسي «فرنسوا ميتران» برسالة تهنئة قال فيها: «بتأثير أحيي الصديق الشخصي. باحترام أحيي الروائي المنقطع في خيال شعوب العالم. بفخر أحيي رجل الفعل الذي أسندت إليه حكومتى رئاسة مجلس الشعوب الناطقة باللغات اللاتينية. إن تكريمك أبهج جميع الفرنسيين».

ومجلة «الفصل»
إسهاماً منها في تعريف قارئها بهذا الروائي بمناسبة فوزه بجائزة نوبل للآداب لعام ١٩٨٢ م، تنشر هذه الدراسة .. كما تنشر إحدى قصصه القصيرة بعنوان «نابو الزنجي» في مكان آخر من هذا العدد.



غابرييل غارسيا ماركيز

روائي العصر

بدأت الرواية في أمريكا اللاتينية - خلال السنوات الأخيرة - تحتل مكاناً بارزاً في الأدب العالمي .. فترجت روايات كتبها إلى مختلف لغات العالم .. ثم نشر غابرييل غارسيا ماركيز رواية «مائة عام من العزلة» في عام ١٩٦٧ م .. فأحدثت دويماً هائلاً في مجال الرواية واستقبلها النقاد والقراء بحفاوة بالغة، وترجت إلى معظم اللغات المعروفة، ودفعت بغارسيا ماركيز إلى طليعة الروائيين في العالم، وجعلت منه مليونيراً شهرة ومالاً .. حتى أنه طبع من روايته الجديدة «تاريخ موت معلن عنه» مليون نسخة في كولومبيا وحدها، وترجت إلى أكثر من اثنتين وثلاثين لغة أخرى.

من هو غابرييل ماركيز؟!

ولد غابرييل غارسيا ماركيز في مدينة

بقلم: حسين عيد

يكن متفوقاً، بل عزوفاً عن الدرس، ملولاً بالناهج وموادها. كما درس الحقوق أيضاً في جامعة بوغوتا.

نشرت له أول قصة قصيرة في الملحق الأدبي لجريدة اسبكتادور وهو في الثامنة عشرة من عمره، ثم كتب عدداً آخر من القصص، ونشرها في المجلات المحلية.

انضم إلى هيئة تحرير جريدة «اسبكتادور» وبدأ يكسب مالا من عمله، ثم أرسلته الجريدة إلى إيطاليا عام ١٩٥٤ م، لينقل الانطباعات المباشرة عن موت البابا بيوس الثاني عشر، لكن ماركيز بعث بتعليقات حول موضوعات أخرى ليؤخر عودته

«أراكاتكا» في كولومبيا في أمريكا اللاتينية وذلك في عام ١٩٢٨ م. عاش طفولته في مدينته الصغيرة. لا يكاد يتذكر ملامح أبويه. كان يجلس إليه أن أمه غائبة .. عرفها للمرة الأولى وهو في السابعة، فقد تركته لرعاية جديه، اللذين يتذكرهما كما يتذكر مخلوقات خرافية. وهكذا تعرف على العالم وعلى أسماء الأشياء، وجوهرها في بيت أجداده الكبير، فتعلق بجده وجدته التي ملأت خياله بالحرفات والأساطير.

درس في مدينته المرحلة الابتدائية، ثم انتقل وهو في الثانية عشرة من عمره إلى مدينة بوغوتا ليدرس في مدارس الجزويت، ولم

أسأل لماذا لا أعيش في كولومبيا؟
أجيب: من قال إنني لا أعيش في
كولومبيا؟ .. إنني غادرت الوطن.
ولكنني ما زلت أحيًا في كولومبيا. أعرف
حقيقة ما يحدث في الوطن. أنا على
اتصال دائم بواقع بلادي. أعرف
أخبارها من الرسائل. ترسل لي
قصاصات الجرائد. أنا مطلع على
ما يحدث هناك ..»

غارسيا ماركيز: كاتباً

تشكل الموجة الجديدة من الأعمال الأدبية
في أمريكا اللاتينية رافداً جديداً متطوراً من
الواقعية .. هو الواقعية السحرية، التي يعرفها
الدكتور صلاح فضل بأنها «تعبّر عن
رؤية كونية سحرية للعالم، رؤية
لا تاريخية ينمحي فيها الحدود بين
الأحياء والجماد، أو بين الثقافة
والطبيعة، حيث تكتسب الأشياء
والظواهر خواص وقدرات مميزة،
وحيث نشاهد جانباً من هذا الواقع
السابق على مبادئ العقل والمنطق
وقوانين السببية».

الكولونيل من يكتابه «واجهات المكتبات»
وفي عام ١٩٦٠م، وصل إلى المكسيك
حيث ساعده أصدقاؤه واختاروا له مسكناً في
إحدى الضواحي الجميلة، حيث استقر في
مكسيكو لمدة ثمان سنوات. كان يكتب فيها
للسينما لأن إبراد كتبه لم يكن يكفيه.
في عام ١٩٦٧م، نشر أعظم أعماله وهي
رواية «مائة عام من العزلة» فدرزت عليه
شهرة ومالا بلا حدود.

وفي نهاية نفس العام رحل إلى إسبانيا،
ليقرر في النهاية أن يعيش في برشلونة، وهو
يقول عن هذا القرار: «كانت هذه فرصتي
لأقيم في برشلونة، فقد كنت قادراً على
العيش من إبراد كتبتي، وأشبع نهيمي
في أن أظل أقرأ وأكتب ..»

وهكذا يعيش غارسيا ماركيز مغترباً عن
وطنه، لكنه يوضح الأمر بقوله: «عندما

كل عمل روائي جيد
هو سبر لأغوار العالم.

★ ماركيز مع ابنه وابنته ★



إلى أمريكا اللاتينية. التحق في هذه الفترة
بدراسة حول الإخراج في المركز السينمائي
التجريبي .. كما سافر خلال هذه الفترة إلى
عدد من البلدان الأوروبية والآسيوية.

في عام ١٩٥٥م، أغلظ غوستافو
روخاس بينيليا جريدة اسبكتادور،
فانقطع بذلك مورد الرزق الذي يسر له المعيشة
في باريس .. فبعثت له الجريدة تذكرة عودة،
لكن ماركيز استرد ثمنها، وعكف على كتابة
روايته الثانية «ليس لدى الكولونيل من
يكتابه». فصرف كل مدخراته. ولم يكن
يستطيع أن يعمل دون بطاقة عمل ودون أن
يعرف الفرنسية، فكان يقوم بتوضيب الصحف
وبيعها، أو يبيع الزجاجات الفارغة. كما أخبر
صاحبة فندق فلاندر وزوجها (بياريس)
بعدم قدرته على الدفع، فسمح له بالنوم في
غرفة على سطح الفندق، حيث مكث فيها لمدة
عام آخر .. ويعترف غارسيا ماركيز أنه
بفضل تفهم صاحبة الفندق استطاع كتابة رواية
«ليس لدى الكولونيل من يكتابه».

في عام ١٩٥٨م، تزوج من مرسيديس
التي ظلت تنتظر عودته لمدة أربعة أعوام، والتي
أنجب منها فيما بعد ولدين هما رودريغو
وغونزالو .. وعمل في الصحافة في
كاراكاس في مجلتي «إيليت»
و«مومنتو». كتب خلال هذه الفترة رواية
«الساعة السيئة» وكتب جزءاً من رواية
«جنازة الأم الكبرى».

اختاره كاسترو بعد دخوله هافانا؛
لينشئ مكتباً لوكالة الأنباء الكوبية الجديدة
«برانسا لاثينا»، وهكذا عمل في
كاراكاس ثم في نيويورك حيث حضر الجلسة
الشهرة التي دق فيها خروشوف على الطاولة
بجذائه في الجمعية العامة لهيئة الأمم
المتحدة. كما أتاح له عمله أن يتعرف على
تشي غيفارا .. لكنه استقال بعدئذ ليتفرغ
لإنتاجه الأدبي، خاصة وقد بيعت ثلاثون
ألف نسخة من روايته الأولى «عاصفة
الأوراق» وملاّت روايته «ليس لدى

● البيئة الخاصة لأميركا

اللاتينية : حيث يتسم واقعها بمرارة قاسية ، ويتلفع فيه الواقع اليومي بالأساطير والحكايات المتوارثة والمشاهد المرتبطة بالطبيعة . . وغارسيا ماركيز مقتنع - من هذه الزاوية - بأن كل ما كتبه له قاعدة واقعية .

● الصحافة : أناد ماركيز عمله

الصحفي في توفير عنصرى الإيجاز والمباشرة والأهم من ذلك ساعده على اقناع القارئ بصدق ما يروي . . وهو في ذات الوقت كان واعياً بخطورها فاستطاع الابتعاد عنها في الوقت المناسب .

● حرية الإبداع : يتناول غارسيا

ماركيز أعماله الأدبية من منظوره الخاص ، الذي يتميز بمخيلة جبارة لا يمكن أن يحدها أي قيد . . ومن هذا المنطلق يبدو تأثيره بأدب سرفانتيس خاصة ، ونجاحه في اختراع عالم كان كل ما فيه ممكناً .

● السينما : يرى غارسيا ماركيز أن

تجربته في السينما ضخمت إمكاناته الروائية حيث جعلته يدرك ليس ما يقوم به الكاتب فحسب ، بل ما يجب أن يقوم به كذلك . وبدا له أن سيطرة الصورة على عناصر روائية أخرى ، ليست ميزة فحسب ، وإنما هي تحديد لها . . ولقد بهره هذا الاكتشاف ، فأدرك أن الإمكانية الروائية غير محدودة .

● أعمال ماركيز الأدبية

أعمال الكاتب غابرييل غارسيا ماركيز

التي نشرت حتى اليوم هي :

● رواية «عاصفة الأوراق» عام

١٩٥٥ م .

● رواية «ليس لدى الكولونيل من

يكتبه» عام ١٩٥٧ م .

● مجموعة قصص «جنازة الأم

الكبرى» عام ١٩٦٢ م .

● رواية «الساعة السيئة» عام

١٩٦٢ م .

الكاتب الذي يجيد ما يعمل يحاول ألا يشبه أحداً ، وأن يلغي تأثيره بكتابه المفضلين .

يكتب جيداً ، ولا أقصد الصدق فحسب ، وإنما أن يكتب منسجماً مع معتقداته الراسخة .

● ما أفكر به هو أن التواضع في مهنة الكتابة ، فضيلة ضئيلة القيمة ، لأنك إذا ما جلست لتكتب بتواضع فلنك ستبقى كاتباً في مستوى متواضع ! .

● عمل الكاتب أن يكتب ، لا أكثر من ذلك . أرفض أن أساعد الناشر في برنامجه الدعائي . فهل يساعدني الناشر في كتابتي ؟ ! .

● أنا أعتقد بأن الكاتب يستطيع أن يقول كل ما يخطر له إذا كان بإمكانه جعل الناس يصدقون ما يقوله . والمؤثر الذي يجعلنا نعرف إذا كان الناس سيصدقون ما نقوله ، هو قبل كل شيء : أن يصدق الكاتب نفسه ما يقوله ! .

● على الكاتب أن يكتب معتمداً على واقعه الخاص ، وليس ثمة مناص من هذا ، فالكاتب الذي لا يستلهم واقعه الخاص وتجاربه الخاصة ، هو كاتب سيئ ويسير في طريق خاطئ ! .

● إن دور الأدب في التغيير محدود ، لكنني أعرف أنه يترك أثراً في أقل الناس تفاعلاً مع الحياة ، لذلك فإن الخيال المبدع والكتابة الفنية يسلحان الناس بالأمل والقدرة على التحكم والإدانة ! .

● مؤثرات عالم ماركيز القصصي

تأثر عالم ماركيز القصصي بعدد من المؤثرات التي ساعدته وظهرت آثارها في أن ينتج أدباً متميزاً له مذاق خاص . . من هذه المؤثرات :

ويعدد الكاتب الكوبي اليخو كاريتيير

أهم أسباب هذه الظاهرة وهي : بكاره المناظر الطبيعية والغابات العذراء ، صياغة الإنسان من الناحية الكونية ، حضور العنصر الهندي الرهيب ، والأسود الغريب . خصوصية المولدين فيها ، وأخيراً غرابة اكتشافها الحديث . . مما جعل أميركا اللاتينية شلالاً يتدفق بالسحر والأساطير .

كما أشار اليخو كاريتيير إلى أن الرواية الإسبانية - الأمريكية المعاصرة « بالرغم مما يراه البعض فإن الخيال الجامح فيها يرجع إلى محافظة الروائيين على مفردات ومصطلحات كانت متداولة في إسبانيا خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر » .

ويعترف غارسيا ماركيز صراحة بأنه « ليس من المعجبين بالرواية الإسبانية . ولكن إذا كان الحديث يدور عن سرفانتيس وأدب الصعلكة ، فإنه ليس أمامي من مفر . . فهذه هي الرواية الإسبانية العظمى » .

وهذه مقتطفات من آراء ماركيز تلقي الضوء على مفهومه للرواية ، والكاتب ، ومهمته ، وأثره . . :

● العمل الأدبي هو عمل فردي محض ، وأكثر من ذلك إنه العمل الأكثر فردية في الدنيا . لا أحد يستطيع مساعدتك في كتابة ما تكتبه ! .

● كل رواية جيدة هي سبر لأغوار العالم ! .

● الرواية المثالية : هي رواية حرة مطلقاً ، لا تقلق بمضمونها السياسي والاجتماعي فحسب ، وإنما تقلق بقدرتها على فهم الواقع . ومن الخير أن تكون قادرة على عكس صورة الواقع حتى تظهره على حقيقته من وجهة الآخر .

● الكاتب الذي يجيد ما يعمل ، يحاول ألا يشبه أحداً ، وأن يلغي تأثيره بكتابه المفضلين فلا يقلدهم .

● إن واجب الكاتب السياسي الأول أن

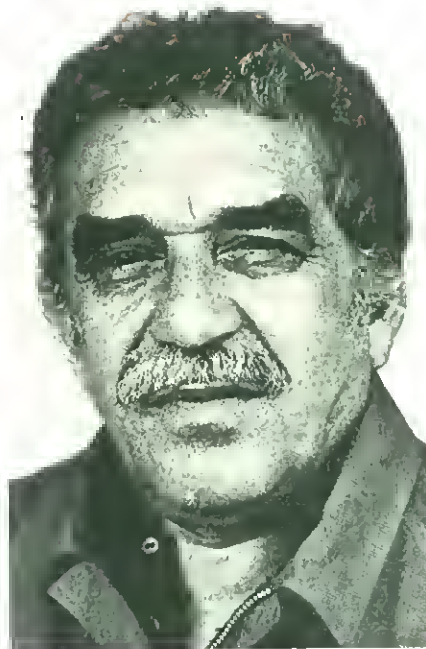
تعتبر أشهر رواياته على الإطلاق . . وهي تحكي قصة حياة قرية خيالية هي ماكوندو . . وهي رواية دائرية مليئة بالحركة ، وكما يقول عنها الناقد ميغيل فرنانديز براسو « الرواية نشيد الحرية الفردية ، والتحرر من أفكار سلفية لا شعورية ، والرواية هيولى نظمها مغناطيس ذاتي ، تتشابك فيها الظلال والكلمات المألوفة ، بزخارف وأصداء مختلفة الألوان ، يطبعها الطابع الإنساني الشامل ، الرواية اهتزاز عجلة الحياة المضطرد ، تصور وجوه الحياة الحقيقية والكاذبة ، وترجم فترات الصمت والدهشة ، وتعرض الوهم المغسوس ، وترسم المدى الخيالي الذي يمكن أن يبلغه الواقع » .

أما رواية « خريف البطريق » فقد عالج فيها موضوع الحاكم المستبد ، لحظة اكتشاف موته في بداية الرواية ، ومعاناته من قسوة العزلة واليأس والتفرد ، لنتهي الرواية بلحظات احتضاره . . فالرواية تقدم رؤية فنية لمدى خواء عالم الحاكم المستبد ، وأنه محكوم عليه في النهاية بالموت والانذار .

أما روايته الأخيرة « تاريخ موت معلن عنه » فيعتبرها غارسيا ماركيز أحسن رواياته . وهو يرجع مولدها إلى ثلاثين سنة ماضية ، من نقطة بداية واقعية هي حادثة قتل في إحدى قرى كولومبيا . وقد كان قريباً جداً من أبطال المأساة . إلا أن أمه طلبت منه ألا يكتب هذه الرواية ما دام أبطالها على قيد الحياة . . وعندما توفي أبطال الرواية بدأ كتابتها . وقد نتج عن هذا الواقع رواية لا صلة لها به .

وهكذا يضيف الكاتب الكولومبي غابرييل غارسيا ماركيز إضافات جديدة إلى الرواية العالمية . . ترتقي بها نحو مدارك عالية . . وتسليح قراءها - في ذات الوقت - بمزيد من الوعي بالواقع ، والتطلع بأمل نحو المستقبل .

عمل الكاتب أن يكتب لا أكثر من ذلك ، أرفض أن أساعد الناشر في برنامج الدعاية ، فهل يساعدني الناشر في كتابتي ؟



لست من المعجبين بالرواية الإسبانية ، ولكن إذا كان الحديث يدور عن سرقانتيس ، فإنه ليس أماعي من مفر ، فهذه هي الرواية الإسبانية العظيمة .

● رواية « مائة عام من العزلة » عام ١٩٦٧ م .

● مجموعة قصص « الحكاية الحزينة التي لا تصدق لايروندير الساذجة » ، وجدتها الخاتمة القوي عام ١٩٧٤ م .

● رواية « خريف البطريق » عام ١٩٧٥ م .

● رواية « تاريخ موت معلن عنه » عام ١٩٨١ م .

يقرر غارسيا ماركيز أنه اضطر أن يكتب « مائة عام من العزلة » حتى تنال رواية « ليس لدى الكولونيل من يكتبه » حقها من الشهرة . . وهي تحكي بقدر رهيب من المראה والشاعرية حكاية كولونيل يبلغ من العمر خساً وتسعين عاماً . . ينتظر كل يوم جمعة أن يأتيه البريد بمعاشه التقاعدي . وهو يعي أن رفاهه قد ماتوا وهم ينتظرون .

ويعيش الكولونيل مع زوجته في فقر مدقع خاصة بعد أن مات ابنه الوحيد مطعوناً في حلبة مصارعة الديكة ، لأنه كان يوزع منشورات سرية . . لكنه يشعر بصعوبة الاحتفاظ بالديك الموروث عن ابنه ليدخل به مصارعة الديكة التي ستجري في يناير (كانون الثاني) . . وهو يذهب كل يوم جمعة إلى الميناء النهري ، ينتظر مركب البريد . إنه ينتظر منذ خمسة عشر عاماً . ثم يأتي موظف البريد ليخبره « لا شيء للكولونيل » . . فيشعر العجز بالخجل ويتابع : « ليس لدي من يكتبني » .

وناضل العجز فيعمل على استبدال الخامي . لكنه يضطر - إزاء مشاكل الفقر المتراكمة - أن يبيع الديك ، فيكتشف استغلال صديقه لحاجته . لكنه يتمسك ثانية بالديك ، ويصر على عدم بيعه ، فهو يخص القرية كلها ، كما يرتبط الديك بابنه المفقود . . يصبح الديك هو المعنى الوحيد في حياته المليئة بالعذاب والمعاناة . . ويستمر الكولونيل في الانتظار .

أما رواية « مائة عام من العزلة » فهي



قلب شاعر

شعر: فتحي سعيد

وأوى إلى وكر غريب المشاعر
ترصده في كل خطو وخاطر
بناب وحسن فاغر الفم كاسر
قد اختفتا خلف اللهسى والحناجر
نميمة سم .. لا نميمة ساحر
تلظت بلبيل أسود الوجه كافر
واحتال كي تأتي لأقنع ناظري
على خجل تسمى لوقع المزاهر
تخطفني في الليل سرب السدياجر
بناري وأشعاري وأطياف سامري
حنانيك وارحم ليل هذا المكابر
عليّ بسلطان ولا هو آسري
وأسرج خيلي صاعداً غير غائر
إذا كان بين الناس قلب لشاعر

تقول التي عن وكرها طار طائري
يلوذ به في الليل من شر راصد
يدب بلا ساق ويمشي بلا خطى
كأنى به عينان في جبهة الدجى
تفحان مثل الجمان في كل قطرة
ففي كل عين جمرة من جحيمها
وما زلت أرميها بسهم وغنوة
إلى أن تلتوت وانحنت ثم أقبلت
فقلت: دعيني لست أنت التي إذا
بصاحبتني تصفني إلى وتصطلي
فيا وهج العنقود والشعر في دمي
سأشدو كما أهوى وليس لصاحب
وأرسل رمحي راحماً غير واغل.
ومن ذا الذي يقوى على قلب عاشق

السجل بين

الخرابيش

بقلم: خليل محمد الشيخ خليل



* مصطفى وهبي التل *

(البديوي الملم)، وهو صديق الشاعر يقول :
«وعلى مدى معرفتي الطويلة بـ (عرار) أقرر
للتاريخ أمراً لا بد من تقريره ، والتنويه به ، وهو
أنه كان على جانب عظيم من سعة الاطلاع
والأفق ، وكثيراً ما كانت ندور بيننا مساجلات
حادة في نظريات (داروين) و (سبنسر) ،
وتعاليم (تولستوي) ، والتطور الاجتماعي ،
وأصل الحياة والكون والأمواج والظواهر الجوية
والكون والجنة والنار . فكان مصطفى الفارس
المُجلّي ، يدلك على هضمه النظريات الحديثة
(مكتبة) حافلة بأهميات الكتب الصفراء والبيضاء
يوم كان (شرقي الأردن) في قحط من الكتب
والجلات»^(١) .

فهذان الرأيان ؛ هما من خلال علاقات
شخصية وانطباعات عامة خارجية ، ومن حقنا أن
نتجاوزها إلى شعره ، لنرى مدى تأثر الشاعر
بالتيارات الشعرية العربية من حوله . صحيح أن
هذا التجاوز يوهم بإهمال ما يمكن أن يضيء لنا
هذه السبيل . ولكن الباحث يجد نفسه مضطراً ،
لأن الدراسات التي كتبت عن عرار اقتصرت على
الدراسة الخارجية لشعره ، واستخدمت شعره وثائق
تحاكمه على ضوء مرحلته التاريخية ، أو تحاكم
مرحلته التاريخية من خلاله .

المواكب .. وبين الخرابيش

وقد يقال إن التشابه بين عرار وجبران أمر
طبيعي ، فكلاهما شاعر روماني ، رافض لكثير
من قيم المجتمع السيئة كالكذب والتزوير والنفاق
والظلم ، والعبودية . والرفض هذه المساوئ ومحاوله

تتمثل فكرة الغاب عند جبران خليل
جبران ، أكثر ما تتمثل في قصيدة
«المواكب» ، التي نظمها عام ١٩١٨ م ، أما
الخرابيش فهي جمع خربوش ؛ وهي لفظة
عامية أردنية ، تعني الخيام التي كان
«النّور» يسكنونها . وهي على عاميتها
قوية الدلالة لأن مصطفى وهبي التل
(عرار)^(٢) ، كان يستخدمها في القصيدة
«بين الخرابيش» على نحو لافت للنظر .
وهو في هذا الاستخدام يكشف عن دلالة
نفسية .

والغاب عند جبران «صورة
للمطلق ...» و «يوتوبيا» تتمثل فيها
الوحدة والسعادة»^(٣) ، وهو تقبض للمجتمع
وما فيه من ظلم وعبودية ، والخرابيش عند عرار ،
تقبض هي الأخرى للمجتمع ، فهي تخلو - كما
يرى - من الكذب والتزوير ، وتخلو من الفوارق
الطبقية أيضاً . فمن هنا يتشابه عرار مع جبران في
عمومية التوجه ، فكلاهما شاعر رومانطيقي ، مهاجم
للمجتمع الذي يعيش فيه . لكنهما مختلفان في
دوافع هذا التوجه وفي تفصيلاته . فاشتراكهما في
عمومية التوجه ، لا يعني النطاقين أيضاً ، لأن ثمة
فرقاً واضحاً بين الشاعرين ، يرجع إلى الاختلاف
السيكولوجي ، والثقافي ، كما يرجع إلى اختلاف
الظروف الموضوعية بينهما .

رايان متناقضان

لكن المقارنة بين الغاب عند جبران ،
والخرابيش عند عرار ، تواجه معضلة ، فإن دارسي
عرار لم يسيروا إلى تأثر عرار بشعر المهجر ، بل
اطلاعه عليه . فالأستاذ محمود المطلق ؛ صديقه
وتلميذه يقول في معرض الحديث عن ثقافته :
«لم يكن مصطفى واسع الثقافة والاطلاع
والعرفة ، وإنما كانت معارفه بسيطة وثقافته
محدودة ، فقد تلقى في صباه تعليماً يعادل التعليم
الثانوي ، إن لم يقل عنه ... ولم يحاول فيما بعد أن
بوسع ثقافته كثيراً ، وأن يطلع على المذاهب
الفكرية الحديثة في العلوم والفنون والآداب ، ولهذا
كان مستوى ثقافته أقل كثيراً من مستوى ذكائه
الفطري»^(٤) .

والأديب الأردني ، يعقوب العودات

تحرير المجتمع منها ، وإيجاد البديل خصائص مشتركة
في الأدب الروماني . وهذه المقولة صحيحة ،
لكنها غير كافية لتفسير هذا التشابه . فإذا كان
جبران يقيم في «المواكب» ، موازاة بين المجتمع
والغاب ، يدعو فيها إلى هجر المجتمع والعودة إلى
الطبيعة ، فإن عراراً وهو يقيم مثل هذه الموازاة ،
لا يريد هجر المجتمع إلى خرابيش النّور ، ولا يريد
استبدال المجتمع بالخرابيش ، ولكنه يأمل في إصلاح
المجتمع على ضوء القيم التي يحاول تجسيدها في ذلك
المجتمع . وهذا يعني أن تأثر التل بجبران
- كما سنوضح - لم يفقده شخصيته المتميزة ، بل
استطاع أن يتخذ أدواته ورموزه من العالم المحلي
الذي يحيط به . فالتشابه بينهما لم يكن محض
مصادفة ولعل ذلك يعود إلى ما يلي :

(١) أن قصيدة «المواكب» نشرت سنة
١٩١٨ م ، وأثر نشرها استحساناً وسخفاً لدى
الكثيرين في العالم العربي^(٥) ، أما قصيدة عرار
«بين الخرابيش» فقد نظمت سنة ١٩٣٩ م ،
وهذا يعني أن ثمة فاصلاً زمنياً بين نظم القصيدتين
يتيح لعرار فرصة لقراءة القصيدة والتأثر بها .

(٢) أن قصيدة عرار «بين الخرابيش» من
القصائد المطولة فهي (أربعة وسبعون بيتاً) ،
وهي تختلف اختلافاً واضحاً عن بقية قصائد
عرار ، في طوبها ، وفي تسمية أجزائها . وهذه
التسمية لافتة هي الأخرى للنظر ، لأنها تكشف

وجبران

.. والمواكب



★ جبران خليل جبران ★

الناس بين جبران والتل

يفتح جبران قصيدته بالحديث عن الناس ، وهو يرى أن الشر في الناس موجود بالفطرة ، وأن الخير فيهم موجود بالقوة ، ويرى أنهم — على أحسن الاعتبار — قطع ، يسير فلا روية ولا منطق . فيقول :

الخير في الناس مصنوع إذا جُبروا
والشر في الناس لا يفنى وإن قُبِروا
وأكثر الناس آلات يسير بها
أصابع الدهر يوماً ثم تنكسر
فلا تقولن هذا عالم علتم
ولا تقولن ذاك السيد الوقر

فأفضل الناس قطعان يسير بها
صوت الرعاة ومن لم يمش يندثر

أما عرار فيتحدث عن الناس ، ويرى أنهم عبيد للقوى ، يلثمون يد من سامهم خسفاً ، حتى فيهم روح القطيع . يقول :

الناس ما الناس عبدان القوي بهم
ما بالطية من مهاز مغوار
يزجون من سامهم خسفاً وأرهقهم
عسفاً تحمات اجلال وإكبار
ويضفرون بأيديهم لقاطعها
حرصاً على البغي اكليتين من غار
حتى يحارون تياراً ومجتمعاً
وأمة وشموباً كل تيار
فالشاعران يشتركان في الموقف السلبي من الناس ، هذا الموقف الذي يرى أن الداء يكن في طبيعة الشعب ، لأن نزعة الشر المتأصلة والمتغلبة

عن رغبة واعية للشاعر في بناء قصيدته على نحو هندي واضح منظم . وهذا هو توزيعها :

- ١ - ٨ منية المتني .
- ٩ - ١٦ طرد الهوى .
- ٧ - ٢٣ انصاف ياهو .
- ٢٤ - ٢٩ ينفلقوا .
- ٣٠ - ٣٦ ياشيخ .
- ٣٧ - ٤٢ المدينة الفاضلة .
- ٤٣ - ٥١ الناس .
- ٥٢ - ٥٧ سفايف العلم .
- ٥٨ - ٦٦ النعيم المقيم .
- ٦٧ - ٧٤ أوابد الأردن .

أما « المواكب » فهي من القصائد التي خضعت لبناء هندي أكثر دقة وإحكاماً من بناء القصيدة السابقة . ففيها صوتان : صوت يعدد نقائص المجتمع . وهذا الصوت يتحدث طوال القصيدة بوزن واحد هو (البحر البسيط) وقافية واحدة هي (حرف الراء) ، وصوت يعدد مزايا الغاب وهو صوت يتوحد فيه الوزن (مجزوء الرمل) وتنوع القوافي . « وإذا كان الالتزام بالوزن يؤكد المعنى تكراراً إيقاعياً ، فإن تنوع القافية يؤكد المعنى أيضاً . ولكن تنوعاً يدل على عالم الطبيعة وعدم رتابته وهو بذلك مقصود وموظف لغاية يحملها المعنى »^(٦) .

فالقصيدتان متشابهتان في الإعداد القبلي ، المسبق للموضوعات المتناولة فيها . وإذا كان هذا يتوافق مع طبيعة جبران الفنية ، فهو يتعارض مع طبيعة التل الفنية ، لأن أبرز خصائص هذه الطبيعة هي العفوية ، والبساطة في المضمون والشكل ، حتى ليقرب كثيراً من كلام الناس^(٧) .

على نزعة الخير ، هي التي تحول دون الإصلاح والتطوير . ولهذا تشابهه الترتان من خلال تشابه الوزن الشعري ، ومن خلال التعميمات ، والأحكام القاطعة الحادة .

وينبغي أن أنه إلى أن استخدام عرار لكلمة « الناس » في غير هذه القصيدة كان استخداماً محدوداً . فهو عندما يريد أن يتحدث عن مجتمعه كان يستخدم التعبيرات التالية : بنو أبي ، قومي ، أمي ، الأمة ، الشعب^(٨) .

وقد وردت كلمة الناس في ديوان التل ، في غير هذا الموضع خمس مرات^(٩) . مرتين منها تكرار لمعنيين وردا في القصيدة ، أما بقية المواطن ففيها رغبة الشاعر بالتعميم وإخراج القضية إلى الحيز الإنساني . ولذا يكون من اللافت للنظر استخدامه لهذه الكلمة وإعادتها أربع مرات في تسعة أبيات ، لأن جبران كرر الكلمة نفسها أربع مرات في عشرة أبيات .

لكن جبران يتحدث عن الناس من خلال الصوت الأول ، ليدنيهم ، بينما يتحدث الصوت الثاني عن الغاب ليرزحاسنه . أما التل فعنده هو الآخر صوتان ، لكنها لا يبدوان على ذلك النحو الذي ارتآه جبران ، بل يتداخلان دون أن يمتزجا . فهناك صوت الذات ، في توحيدها وتفردتها وغربتها :

ولا أباي إذا لاحت مضاربهم
مقالة السوء في تأويل مشواري

فالذات هنا نقيض للناس ، أو على الأقل لمستوى وعيهم . وهناك الصوت الثاني الذي يتمثل في صوت الناس ، الناطق عن مجتمع متخلف مملوء بالجهل والكلل .

اليوتوبيا .. والمدينة الفاضلة

وإذا كان الغاب عثد جبران يوتوبيا ، فإن خرابيش النور عند عرار هي — كما سماها — المدينة الفاضلة . وتكشف المقارنة بين الغاب والخرابيش عن تشابه واضح في القيم والمفاهيم . فغاب جبران يخلو من الرق والعبودية :

ليس في الغابات حر
لا والعبد الذمير

ومدينة عرار الفاضلة تخلو هي الأخرى من العبودية :

بين الخرايش^(١) لا عبد ولا أمة
ولا أرقاء في أزياء أحرار
وإذا كان جبران بسخر من عدالة الأرض
فيقول :

والعدل في الأرض يبكي الجن لو سمعوا
به ويستضحك الأموات لو نظروا
ويرى :

إن عدل الناس ثلج
إن رأته الشمس ذاب
ليخلص إلى تقديم صورة إيجابية للغاب
حيث :

ليس في الغابات عدل
لا ولا فيها العذاب

فإن التل يرى أن مدينته الفاضلة تتميز بأنها
تخلو من القضاء المنحرف الذي يسود المجتمع :

ولا قضاة ولا أحكام أسلمها
برداً على العدل آتون من النار
وإذا كانت المساواة هي من ميزات غاب
جبران ، وتكاد هذه المساواة تساوي بين الأشياء
جميعاً ،

فإذا ما اللوز ألقى بزهرة فوق الأشجار
لم يقل هذا حقير : وأنا المولى الكريم
فإن الناس عند التل هناك متساوون :

الكل زط مساواة محققة
تنفي الفوارق بين الجار والجار

وإذا كان جبران يفهم من العلم موقفاً سليماً ،
فيرى أن :

إن عدل الناس ضراً
كضباب في اختل
فإذا الشمس أطلت
من وراء الأفق يسزول

فإن التل يرى أن من حسنات الخرايش
خلوها من أدوات العلم :

بين الخرايش لا حبر ولا ورق
ولا يراع ولا تدوين أسفار

الثلث وجبران

ولا سفاسف كتب أذهبت عمري
قراءة بين تسوريد وإصدار
وإذا كان في المجتمع من جرائم القتل ،
ما يجعل العيش فيه مستحيلاً ، يرى جبران أن
المجتمع متناقض لأن عقوباته متناقضة :

فالسجن والموت للجاني إن صغروا
والمجد والفخر والإثراء إن كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر
وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر^(١)

فإن التل يرى أن مجتمعه المثالي تخلو من كل
ذلك :

فلا جناة ولا أرض يضرجهما
دم زكي ولا أخاذ بالثار
وهذا تتوارى صورة الغاب ، وصورة المدينة
الفاضلة ، كما تتوارى صورة المدينة والمجتمع
عندهما . فإذا كان الفرح الإنساني المتجسد بالغناء
يمثل الحل عند جبران ، فإن الفرح الإنساني
الفطري الذي يمثله التل يبعث الفرح في نفس
عرار وينسيه - مؤقتاً - تلك الآلام والمشكلات التي
يراهما في مجتمعه . ، وهذا يتشابه الصورتان في النهاية
فجبران يأمل هجر المجتمع إلى الغاب ، والتل يدعو
إلى هجر المدينة . فيقول جبران :

العيش في الغاب والأيام لو نظمت
في قبضي لغدت في الغاب تتشر
وللتقادير سبل لا تغيرها
والناس في عجزهم عن قصدهم قضروا
والتل يقول :

دعي المدينة لا يندعك باطلها
فزيها بين من غير منظار
وبعد ذلك يقول عن حياته بين الخرايش :
بين الخرايش لا عمري يضيع سدى
ولا يضيع الهدى ذرعاً بأطوار
ولعل هذا يجسد المفارقة في الأدب

الرومانسي ، فهو بعد أن يكتشف حقيقة العلاقات
الاجتماعية ، يرتد ليرى عجزه وعجز الناس من
حوله ، فيهرب إلى الطبيعة باعتبارها ملاذاً وحلاً ،
ولكن يبقى أن نسجل لعرار ريادته في الحديث عن
النور حديثاً يتسم بالإنسانية ، وبالجراة على
ما تعارف عليه الناس من مقاييس ، وهو بالتالي
نقطة متقدمة على جبران ، لأن جبران اختار
الغاب ، والغاب فكرة مجردة فيها من المثالية
والتبؤيم ما فيها ، أما التل فقد اختار مجتمعاً
منبوذاً ، دافع عنه ، وبين إنسانيته . صحيح أن
حديثه عن مجتمع النور ، ليس دقيقاً إذا حوسب
من منظار اجتماعي علمي . كما أن حديث جبران
عن الغاب يبدو هشاً إذا تذكر المرء « شريعة
الغاب » ولكن التل يبقى في التقويم النهائي ، ملتزماً
بالدفاع عن الناس في هذه القصيدة أكثر من
جبران .

الهوامش

- (١) مصطف وهبي التل ، شعور أدبي ، ولد في أريحا
سنة ١٩٨٧ م ، وتوفي سنة ١٩٩٩ م ، ولقبه « عرار » ، انظر
تفصيل حياته في كتاب (البيدي للمد .. عرار شعور الأردن) .
وفي كتاب محمد أبو مطر (عرار الشاعر اللاتيني) .
- (٢) حسن عيسى ، محمد يوسف لحم ، الشعر العربي
في المهجر ، ص ٤٧ .
- (٣) مقدمة ديوان « عشيت وادي اليس » ، ص ٤٢ .
- (٤) البيدي للمد .. عرار شعور الأردن ، ط ١ ،
١٩٥٨ م ، ص ٣٩ .
- (٥) عزر على القصيدة العقد بمقالة نشرت جريدة
الأهالي سنة ١٩٩٩ م ، وهذه المقالة نشرت في كتابه الفصول
سنة ١٩٩١ م ، كما أن مقالات محمد مندور التي نشرت في
« الرسالة » و « الثقافة » ، الصريتين ، كانت نلفت النظر بقوة
إلى الأدب الشعري ، بل تتخذ مبرراً للأدب الحد الذي حمى
مندور « الأدب المهوس » ، وتفصيل ذلك في كتاب مندور « في
اليزان الجديد » .
- (٦) يني العبد ، السدانة الاجتماعية خريكة الأدب
نومانيط في لبنان ، ص ١٤٨ .
- (٧) د . محمود السعرة ، اللغة والأسلوب في شعر
عرار ، مجلة « مجمع اللغة العربية » العدد ٥ - ٦ ،
- (٨) انظر ديوان مصطف وهبي التل ، عشيت وادي
اليس .
- (٩) نظير عشيت وادي اليس ، ص ٨ ، ١٦ ، ٤٩ ،
٥٠ ، ٢٢٦ .
- (١٠) إن تعبير « بين خرايش » الذي يستخدمه التل ،
يحكي تحملاً تعبير جبران « ليس في الغابات » على صعيد
المضمون ، وعلى صعيد التوظيف .
- (١١) هذا خطأ واضح ، يورد في بعض الطبعات بدلاً
من يدعى ، فهو الباسل .

التطور الطبيعي للكلام الطرفة وأشياء باخيرة

يولد الإنسان وعنده ملكة التكلم في جملة الملكات الكثيرة التي أودعها الله فيه . وهذه الملكة أو القدرة الكامنة تتفتح بالتدرج شيئاً فشيئاً ، وخطوة بعد خطوة ، يتسلسل بديع ، يراقبه الأهل بشغف ومتعة وسعادة ؛ وكان طفلهم الصغير يقوم بأعظم الأعمال وأجلها . وهو يقوم بذلك فعلاً وبكل تأكيد . أفليس النطق من صفات الإنسان الأساسية المميزة ؟ أليس التكلم دليل الذكاء والفهم والنباهة ؟ ودليل صحة الأجهزة والحواس الكثيرة المتعلقة بعملية تكامل التكلم ؟

إن التكلم هو الوسيلة التي يستعملها الإنسان للتعبير عن حاجاته ورغباته وأفكاره بالرموز الصوتية . ولكن ألا توجد وسيلة صوتية أخرى يعبر بواسطتها الطفل الصغير عن حاجته ؟ بالطبع توجد . فهناك البكاء الذي هو وسيلة الطفل الرضيع الأساسية للتعبير .



بقلم
د. نبيه غنيرة

سلسلة كتب في علم النفس والتربية

البكاء والنطق

ولقد درس العلماء بكاء الطفل وتسجيل بكائه في الأعمار والمناسبات المختلفة . ثم تحليل الأصوات الصادرة عنه ، فوجدوا أشياء كثيرة . منها أن لكل طفل صوته الخاص المميز ، وهذا ما يجعل الأم تميز صوت ابنها بكل سهولة من بين أصوات أطفال كثيرين غيره ، وأن طبيعة صوت البكاء تختلف عند الطفل حسب الدفاع : أهو الجوع ؟ أم الألم ؟ أو غير ذلك ؟ . بل إن بكاء بعض الأعراض المعينة يتميز بطبيعة معينة . كما أن لدرجة الذكاء علاقة وثيقة بطبيعة البكاء من نواح عدة . . فقليل الذكاء مثلاً ، يحتاج إلى منبه أشد كي يبكي ، كما أن بكاءه يستمر لمدة أطول . بينما يبكي الطفل الذكي بسرعة ولمنبه ضعيف الشدة ويكف عن البكاء بسرعة .

وعلى العموم فإن بكاء الوليد يتميز بكونه قصيراً مُقطّعاً متكرراً ، يشتد بعد حدوث السبب الداعي للبكاء ، ويأخذ بالتناقص بعد زوال السبب . وعندما يكبر الطفل يطول بكاؤه ويصبح ذو مقطعين . وفي الشهر السادس يتعدد لحن البكاء ويصبح أكثر تعبيراً . وعندما يكبر أكثر يمكن أن يتضمن بكاء الطفل بعض مقاطع كلمات حقيقية .

تطور الكلام وتكامله

يتأشى تطور التكلم عند الطفل وتكامله مع تطوره العام الجسمي والنفسي والعقلي . وهو يتبع نظاماً ثابتاً تقريباً حتى عمر الست سنوات ، أما بعد ذلك فإنه يتأثر كثيراً بالجو التربوي والتعليمي الذي يعيش فيه الطفل .

و يحتاج التكلم إلى تعاون وتناسق مجموعة من الأعضاء ذات الأداء الوظيفي الطبيعي .

فهو يحتاج قبل كل شيء إلى جهاز سمع سليم ، ليتلقى الطفل موجات الالفاظ والأصوات المنطوقة من الغير .

ثم يحتاج إلى الأعصاب السليمة ، والمراكز الدماغية السليمة ، ليُصار إلى نقل التنبهات الصوتية أو الإشارات الصوتية إلى الدماغ حيث تحصل الاستجابة .

وأخيراً فإن الطفل الذي تلقى الصوت وأدرك اختلافاته يحاول أن يقلده بإصدار أصوات ماثلة ، وهذا يحتاج إلى تعاون أجهزة التنفس والتصويت والربين والنطق .

وتظهر أولى الأصوات عند الطفل في نهاية الشهر الأول من العمر ، وذلك عندما يبدأ بإصدار أصوات حنجرية : غو .

وفي الشهر الثاني يتلفظ الطفل بالفاظ آه ، أه ، إه .

وفي الشهر الثالث يبدأ بالناغاة ، وبمحاكاة أمه في ذلك .
وفي الشهر الرابع يبدي سروراً واضحاً بمناغاته لأمه ، ويرغب في الاستمرارية لمدة طويلة .

وفي الشهر الخامس يبدأ بجمع صوتين إلى بعضهما : آه ، غو .
وفي الشهر الخامس أو السادس يبدأ بلفظ بعض الأحرف الساكنة مثل : م ، ن ، ب ، ك ، ذ ، ث .

وفي الشهر السابع يتلفظ : با ، دا ، كا .

وفي الشهر الثامن يبدأ بجمع المقاطع فيقول : با - با ، دا - دا ، ما - ما .

وفي الشهر العاشر يكتشف الطفل أن تلفظه ببعض التركيبات الصوتية يؤدي أحياناً إلى نتائج عظيمة . فإذا ما لفظ (ماما) التفتت أمه إليه أو حضرت . وإذا ما لفظ (بابا) وكان حاضراً التفت إليه ، فيأخذ بتكرار هذه الكلمات ، ويصبح لها في ذهنه معنى محدداً . وعندها فقط تستطيع أن تقول إن الطفل بدأ يتكلم . فهو يقول (بابا) ويعني أباه . ويقول (ماما) ويعني أمه . ويقول (دادا) ويعني أخاه . وهذا يختلف كثيراً عن التلفظ بمقاطع هذه الكلمات متفرقة أو متكررة دون معنى معين في الشهر السابع أو الثامن .

وتتلفظ الطفل في عمر السنة بثلاث كلمات واضحة ذات دلالة وسطياً .

ويبدأ الطفل في شهره السادس عشر بالتلفظ بكلمات غير واضحة لا يفهمها سوى الأم أو الأب وهو ما نسميه بالبريرة .

وفي منتصف السنة الثانية يتلفظ الطفل بجوالي اثني عشرة كلمة واضحة وسطياً .

وبعد منتصف السنة الثانية يصبح الطفل أكثر سيطرة على كيفية النطق السليم ، وعلى تشاطاته الحركية واليدوية الأخرى ، ويتطور تكلمه بشكل سريع .

وفي نهاية السنة الثانية يبدأ الطفل بتأليف الجمل من كلمتين أو ثلاث أحياناً ، ويبدأ باستعمال بعض الضمائر : أنا ، أنت ، لي .

ويتطور التكلم في السنة الثالثة بشكل سريع حتى لنرى أن الطفل في نهاية سنته الثالثة لا يكف أو لا يكاد يكف عن التكلم .

وعاني الطفل في سنته الثالثة من صعوبة خاصة في التكلم ، وذلك أن قدرته على التعبير لا تتأشى مع إدراكاته الواسعة وأفكاره المعقدة . ونراه يجتهد في جعل كلامه طلقاً وموزوناً . ولكن قلباً يستطيع الطفل أن يكون لنفسه لهجة ثابتة قبل السنة الخامسة .

وفي هذا الدور يتعرض الطفل للتلعثم أو حتى التأتأة ، إذ إنه يفتش

سلسلة من الدراسات والبحوث في علم النفس

فهو موضوع منفصل وسندرسه لوحده في مقالة قادمة إن شاء الله .

التكلم والذكاء

من البديهي جداً ارتباط التكلم بالذكاء . فلكي يتكلم الطفل لا بد له من الملاحظة والانتباه والتدقيق والإدراك ، ومحاولة التقليد والمحاكاة والتجريب والتصميم والتكرار حتى النجاح ، وكلها وغيرها أيضاً صفات تتعلق بالذكاء . أما الطفل الضعيف العقل الذي لا ينتبه ولا يهتم ولا يثار ولا يدرك فأى له أن يتكلم ؟ ولكن لا بد هنا من ذكر ملاحظات هامة جداً :

(١) ليس كل من يتأخر في التكلم هو متأخر عقلياً ، فقد يتأخر الطفل في التكلم ويكون في نفس الوقت ذكياً جداً ، بل وعبقرياً ، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك ، ونكتفي بذكر مثال واحد : وهو أن أينشتاين بلغ الرابعة من عمره دون أن يستطيع التكلم مما سبب لأهله كثيراً من المخاوف .

(٢) الطفل المتأخر عقلياً لا يكون متأخراً في التكلم فحسب بل يكون متأخراً في جميع الحقول التطورية والذكائية عموماً . فهو متأخر اجتماعياً وحركياً في كل المجالات . وقد يستثنى من ذلك أحياناً القدرة على المشي والنظافة من السبيلين (التبول والتبرز) . أي تبدو عليه علامات البلاهة والضعف العقلي .

(٣) ليس التكلم الباكر وإحسانه دليل التفوق العقلي أو الذكائي ، فقد يكون الطفل عادياً ويتكلم باكراً وبشكل جيد نسبياً . ومن المعروف أن الإناث يتقدمن الذكر في التكلم .

(٤) ودليلنا العملي في كل ما تقدم هو فهم الطفل لمعنى الكلمات المنطوقة - فهو إن كان يفهم معاني كلامنا وأوامرنا - دون إشارة - ويدلنا على أشياء معينة من المحيط ، فيدلنا عليها بأعينها حين سؤاله عنها ، فهو طفل يسمع جيداً ويفهم جيداً وليس بضعيف العقل .

ولقد ذكر أحد الأطباء أنه شاهد طفلاً عمره خمسة عشر شهراً لا يلفظ إلا أربع كلمات أو خمس ، لكنه يدل بمهارة على مائتي شيء مختلف من كتب مصورة ، مثل : (حصان ، عصفور ، كرسي ، ملعقة وغيرها) . فهذا طفل ذكي ولكنه دون الوسط في التكلم .

وباختصار ، فإن الطفل الضعيف العقل لا بد وأن يتأخر في التكلم حتى ولو كان ضعفه متوسطاً . - وهو ما نسميه بالطفل المتأخر عقلياً القابل للتعليم الذي تكون علامة ذكائه بين الخمسين والسبعين - .

عن الكلمة المناسبة فلا يجدها ، فيأخذ بترديد كلمة أو مقطع كلمة أو حرف .

ويدرك الطفل في سن الرابعة أهمية التكلم بالنسبة للمجتمع والقوة المستمدة منه ، ولذا يصبح أكثر رغبة في إجادة التكلم والانطلاق فيه ، ولكن هذا يجعله يتلعثم أحياناً ولا شك . ويصبح ٦٠ - ٨٠ ٪ من كلام الطفل مفهوماً في عمر الثلاث سنوات ، ويؤلف جملاً من ثلاث كلمات بسهولة .

وأما في عمر الأربع سنوات فإن كلام الطفل يصبح مفهوماً ١٠٠ ٪ تقريباً ويؤلف جملاً من أربع كلمات .

وفي الخامسة يؤلف جملاً من خمس كلمات . وفي السادسة يستطيع الطفل إخراج جميع الأحرف من مخارجها الصحيحة .

في سن الأربع سنوات يحسن الطفل استعمال بعض الصفات والظروف ، وأسماء الجر وأدوات التعريف . كما يبدأ بتمييز المفرد والجمع والمذكر والمؤنث وبعض الضمائر .

وتصبح لغة الطفل على العموم في سن الست سنوات قوية ثابتة وطلقة .

أما بعد السنة السادسة فإن حسن اللغة يعتمد على المدرسة والبيئة ، ويتأثر بها أكثر مما يتأثر بقدرة الطفل وملكاته الوراثية .

وهكذا فإن مسيرة التكلم تبدأ من الأصوات ، إلى الأحرف ، إلى الكلمات ، إلى الجمل ، ومن السهل إلى الصعب ، ومن غير المعقد إلى المعقد حتى تكتمل وتصبح ملكة ولغة .

ولقد أصبح من الواضح أن السنين الأولى من العمر بالغة الأهمية بالنسبة لتطور التكلم عند الطفل وخاصة السنة الأولى .

أسباب التطور الطبيعي للتكلم

إن التأخر العقلي أو الضعف العقلي والتصميم هما السببان الرئيسيان لتأخر التكلم ، وهناك أيضاً أسباب أخرى أقل أهمية .

وقبل البدء في ذكر أسباب التأخر لا بد من تعريفه بوضوح . فتأخر التكلم يعني تأخر الطفل في البدء بتلفظ كلمة واضحة ذات دلالة ، ثم متابعتها بكلمات أخرى ، ثم بضم الكلمات بعضها إلى بعض وتأليف الجمل منها . وهذا يعني أن تلفظ الطفل ببعض الأصوات أو الأحرف أو حتى المقاطع مثل (با) أو (ما) وما شابه فقط لا يعني التكلم كما يظن بعض الأهل . كما أن هذا التعريف يعني أن اضطرابات التكلم ، كاللغة والتأتأة ، وغيرها لا علاقة لها بتأخر التكلم

تأخر الكلام عند الأطفال

الأمراض الشديدة والمزمنة خاصة في السنة الأولى وذلك بسبب عدم تمرن الطفل على التكلم خلال مدة المرض وتأثره بحالته العامة. وخاصة إن اقتضى الأمر التواجد في المستشفى.

الأمراض النفسية عند الطفل : وبالطبع هو سبب نادر الحدوث لكنه قد يشاهد .

اضطراب الجو العائلي النفسي : قد يؤدي إلى تأخر التكلم في الحالات الشديدة التي تترافق بالتوتر الدائم ، أو ذات التأثير المباشر على نفسية الطفل .

أسباب غير واضحة

قد يتأخر الطفل في التكلم ويعجز الطبيب عن إيجاد سبب واضح لذلك .

أسباب مزعومة وغير صحيحة

لجام اللسان : كثير ما يظن الأهل أن سبب العلة هو في اللسان نفسه أو في لجامه . وهذا اللجام أو الغشاء الرقيق الموجود في أسفل اللسان ومتنصفه لا يمكن أن يكون سبباً في تأخر التكلم ، ولكن قد يكون سبباً في اضطراب التكلم وعدم وضوحه ، وذلك في الحالات الشديدة عندما يكون اللجام وترياً وقصيراً جداً بحيث يصعب مد اللسان أو إخراجه إلى ما وراء الأسنان الرباعية .

وكذلك لا يمكن أن يكون الكسل سبباً في تأخر التكلم ، ومن الظلم بمكان توصية الأهل بعدم تلبية رغبات الطفل كوسيلة لإجباره على التكلم ، فلا يعقل أن يتمتع الطفل عن التكلم بهذا السبب .

وليس هناك مكان للحسد ، أو الدلال ، أو عدم تكليم الأهل للطفل في أسباب تأخر الطفل عن التكلم .

وأخيراً فإن الطفل يستطيع أن يتعلم لغتين في وقت واحد وبسهولة إن كان كل من الوالدين يتكلم لغة مختلفة وليس هذا سبباً في تأخر تكلم الطفل .

وخلاص القول : إن الطفل الطبيعي الجيد السمع - لكل الأصوات - الذكي الذي يفهم الكلام ، لا بد وأن يتكلم ولو تأخر قليلاً فلا داعي للقلق . ولكن مهما كانت الظروف لا بد من الاستعانة بالطبيب في حال الشك بتأخر التكلم إذ قد ينصح باللجوء إلى أخصائي بتعليم التكلم - إن توفر وجوده - في حال عدم نطق الطفل بالكلمة الواضحة لما بعد السنتين من العمر .

ويتناسب تأخر التكلم طردياً مع الضعف العقلي . فكلما كان الضعف العقلي أشد كان تأخر التكلم أشد . كما أن تكلم ضعيف العقل لا يكون جيد اللفظ ولا جيد الدلالة .

التكلم والصمم

الصمم من الأسباب الهامة في تأخر التكلم ، لذا كان اختبار فحص السمع من الفحوص المتبعة أو حتى الأساسية في فحوص الطفل الدورية ؛ فضلاً عن الطفل المتأخر في التكلم . وقد يظن الأهل أن الطفل سليم حاسة السمع ولكنه في الحقيقة خلاف ذلك ، فقد شوهد نوع من الصمم الخاص بالتواترات العالية حيث يسمع الطفل الأصوات ذات التواترات الضعيفة (٢٥٦ - ٥١٢) المخذثة مثلاً بالتصفيق أو الشوشة وصوت المذياع وغلق الباب وصوت السيارة ولكنه يعجز عن تمييز الأصوات ذات التواترات العالية (٥١٢ - ٢٠٤٨) المستعملة في كلامنا العادي . فهؤلاء الأطفال إما أن يتأخروا في التكلم أو أن لا يحسنوا لفظ الأحرف التي تحتاج إلى تواتر عال مثل حرف السين والفاء .

لذا كان اختبار السمع ضرورياً في كل حالة تأخر في التكلم أو اضطراب فيه .

ومن الاختبارات السهلة الابتدائية هي إحداث أصوات مختلفة شدة التواتر (القبض على قطعة ورق بقبضة اليد وضمها ، وقرع جرس ، و (خشخيشة) ، وملعقة على كأس) ، وملاحظة الطفل فيما إذا كان يلتفت جهة الصوت أم لا . وبالطبع يجب إجراء الاختبار في خفية عن عين الطفل . ويمكن إجراء هذا الاختبار بعد الشهر الثالث من العمر .

وأما الأسباب الأخرى الأقل أهمية فهي :

الوراثة : وقد تسمى بالعامل العائلي ، فكثيراً ما نجد في حال تأخر طفل عادي الذكاء عن التكلم وجود حالات مشابهة في العائلة ، وذلك أن التكلم بقبية المهارات يحتاج إلى نضج المراكز العصبية ، وهذا أمر تتدخل فيه الوراثة .

التوأم : وجد أن التوأم يتأخر قليلاً في التكلم ، لكنه يلحق بزملائه عادة في نهاية السنة الثانية . ولعل السبب هو عدم تفرغ الأم الكافي لمحاكاة توأمها .

وجود اضطراب في الجملة العصبية المركزية : كما هو الحال في شلل الدماغ الطفلي ، حتى ولو كان الطفل ذا ذكاء عادي فلا بد أن يكون متأخراً في التكلم في السنين الأولى على العموم .

وجود علة جراحية كانشقاق قبة الحنك : حيث يكون سقف الفم منشقاً ولادياً فهذا يحدث تأخر واضطراب في التكلم .

بقلم: أندريه شديد
ترجمتها عن الفرنسية:
خديجة سليمان



من يعطيني شخصاً ينصت إليّ

فيما مضى ، كنت صاحب
مكتبة ، ثم أصابني مرض طويل
أبعدني عن أي نشاط ، اليوم ،
أنا وكيل لإحدى شركات
المنتجات الدوائية ، وأكسب من
هذا العمل ما يجعلني أعيش ،
بلا زيادة ، أذهب وأجيء ،

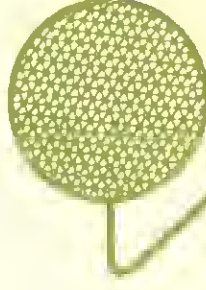
حاملاً حقيبة مليئة بالعينات .
أبدأ لن تهدني للموم تماماً ، ففي
القلب ربطت زورقاً أهرب فيه
دائماً من كل شيء لأشعر بالحرية
من جديد .

نقطن ، ابني وأنا ، مدينة
على حافة البحر المتوسط ،
صاخبة ، مليئة بالحركة ، لامعة
كاللؤلؤ بعد أمطار نادرة ولكنها
غزيرة . تتصادم فيها الأصوات

والألوان والأفكار ، وهذه النغمة
المزدوجة تروق لي .

في الصباح الفاتت ، وأنا
أتحول مع حقيقي ، عكست
صورتي واجهة محل المبتكرات . لم
يكن أنطوان مخطئاً ، فشعري
كان طويلاً حقاً . قال لي برنة
استنكار إلى حد ما : « لك
مظهر فنان ! » .

أنطوان ، ابني ، صبي



جاء ، مستقبه يشبه دليل المسافر ، وإمكاناته ملموسة تماماً ، لدرجة أن صاحب البنك بعد تعيينه نائباً للمدير ، قرر أن يزوجه من ابنته . إني أتساءل عما فعلته لكي ينجح مثل هذا الابن ؟ فبينما أطوي الأيام بقدماً على الأرض وذهن شارد ، يتقدم أنطوان دون جراح بخطوات محسوبة .

عندما كان صغيراً ، كنت أمثل شيئاً بالنسبة لأنطوان . كانت قائمي تفرض نفسها عليه بلا شك . وكان ينقل حركاتي . كان يتسلق ذراعي ويدعوني « جتبله » . وبالرغم أنه لم يصل أبداً إلى طولي ، أصبح عليّ الآن أن أستدعي له صورة قصير الساقين . عندما أتكلم ، لا يستمع إليّ أبداً ، وعندما يتكلم ، أنصت إليه . فهو يرى أن الأفق يلمس بالأحاسيس تؤزن ، وما الحياة بالنسبة له سوى لعبة لا تستقيم فيها الحسابات . أما أنا فكلما عرفت أكثر ، ازدادت جهلاً ، وكلما نظرت إلى الحياة ، رأيتها آمنة ، كان سيدمر أمني ، لو كان عندي أمن ! .

انطوان على حق ، فالشعر المسدل على القفا يعطي شكلاً غريباً ، قررت على الفور قصه .

كان على ابني أن يقدمني في اليوم التالي إلى أسرة زوجته ، وكان متردداً في الإقدام على ذلك حتى الآن ، ولم أكن أرغب في مضايقته بأي طريقة . سأدخل إذن أول صالون حلاقة يقابلني .

في الداخل أربعة حلاقين ، ولا زبون واحد . حيا صاحب المحل مقدمي بصوت جهوري بهدف جذب انتباه الثلاثة الآخرين وتحريك ركودهم . وفي لحظة أحسست أنني وضعت وضعاً على المفعد الدائري ، وقد غطى كتفي بفوطة بيضاء ، والتفت حول عنقي فوطة أخرى تدلت حتى صدري ، وعلى الفور أخذ المفص يقمق .

– ترغب بالتأكيد في حلاقة جيدة .

هكذا قال صاحب المحل ، وهو رجل بدين دم ذو شارب شمعي .

أثنى بعد ذلك على جودة نوعية شعري بقوله :

– كثير من الشباب يحسدونك عليه .

فكرت على الفور ، بأسف بالغ ، في صلح أنطوان المبكر .

– ستشرب قهوة بالطبع ؟ .

قالها بعد فترة ، في الوقت

الذي عاد فيه أحد معاونيه حاملاً فنجانين ساخنين على صينية من الصفيح .

شرنا القهوة ونحن نتبادل أطراف الحديث . كان ، كما بدا ، يسافر كثيراً ، فسألته عدداً من الأسئلة أجاب عليها بسعادة غامرة ، لكن ، عندما التقط مقصه من جديد ، فهمت أنه كان في حاجة إلى الصمت . وهكذا نسيت رأسي بين يدي هذا الرجل البشوش ، وغرقت

في كومة الجرائد التي وضعت بحذر على ركبي .

انتهت الجلسة وأنا لا زلت متأثراً بما قرأت ، طفل عاملته زوجة أبيه بشراسة وجسته على مدى أسبوع كامل في غرفة مظلمة ، نسيت النظرة التقليدية إلى المرأة وسألت :

– كم تطلب ؟ .

– ما تريد .

فالأسعار في بلادنا تختلف



تبعاً للذوق والفرصة والتوقيت ،
ولما كانت لي طبيعة خجلة ،
جردت نفسي بطريقة سيئة من
هذه الحرية الجلييلة .

— ولكن . .

أردف الرجل بقوله مضاعفاً
ارتباكى :

— لا يمكن أن يحدث
ذلك بيننا .

وضح ارتباكى أكثر عندما
اشفق عليّ محاذي ، وهو يسوق

رقاً بدا لي غاية في التواضع ،
وما كنت أجرو حينئذ على
الإصرار . فقد تأثرت تماماً وأنا
أكتشف أنني كنت الزبون
الوحيد في ذلك الصباح .
وعندئذ رجوته إضافة ثمن القهوة
إلى الحساب لكنه غضب هذه
المرة :

— إنك تهينني ! تدخل
عندي لأول مرة ، وتحدث
كما لو كنا صديقين قديمين

ومع هذا تحاسبني على ثمن
قهوتي .

شكرته وكلي خجل ثم
صافحته بجملة وأنا أعدّه بالعودة
مرة أخرى .
قال الرجل وهو يصحبني
حتى العتبة :

— أنت هنا في بيتك .

البنك الذي يعمل به ابني
كان قائماً على بعد خطوات من
الحلاق ، وكانت صدفة طيبة
نلك التي سمحت لي بملاقة
أنطوان وهو خارج .

ما إن لمحني حتى أطلق
صيحة :

— أي رأس صنعوه
لك ! يا عجوزي المسكين ،
شيء مفزع ، إنك تبدو على
هيئة . . . !

فهمت من منظره أن مسألة
غذائي مع أسرته لم تعد قائمة ،
وأن أنطوان أصبح مشغولاً في
البحث عن سبب معقول
لتخلي . وعلى هذا ، ابتعد
بسرعة وهو يستدير مرة أو مرتين
حتى يتأكد من أنني لا أتبعه .
أحسست بفخذي ثقيلتين ،
ونمتيت لو تركتاني أسقط في انتظار
صبي — يشبه أنطوان في
طفولته — يضع يده في يدي
ويساعدني على الوقوف .

شخص ما كان يناديني :

— خذ ، نسيت هذه .

كان هو الحلاق ، الذي
سعد تماماً بالعثور عليّ ، ناوولي
حقيقتي . أما الضربة السوديّة
الخفيفة التي ريت بها على كتفي
بعد ذلك فقد أعادت إليّ
حركتي .

قلت له : أنا وحدي ،
هلا أردت أن نتناول معاً
طعام الغداء ؟ .

وحددت له المقهى — المطعم
في مواجهتنا حيث الموائد تفيض
على الرصيف فوافق قائلاً :

— الوقت الذي
يستغرقه إغلاق المحل
وأجبي .

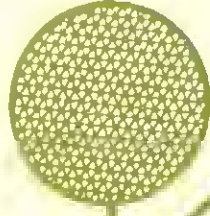
عبرت المظلع ، كنت أشعر
بجملة الجو ، فالشمس ، المزرعة
فوق المدينة ، كانت تتخذ شكل
جمجمتي التي لم تعد تدافع عن
كتلة شعري .

ومن حيث كنت أجلس ،
كنت أطل على البنك ، وأيضاً
على محل صديقي الجديد .

كنت ، وأنا أنتظره ، أجيل
نظري لعدة مرات من البنك إلى
المحل . والزورق يرتفع بهدوء
بالغ .



بقلم: غابريال غارسيا ماركيز ترجمة: طلعت شاهين



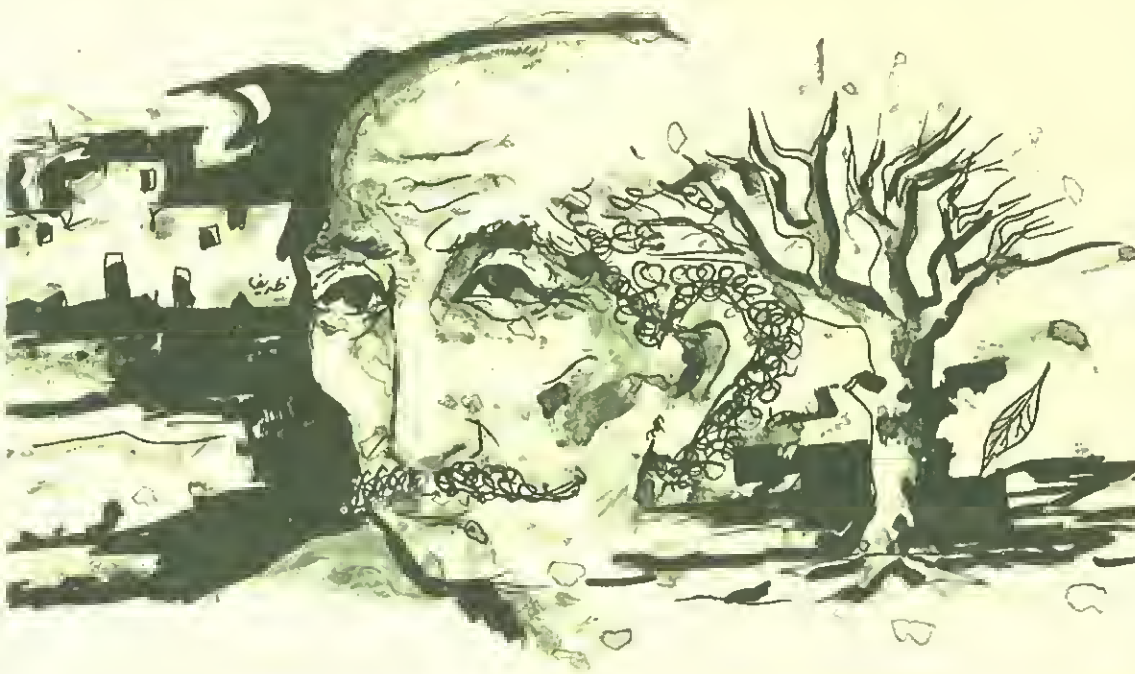
الزنجي سيعود السبت التالي . نابو استدار إلى الجانب الآخر وشاهد الرجل الذي حدثه ، في البداية لم يتعرف عليه بوضوح في ظلام الإسطبل . الرجل كان جالساً على نئو بارز ، يحدته وهو يضرب على ركبتيه . « لقد ركبني حصاناً » أعاد نابو قوله ، بعد أن تعرّف على الرجل . « حقيقة » قال الرجل : « الخيول غير موجودة هنا ، ونحن ننتظر في الجوقة » ، نابو هز رأسه ، لم يكن قد بدأ التفكير ، لكنه تذكر أنه شاهد الرجل في مكان ما ، الرجل كان قد قال لهم ينتظرون نابو في الجوقة ، نابو لم يفهم ، لم يتذكر أيضاً إن كان قد قال هذا أحد ما ، لأنه في تلك الأيام ، عندما

أحد المساند الخلفية ، نابو كان يرى الزنجي ، ولكن الزنجي لم يكن يشاهد نابو ، لو أن أحداً كان قد رأى نابو ذاهباً إلى الميدان في ليالي السبت ليشاهد الزنجي وسأله (ليس الآن لأنه لا يستطيع أن يفهمه) إن كان الزنجي قد شاهده في إحدى المرات ، لأجاب نابو بالنفي ، بعد ذلك كان هو الوحيد الذي يحسب الخيول .

في أحد أيام السبت ، الزنجي لم يكن في مكانه من الفرقة الموسيقية . في البداية كان على نابو أن يفكر بأن الزنجي يعود لعزف الألحان الشعبية ، على الرغم من وجود المسند في مكانه . ليس بالضبط من أجل هذا ، لقد تذكر أنه قد ذهب متأخراً واعتقد أن

لم يكن يعرف في أي ساعة يعيش ، الأيام كانت تسير للخلف ، كان كما لو أن أحداً قد مرر إسفنج رطبة على ذلك السبت البعيد في تلك الليلة التي ذهب فيها إلى ميدان القرية ، لقد نسي القميص الأبيض ، نسي أنه يملك قبعة خضراء ، من القش الأخضر ، وينظنون غامقاً ، لقد نسي أنه لم يكن يملك حذاء ، نابو كان يذهب إلى الميدان في ليالي السبت ، كان يجلس في ركن ما ، صامتاً ، لا من أجل الاستماع للموسيقى ولكن من أجل رؤية الزنجي ، كل أيام السبت يشاهد الزنجي الذي يضع على عينيه منظر سمكة ، مربوطة إلى أذنيه ، ويعزف « الساكسيفون » أمام

(نابو) كان منبسطاً على وجهه فوق الحشائش الجافة ، متشعباً رائحة الإسطبل العالقة بالجسد ، متحسباً الجلد الأحمر اللامع والجدوة الخابية للخيول الأخيرة ، لم يكن يشعر بالجسد ، (نابو) لم يكن يشعر بأي شيء على الإطلاق . كما لو كان قد لبث نائماً منذ آخر خبطة للحدوة في الجبهة ، لم يكن أكثر من هذا الشعور بالوحدة ، جلسة مزدوجة ، كما لو كان يتخيل لأول مرة رائحة الإسطبل الرطبة والعدد الكبير من الحشرات السديقة المتصقة بالحشائش ، فتح عينيه ، أعاد إغلاقهما ، واستمر ساكناً ، معتداً بنفسه ، قوياً ، كما كان طوال المساء ، حالماً خارج الزمن ، إلى أن قال أحدهم من خلف ظهره : « هيا يا نابو ، لقد نمت كثيراً » . استدار ولم ير الأحصنة . لكن الباب كان مغلقاً ، كان يجب على نابو أن يتخيل مكان الدواب في هذا الظلام ، بالرغم من أنه لم يكن يسمع ركلاتها الضخمة ، تخيل أن من حدثه من خارج المكان هو السائس . لأن الباب كان مغلقاً من الداخل وموصداً بالتراس . مرة أخرى قال الصوت من خلف ظهره : « حقيقة يا نابو ، لقد نمت كثيراً ، لقد مكثت نائماً طوال ثلاثة أيام » . حينئذ فتح نابو عينيه عن آخرهما وأجاب : « أنا هنا لأن الحصان ركبني » .



والزنجي

كان يمشط الخيل ، كان يحب التسلي بـبعض الأغاني ، وغنى بعد ذلك ليسلي الطفلة الخرساء ، بنفس الأغاني التي يمشط بها الخيل ، لكن الطفلة الصغيرة كانت في عالم آخر ، في عالم الدهليز ، جالسة بعيون معلقة على الحائط . عندما غنى نابو ، لو أن أحدهم كان قد قال إنه سينضم إلى الجوقة قد لا يندهش ، الآن اندهش قليلاً لأنه لم يفهم ، كان متعباً ، مخدراً ، متوحشاً . قال : « أريد أن أعرف أن الخيل ... » قاطعه الرجل : « لقد قلت لك إن الخيل غير موجودة هنا ، فقط تشوقنا وصول صوت مثل صوتك . » لو هبط قم فوق الحشائش ، لسمع نابو ، لكن الألم الذي

تركته الحدود في جيبته لم تجعله يفرق بين هذه الانطباعات السيئة ، أعاد رأسه إلى القش ومكث نائماً . على الرغم من غياب الزنجي عن الجوقة ، إلا أن نابو ذهب مرتين أو ثلاث إلى الميدان ، لعل أحداً يجيبه عن سؤاله عما حدث للزنجي ، لكن نابو لم يسأل ، واصل حضور الألمان إلى أن حضر رجل آخر معه « ساكسيفون » ليشغل مكان الزنجي ، حينئذ أقنع نابو نفسه بأن الزنجي لن يعود ، بعد ذلك انصرف ولم يعد إلى الميدان ، عندما استيقظ اعتقد أنه نام برهة قصيرة ، فما زالت حدة الحشائش الرطبة في أنفه ، ما زال الظلام مستمراً أمام عينيه ، حوله ،

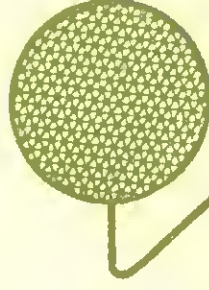
لكن الرجل ما زال في الركن ، الرجل يواصل الخبط على ساقيه ، قال بصوت هادئ وغامض : « نحن ننتظرك يا نابو ، أنت تنام عامين ولا تريد أن تستيقظ » . أعاد نابو إغلاق عينيه ، ثم فتحها ، مواصلاً النظر نحو الركن ، ورأى الرجل مرة أخرى ، تائهاً ، حائراً ، بعد ذلك تعترف عليه .

عندما عرف أصحاب المنزل ما فعله نابو في الميدان ليالي السبت ، فكروا أن ما قاله عن ذهابه قد فعله لأنه الآن يملك موسيقى في المنزل . حدث هذا عندما اشترينا « الجرامفون » لتسلي الطفلة الصغيرة . وعندما كانت في حاجة إلى شخص يجرسها طوال اليوم تقريباً . اعتقدنا أن هذا الشخص هو نابو . لقد استطاع أن يقضي معنا وقتاً عندما لا يكون متنبهاً للخيل . الصغيرة استمرت جالسة تستمع للألمان الموسيقية . في مرات عديدة عندما كانت الموسيقى مسموعة ، كانت الصغيرة تنبسط من مكانها . مع أنها تظل ناظرة للحائط ، سائلة اللعاب ، زاحفة حتى حجرة الطعام ، نابو يرفع إبرة الجهاز ويبداً في الغناء . في البداية ، عندما جاء إلى المنزل وسألناه عن عمله ، قال إنه يعرف الغناء ، لكن هذا لم يجبه أحد . لأننا كنا في حاجة إلى صبي يمشط الخيل . نابو لبث هادئاً ، لكنه واصل الغناء ، كما لو كنا قد قبلناه



من أجل الغناء . أما تمسيط الخيل ، لم يكن خارج هذه التسلية ، التي يقوم بها ، كان يؤديه برغبة حادة . استمر أكثر من عام ، حتى إننا تعودنا على فكرة أن الصغيرة لا تستطيع السير ، ولا التعرف على أحد ، تركنا الصغيرة كأنها ميتة ، وحدها نستمتع « الجرامفون » ناظرة للحائط بلا اهتمام ، حتى رفعناها من مكانها ، وقدناها إلى الغرفة . لقد تركت ما ألتنا ، لكن نابو واصل وفاءه ، مراعيماً المواعيد ، متنبهاً للجرامفون . هذا كان في الأيام التي لم يكن قد ترك فيها الذهب إلى الميدان ليالي السبت . في يوم ما ، عندما كان الصبي في الإسطنبول ، كنا في الدهليز ، أحد ما قال مع الجرامفون « نابو » ، لم نهم بمن قال هذا ، لكن عندما سمعنا للمرة الثانية « نابو » ، رفعنا رؤوسنا وسألنا : « من يكون مع الصغيرة » . أحدنا قال : « لم أشاهد أحداً يدخل » . قال آخر : « أنا متأكد بأنني سمعت صوتاً ما قال « نابو » » . ولكن عندما ذهبنا لاستطلاع الأمر لم نجد سوى الصغيرة على الأرض ، منحنية أمام الحائط .

نابو عاد مبكراً واضطجع ، بعد السبت الذي ذهب فيه الزنجي وثلاثة أسابيع بعده ، في يوم النين ، بدأ الجرامفون في الغناء بينما كان نابو في الإسطنبول ، لم يهتم أحد بهذا في البداية ، لكن بعد ذلك ،



شاهدنا الزنجي الصغير عائداً ،
يغني وهو يصب الماء للخيول ، قلنا
له : « من أين أتيت ؟ » قال :
« من الباب . كنت في
الإسطنبول منذ منتصف
النهار » . قلنا له : « الجرامفون
يغني ، ألا تسمعه ؟ » . قال نابو
إنه يسمعه . سألناه عن الذي أدار
الزنبرك ؟ . هز كتفيه : « الصغيرة
منذ فترة هي التي تدير
الزنبرك » .

هكذا كانت تمر الأشياء إلى
اليوم الذي وجدنا فيه عككات ولوح
للكتاب في قش الإسطنبول ، مع
حافة حدوة مرصعة من الأمام ،
وجدنا نابو ، رفعناه من كتفيه ،
فقال : « أنا هنا لأنه ركلني
حصان » . لكن أحداً لم يهتم للذي
استطاع قوله ، اهتممنا بالعيون
الباردة الميتة ، والفم المليء بالرغايي
الخضراء ، لقد أمضى الليلة باكياً ،
معتزفاً بالحمى ، يهذي ، متحدناً
عن المشط الذي فقده في قش
الإسطنبول . هذا كان اليوم الأول ،
في اليوم التالي عندما فتح عينيه
قال : « أنا عطشان » . أحضرنا
له الماء فشربه كله في جرعة
واحدة ، طلب أكثر من مرتين ،
سألناه ماذا يشعر . قال : « أشعر
كما لو ركلني حصان » . واصل
الكلام طوال اليوم وطول الليل .
وفي النهاية جلس في السرير ، مشيراً
إلى أعلى ، بإصبع السبابة ، وقال
إن ركلة الحصان لم تدعه بنام طوال
الليلة . منذ أمس لم يعد يشعر

بالحمى ، لكنه واصل الكلام حتى
عندما وضعوا في فمه منديلاً . بدأ
الغناء من خلف المنديل ، قائلاً إنه
سمع بأذنه ، تنفس الخيول باحثة
عن الماء من أعلى الباب المغلق .
عندما أخرجنا المنديل لنطعمه
شيباً ، استدار نحو الحائط ، وكنا
نعتقد أنه نام ، وقد يكون مناسباً له
أن ينام قليلاً . لكن عندما استيقظ
لم يكن في السرير ، كانت أقدامه
ويديده مقبلة ومسرבותاً في ركن
الغرفة ، وكان نابو يغني .

عندما نعرّف نابو على الرجل
قال له : « أنا لم أشاهدك من
قبل » . قال الرجل : « أنت
كنت تشاهدي أيام السبت في
الميدان » . وقال نابو :
« حقيقة ! ، ولكن اعتقدت
أنني شاهدت حضرتك ،
وحضرتك لم تشاهدي » . قال
الرجل : « لم أشاهدك أبداً ،
لكن بعد ذلك ، عندما
انقطعت عن الذهاب ،
شعرت كما لو أن أحداً قد
انقطع عن مشاهدي أيام
السبت » . قال نابو : « حضرتك
لم تعد بعد ذلك لكنني
واصلت الذهاب حوالي ثلاثة
أو أربعة أسابيع » . ظل الرجل
بدون أن يتحرك ضارباً على
ركبته : « أنا لا أستطيع العودة
إلى الميدان ، على الرغم من
أنه القيمة الوحيدة التي
خسرتها » . نابو نمب من
المنافسة ، هز رأسه على قش

الإسطنبول ، وواصل سماع الصوت
البارد ، المصّر ، لم يكن هنالك
وقت ولا حتى لمعرفة أنه كان تائماً
في نبات عميق مرة ثانية . دائماً
يحدث له هذا منذ أن ركله
الحصان . ودائماً يسمع الصوت :
« نحن ننتظرك يا نابو ، ألا
توجد طريقة أخرى لقياس
الزمن مثل حملك على
النوم » .

أربعة أسابيع مرت منذ أن
ترك الزنجي الغرفة الموسيقية . نابو
كان يمشط ذيل أحد الخيول . لم
يكن يفعل ذلك من قبل . ببساطة
كان يمشطها وهو يغني أثناء ذلك
كثيراً ، لكن يوم الأربعاء ذهب إلى
السوق وشاهد مشطاً ، قال :
« هذا المشط يصلح لتمشيط
ذيول الخيل » . بعد ذلك كان
حادث الحصان الذي ركله وتركه
غيبولا بقية حياته ، عشرة أو خمسة
عشر عاماً . شخص ما بالمزحل
قال : « كان من المفضل أن
يموت في ذلك اليوم ولا يظل
هكذا ، لا دواء له ، يهذي
بقية حياته » . لكن لم يعد أحد
لمشاهدته منذ اليوم الذي حُبس
فيه . فقط نعرف أنه هناك ،
محبوس في الغرفة ، ومنذ ذلك اليوم
لم تعد الصغيرة تدير الجرامفون .
لكن في البيت كان لدينا اهتمام به .
حيسناه كما لو كان حصاناً ، كما لو
كانت الركلة قد أدت به إلى
البلادة ، ووضعت في صدره كل
غباء الخيول ، الحيوانية . وتركناه

معزولاً بين أربعة جدران ، كما لو
كنا قد عزمنا على دفعه إلى الموت
حيساً ، لم تكن لدينا برودة دماء
كافية لقتله بطريقة أخرى . هكذا
مرت أربعة عشر عاماً ، إلى أن كبر
أحد الصغار وقال إن لديه شوقاً
لرؤية وجه نابو ، وفتح الباب .

نابو عاد للنظر نحو الرجل
وقال : « ركلني حصان » . قال
الرجل : « منذ قرن وأنت
تقول هذا ، وأثناء هذا كله
نحن ننتظرك في الجوقة » . عاد
نابو يهز رأسه ، أغرق جبهته في
القش ، اعتقد أنه تذكر ، ميكراً ،
كيف حدثت الأشياء ، قال :
« كانت تلك المرة الأولى التي
مشطت فيها ذيل حصان » .
قال الرجل : « نحن أردنا هذا ،
لإعادتك للغناء في الجوقة » .
وقال نابو : « ما كان يجب شراء
المشط » . قال الرجل : « على
أي حال أنت وجدتته ، نحن
عرفنا أنك ستجد المشط
وأنك ستمشط ذيل الحصان » .



فقال نابو: «لم أقف أبداً في الخلف». والرجل ما زال هادئاً، غير بادئ الضجر: «لكنك وقفت والحصان ركلك، كانت هذه الطريقة الوحيدة لكي تنضم للجوقة». والحديث لا يهدأ، يومي، متواصل، إلى أن يأتي شخص من المنزل ليقول: «نحو خمسة عشر عاماً لم يقم أحد بفتح هذا الباب». الصغيرة (لم تكن قد كبرت، ثلاثون عاماً مرت، وبدأ الحزن في الجفون) كانت جالسة، ناظرة للحائط، عندما فتحوا الباب. هي أدارت وجهها، متشمة نحو الجانب الآخر. وعندما أغلقوا الباب، عادوا يقولون: «نابو أصبح هادئاً، لم يعد يتحرك في الداخل. في يوم ما من هذه

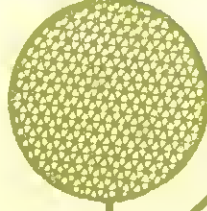
الأيام سيموت، ولن نعرف إلا من الرائحة». شخص ما قال: «سنعرفه بالطعام، لن يترك الطعام أبداً، هكذا حسن، لنغلق عليه، بدون أن يضايقه أحد، من الجانب

الخلفي يدخل الضوء جيداً». والأشياء الباقية من هذا النوع، الصغيرة فقط واصلت النظر نحو الباب، متشمة البخار الذي يتسلل من أحد الشقوق، ظلت هكذا حتى الفجر، عندما سمعنا ضجة لصوت معدني في الدهليز. وتذكرنا أنها نفس الضجة التي حدثت منذ خمسة عشر عاماً مضت، عندما كان نابو يهيم بالجرامفون، نهضنا، أضأنا اللمبة وسمعنا أنغام الأغنية المسية،

الأغنية الحزينة التي كانت قد ماتت في الأسطوانات منذ زمن بعيد. الضجة كانت متواصلة، في كل مرة بصوت أعلى، إلى أن سُمعت ضربة حادة، في اللحظة التي وصلنا فيها إلى الدهليز، وشعرنا أن الأسطوانة ما زالت تواصل الغناء فشهدنا الصغيرة في الركن مع الجرامفون، ناظرة إلى الحائط وفي يدها ذراع التشغيل مرفوعة، منزوعة من الصندوق الصوتي. لم نتحرك. الصغيرة ظلت هناك ولم تتحرك، ظلت هادئة، متصلة، ناظرة إلى الحائط رافعة الذراع. نحن لم ننطق بشيء، ولم نعد إلى الغرفة، تذكرنا أن شخصاً ما كان قد قال لنا إن الصغيرة تمجيد إدارة زنبرك الجرامفون. فكرنا أن نبقي ساهرين، نستمع للموسيقى المستهلكة من الأسطوانة التي واصلت الدوران بشطط الذراع المكسورة.

عندما فتحوا الباب في اليوم السابق، شاعت رائحة فضلات حية من الداخل، لجسد ميت. الذي فتح الباب صرخ: «نابو!؟، نابو؟». لكن لم يجبه أحد من الداخل. وتحت عقب الباب، كان الطبق فارغاً، ثلاث مرات في اليوم يدفع الطبق من تحت عقب الباب، وثلاث مرات في اليوم يعود الطبق فارغاً، لهذا كنا نعرف أن نابو ما زال حياً، لا شيء أكثر من هذا.





لا توجد حركة في الداخل ،
ولا غناء . هذا ما كان يجب أن
يحدث بعد أن أغلقوا الباب ،
عندما قال نابو للرجل :
« لا أستطيع الذهاب إلى
الجوقة » . سأله الرجل لماذا ؟ ،
قال نابو : « ليس لدي
حذاء » . رفع الرجل قدميه
وقال : « هذا ليس بذي
أهمية ، لا أحد هنا يستخدم
الأحذية » . شاهد نابو باطن
قدمي الرجل الصفراوين
والمتحجرتين ، مرفوعة : « منذ
زمن بعيد وأنا هنا » . قال
نابو : « منذ دقيقة فقط ركمني
حصان ، ساضع قليلاً من
الماء على رأسه وسأدفعه
للتزحه قليلاً » . قال الرجل :
« الخيول ليست في حاجة
إليك ، الخيول غير موجودة
الآن ، أنت الذي يجب أن
يأتي معنا » . قال نابو : « الخيول
يجب أن تكون هنا » . انتصب
قليلاً ، دفن يديه في القش بيثاً قال
الرجل : « منذ خمسة عشر عاماً
ولا تجد من يحرسها !! » . لكن
نابو غدش الأرض من تحت القش
قائلاً : « يجب أن يكون المشط
هنا » . قال الرجل : « الإسطبل
مغلق منذ خمسة عشر عاماً .
لقد أصبح مليئاً بالخطام » .
قال نابو : « لا توجد خطام
يمكن أن تتكون في يوم

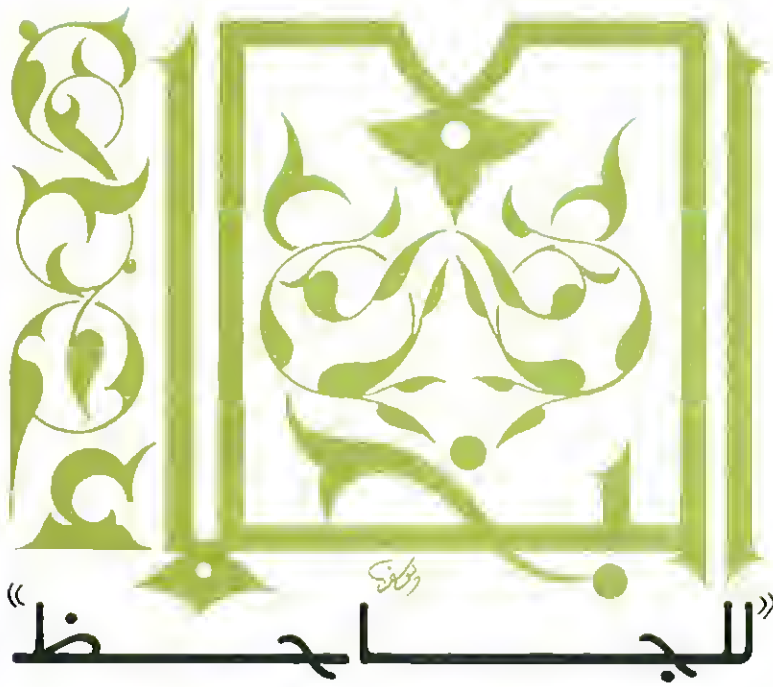
واحد . لن أتحرك من هنا
حتى أجد المشط » .
في اليوم التالي ، بعد أن عادوا
للتأكد من إغلاق الباب ، عادوا
بعد سماع حركة عسيرة في
الداخل ، لم يتحرك بعد أحد ،
وذهلوا عندما سمعوا أصوات
الصريير الأولى للباب الذي بدأ في
الانهيار ، مدفوعاً بقوة هائلة ،
سمعت من الداخل أصوات تحجب
حيوان محاصر ، في النهاية مُمعت ،
طقطقة مفصلات الباب الصدئة
تتحطم ، عندما عاد نابو بهز رأسه
قائلاً : « ما لم أجد المشط ، لن
أذهب إلى الجوقة ، يجب أن
أظل هنا » . وحفر في القش ،
مزقه ، مخططاً على الأرض ، إلى أن

قال الرجل : « هذا شيء
حسن ، يا نابو ، إذا كان
الشيء الوحيد الذي تنتظره
للمعودة إلى الجوقة هو المشط ،
هيا ابحث عنه » . مال نحو
الاعتداد بالنفس ، مستنداً بيديه
على السياج وقال : « هيا ،
يا نابو أنا أعتقد أن أحداً لن
يستطيع إيقافك » .

ثم بعد ذلك انهار الباب ،
والرفض الحيواني اهتلت ، بالجرح
الحشن المطبوع على الجبهة ، (على
الرغم من مضي خمسة عشر
عاماً) هبط متعجلاً ، قافزاً على
الأثاث ، متعثراً في الأشياء ،
متوعداً بقبضتيه المرفوعتين ، اللتين
تحملان ذراع الجرامفون المربوطة
منذ خمسة عشر عاماً مضت ،
(عندما كان صبيّاً أسود
يحرص الخيول) صارخاً في
الممرات ، ثم اندفع مع الرجل ،
كالعاصفة المدمرة (قبل أن يصل
إلى الفناء) والصغيرة ، التي
بقيت جالسة ، وذراع الجرامفون في
يدها منذ الليلة السابقة (هي
عندما شاهدت القوة
السوداء محررة من السلاسل ،
تذكرت شيئاً يمكن أن يكون
كلمة واحدة) وصل إلى الفناء
(قبل أن يجد الإسطبل) ثم
شوهده حاملاً مع الرجل مرآة
الدهلز ، لكنه لم يشاهد الطفلة
الصغيرة ، ولا مجموعة الجرامفون ،
ولا المرأة ، كان نقيماً كرجسه



الشمس ، ويعيون مغلفة عمياء
(بيثاً لا يزال في الداخل
صخب المرايا المحطمة) اندفع
بلا هدف كاحصان المباع ، باحثاً
بالغريزة عن باب الإسطبل الذي
أغلق منذ خمسة عشر عاماً ومُحى
من ذاكرته ، لكن لم يبع من
غريزته (منذ ذلك اليوم
البعيد الذي مشط فيه ذيل
الحصان ولبث مخبولا بقية
حياته) تاركاً وراءه الفاجعة ،
التفسيخ ، النشوش ، مثل ثور
معصوب العينين في حجرة مليئة
بالأضواء ، إلى أن وصل إلى الفناء
الخلفي (لم يجد الإسطبل بعد)
وحفر الأرض بنفس الفجاء الذي
حمل به المرأة ، وربما فكر أن حفر
القش سيعيده مزروعاً من جديد ،
برائحة بول الفرس ، قبل أن يصل
تماماً إلى باب الإسطبل (الآن
أكثر قوة من قوته المضطربة)
دفع الباب وسقط في الداخل على
وجهه ، ربما كان يحتضر ، لكنه
ما زال مكسوّاً بهذه الوحشية
الحيوانية التي كانت منذ نصف ثانية
لا تصل لسمع الطفلة التي رفعت
ذراع الجرامفون ، وعندما شاهدته
يمر ، تذكرت اللعاب ، لكن
بلا حركة من مكانها ، ساكنة
القم ، ولم تحرك ذراع الجرامفون في
افواء ، تذكرت الكلمة الوحيدة
التي تعلمت قولها في حياتها ،
وصرخت من الدهليز : « نابو !!
نابو !! » .



«للمجالس»
حقوق نصه وعلق عليه:
د. طه الحاجري

عرض وتقديم: فؤاد نصر الدين حسين



★ ابن نزاری ★



★ الكندي ★



★ الخط ★



★ ابن الحریم ★

نشر فان فلوتن هذا الأثر عن المخطوطة الوحيدة التي وفق إليها ، فأنار نشره لها كثيراً من آيات التقدير والإعجاب في دوائر المستشرقين ، وقد رأوا فيه لوناً جديداً من ألوان الأدب العربي ، وانجأها فريداً بين انجاءاته ، ولم تكف غمضي على ظهوره بضعة أشهر حتى كتب العلامة الكبير نولدكه فصلاً عنه في Literalixhes Sentralb- latt (سنة ١٩١٠ م ، ص ١٩٨٨ م) يعرف به ويشيد بقيمته .

الأثر - إلى الأدب العربي منة لا تكاد تقدر ، وأضاف يداً جديدة لا يسعنا إلا أن نذكرها تقديراً وشكراً ، مهما دخل هذه النشرة من أسباب النقص ومظاهره ، فأكبر الظن أنه لولا عناية ذلك المستشرق « بكتاب البخلاء » لظل حيناً من الدهر جيباً حيث كانت مخطوطته مودعة ، وظل المجاحظ مختلفاً عن قراء العربية بأمثل آثاره الفنية ، وأجدرها بتمثيل قيمته الأدبية ، وحرمت نهضتنا الأدبية في ذلك الوقت هذه الصورة الرائعة من صور الأدب القديم الخالد .

تصدير

يصدر المحقق الأستاذ طه الحاجري الكتاب بتصدير يقول فيه :
في ختام القرن التاسع عشر (سنة ١٩٠٠ م) أصدرت دار برل C. J. Brill بلندن «كتاب البخلاء» لأبي عثمان عمرو بن بحر المجاحظ. وقد عني بنشره وتحقيق نصه العلامة المستشرق فان فلوتن C. Van Vloten ، وأهداه إلى شيخ المستشرقين في عصره العلامة الكبير نولدكه Th. Noldeke .
وقد أسدى فان فلوتن - بنشره هذا



وقد تحنى في هذا الفصل لروا أن أحد المستشرقين انتدب له يوماً ما مترجمه إلى إحدى اللغات الأوروبية^(١).

ولم تكد هذه النشرة التي نشرها فلوتن تصل إلى مصر حتى تلقفها أحد أولئك الذين بتجرون بنشر الكتب وهو الحاج محمد الساسي المغربي، فخذ بها إلى المطبعة (سنة ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) دون أن ينكلف شيئاً من أوليات ما ينبغي في نشر الكتب، فلما جاور مراجعة المخطوطة (وقريب منه في دار الكتب المصرية، في مجموعة كتب الشنقيطي نسخة من مخطوطة عن مخطوطة كبريلي التي صدر عنها فإن فلوتن) بل ولا ملاحظة القراءات التي أثبتتها فلوتن في هوامش الصفحات أو الملاحظات والإيضاحات التي ذيل بها نشرته، وهي ملاحظات لها قيمتها بل لم يكلف نفسه الإشارة إلى النشرة التي طبع عنها، وبذلك جاءت هذه الطبعة المصرية الأولى صورة مشوهة من النشرة الأوروبية.

على أنه يسرنا أن نشير هنا إلى أن وزارة المعارف المصرية قد نثنت إلى شيء من واجبها فعمدت بكتاب البخلاء إلى عاملين من علمائها هما الأستاذان أحمد العوامري بك، وعلي الجارم بك، فأظهرا في نشره يبدو فيها أثر الجهد ومظهر القصد إلى التحقيق. ولكن الطابع الأول لهذه النشرة أنها نشرة مدرسية.. فهاتان الطبعتان المصريتان تتفقان في أنها اتخذتا من نشرة فإن فلوتن الأصل الوحيد فيها. وكذلك الأمر في الطبعة التي طبعت بعد ذلك في دمشق وإن كانت تتمايز عنها بمراجعة آراء بعض العلماء في مواضع من النص، وقد عقب على هذه الطبعة الأستاذ داود الحلبي في سلسلة مقالات نشرها بالمجلد العشرين من مجلة المجمع العربي بدمشق.

ثم يقول الأستاذ طه الحاجري في نهاية تصديره:

«وقد اعتمدنا في هذه النشرة على طائفتين من المصادر مباشرة وغير مباشرة. أما الأولى فتتألف من المخطوطة التي اعتمد عليها فإن فلوتن في نشرته وهي المخطوطة المحفوظة في مكتبة كبريلي، ومخطوطة أثبتت لنا في مكتبة باريس الأهلية. وأما الأخرى فتتألف من الكتب المختلفة التي رجعنا إليها في تخريج الآثار والشواهد التي ضمها الجاحظ كتابه. ثم الكتب

التي تضمنت بعض المقتبسات من كتاب البخلاء».

١ - مقدمة

ثم تأتي المقدمة التي يتحدث فيها المحقق عن الجاحظ، والنزعة الفنية عند الجاحظ، ومكانها من نزعاته الأخرى، «وكتاب البخلاء»: أصل وضعه، تاريخه، أسلوبه التألثي، الوضع الفني عند الجاحظ. أبرز الخصائص الفنية في كتاب البخلاء: الوصف، السخرية.

النزعة الفنية عند الجاحظ

كان الجاحظ إماماً من أئمة الكلام وزعياً من زعماء المعتزلة. وصاحب محلة من محلهم. وكان عالماً عريضاً بمعارف عصره لا يكاد يفوته شيء منها.. واسع الرواية، دقيق المعرفة، قوي الملكة في نقد الآثار وتمييزها. ولكنه كان فوق كل هذا كاتباً أدبياً بكل ما تتضمنه هذه الصفة من رفاة الحس وخصوبة في الخيال وقوة في الملاحظة، ودقة في الإدراك وقدرة على التغلغل في دقائق الموجودات، واستشفاف الحركات النفسية المختلفة، وتمكن من العبارة الحية النابضة والتصوير الكاشف البارز الذي يبرز الصورة بشئ ملامحها وظلالها في بساطة ودقة وجمال.

«وكتاب البخلاء» الذي تقدمه هو أكبر الآثار التي أبقت الأيام عليها متن ميراث الجاحظ الأدبي الخالص. ومن ذلك كانت تلك الصفة الأخيرة هي موضوع الكلام في هذا الفصل، ولست أحسبني مغالياً في شيء إذا ذهبت إلى القول بأنها كانت أقوى صفات الجاحظ التي قللنا ذكرها وأغلبها عليه في جميع آثاره.

ولقد يكون مرجع ذلك - في بعض أمره - إلى طبيعة الفن الجميل من شدة لصوقه بالنفس وتأثيره في الوجدان، وقدرة على مغالبة نقليات الرأي ومذاهب الحياة، ولكنه يرجع - في أكثر أمره - إلى قوة المزاج الفني وغلبة النزعة الفنية عند الجاحظ حتى ليكننا القول في غير تحرج بأن تلك القوة هي التي رفعت من شأنه بين المتكلمين من المعتزلة فجعلته علماً من أعلامهم وإماماً من أمتهم.

٢ - أصل الكتاب وضعه

ويتساءل المحقق قائلاً:

وبعد لما الذي لفت الجاحظ إلى موضوع البخلاء يصطنعه كتاباً وهل كان مبتدعاً فيه أم سبقه السابقون من كتاب العربيه إليه؟

أما أنه ابتدع الكتابة في هذا الموضوع ابتداءً فلا، فابن النديم في «الفهرست» والجاحظ نفسه في «كتاب البخلاء»، بشيران إلى أن له في هذا الموضوع أسلافاً من أمثال الأصمعي وأبي الحسن المدائني وأبي عبيدة، ولكن الأمر يختلف بين الجاحظ وبينهم ونحن في هذا الفصل نحاول أن نحدد الألوان المختلفة والنزعات التي كانت تسود هذا النوع من الكتابة.

كانت أحاديث البخل وأخبار البخلاء تسير في طريقتين ونتجه إلى غايتين. وفي أحد الطريقتين يقوم دعاة الشعوبية فيردون على العرب فخرهم التقليدي، بالكرم ويقولون إن أكثر هذا الفخر كلام لا يني به الفعل، ونوع من النفع لا حقيقة له في الواقع. وفي سبيل ذلك يذهبون يتلقطون من هنا وهناك أخبارهم مما يتعلق بمآكلهم الغنية ومطامعهم الكريمة وهيئة معيشتهم الخشنة إلى غير ذلك مما هو من لوازم البداوة، لينغصوا بذلك من قدرهم في نظر جمهور الناس ويحيطوهم في أخيلتهم بجو من الضعة والمهانة، وليقولوا لهم: أنسى نكون مع هذه الحياة الدنيئة التي يحبسها كل تلك الدعاوى العريضة التي يشدق بها الشعراء ويتغنى بها أنصار العربية المنافعون عنها. كما وجدوا في باب الهجاء عند شعراء العرب مادة موفورة بصدور عنها والهجاء قائم على التجني.. والعرب إذا وجدت رجلاً من القبيلة قد أتى قبيحاً ألزمت ذلك القبيلة كلها كما يقول الجاحظ.

وفي الطريق الأخرى، يقوم دعاة الدولة القائمة ومن وضعوا أنفسهم في خدمة السلطان ومسايرته في سبيله من العلماء وأهل الأدب، ومن هؤلاء من ينصر الدعوة العربية وينعصب لها كالأصمعي، ومنهم من هو أميل إلى الشعوبية كالمدايني. ولبيست الدعوة للدولة بعبادة عن الدعوة للشعوبية فبينهما وشائج واصله وإن كانت قد اتخذت لوناً خاصاً بها.

ولقد كانت الدولة العباسية تشعر منذ قامت على أنقاض الأمويين بالحاجة إلى التمكن لنفسها والتخلص من هذه الأشباح الدموية التي كانت تنخيل لها، ببث الدعوة ضد هؤلاء الذين كانوا

ما يزالون يمثلون في كثير من الأذهان طائفة من المزايا والفضائل لا بد للدولة من محاولة محققها باصطناع ضروب مختلفة من الدعاية إلى جانب ما كانت تصطنعه من أخذ الأمويين وأنصارهم بالقوة وتحريم الإشادة بذكرهم، فكان من مظاهر هذا الموقف الذي اتخذته ضد الأمويين أن يسوحى إلى العلماء والكتّاب بكتابة الكتب وإذاعة الرسائل، إشادة بمآثر الدولة القائمة، وتمجيد العباس بن عبد المطلب، وتفضيل هاشم علي عبيد فمس إلى غير ذلك من الموضوعات التي تحقق ذلك الغرض من التماس شنع الأمويين وتصنيف الكتب فيها.

ولعل من أقرب الشنع تأثيراً في نفوس الجماهير ما يتعلق منها بالطعام بين الشره الذي تنفّز منه الحضارة والبخل الذي تنفر منه الإنسانية، ومما يتجاوزان كثيراً في حديث البخلاء.

وهكذا نجد أن معاوية كان «نهماً شحيحاً على الطعام.. كان يأكل كل يوم خمس أكلات آخرهن أغلظهن ثم يقول: يا غلام ارفع فؤاها ما شيعت ولكن مللت، وأنه أصلح على عجل مشوي فأكل معه دستاً من الخبز السميد وأربع خرافي وجدياً حاراً وآخر بارداً سوى الألوان، ووضع بين يديه رطلاً من البساقلا الرطب فأتى عليه».

وعبد الملك بن مروان كان يلقب «برشح الحجر ولبن الطير، لبخله». وكذلك كان هشام بن عبد الملك فيما يذكرون كان بخيلاً شديد البخل كما يقول ابن الطقطقي.

وذكر الجاحظ أنه دخل حائطاً له فيه فاكهة وأشجار ولما فجعلوا يأكلون ويدعون بالبركة. فقال: هشام: يا غلام اقلع هذا واغرس مكانه الزيتون. وكذلك كان عمال العصر الأموي ووجوه كخالد بن عبد الله القسري، وخالد بن صفوان المنقري، والمغيرة بن عبد الله الثقفي، وزياد الحارثي، وبلال بن الجابر، والحكم بن أيوب الثقفي ومن إليهم موضع التندر بالبخل والشره من الأصمعي والمدائني وأبي عبيدة.

وقد أورد الجاحظ من هذه الأخبار مسندة إليهم وهي مقصورة على العصر الأموي.

هذان هما الاتجاهان البارزان في الحديث عن

البخل وإقحامه في باب الكتابة والتأليف، ولا ريب أنه كانت هناك اتجاهات أخرى يتجه إليها هذا الحديث ويصطبغ بالوانها في البيئات الأدبية في ذلك العصر كبعض الأغراض الشخصية التي تثير أصحابها الرغبة إليه وتشعر نفوسهم الحاجة إلى اصطناعه.

ومهما يكن من أمر فهام أولاء أسلاف الجاحظ في الكتابة عن البخل والبخلاء، وما هوذا أسلوبهم في تناول ذلك الموضوع. ومهما تكن حقيقة الحوافز إليه فقد كانت كتابتهم فيه إخبارية لا فنية، تعرض صوراً من الحياة الماضية دون الحياة الحاضرة، ولكنه مع ذلك كان — فيما نحسب — موضوعاً لفت الجاحظ إليه ونثبه نزعته الفنية إلى اقتحامه والإبداع فيه فكان هذا الكتاب: «كتاب البخلاء».

والواقع أن مرجع الأمر في هذا الكتاب إلى نزعة الجاحظ الفنية وحدها، فهي حافظته إليه وباعثته فيه وصاحبة الأمر في تصريفه وتلونه. وإن كان الأستاذان أحمد العوامري وعلي الجارم يغمزان في الفصل الذي كتبه عنه بأنه إنما يصدر في هذه البراعة التي يمتاز فيها الوصف «البخل» وفيما يلي على السنة هذا وذلك من البخلاء من عبارات الإيثار له والحاجة عنه عن أنه كان هو نفسه بخيلاً، وبذلك استطاع أن يلقيهم الحجج على حسن التصرف بادخار المال، وأنه المحزم بعينه والتدبير الذي هو عماد الحياة المترنة الفاضلة، ولأن الولوع بالشئ يجب إلى النفس التحدث عنه والإنفاضة فيه، ولأن من عرف الجاحظ، وأن من أبرع صفاته أن يستر ما يجب أحياناً بإعلان ما لا يجب رجح أنه كان بخيلاً.

والناظر في «كتاب البخلاء» يرى أن معظم الشخصيات التي رسمها الجاحظ فيه هم من طبقة التجار حتى يمكن القول بأنه يعتبر من جوانبه تصويراً لها ووصفاً لبعض ألوان حياتها. ولا ريب أن لنشأة الجاحظ في البصرة حيث تكثر هذه الطبقة (التجار) وتحتل فيها مكاناً ظاهراً واتصاله على نحو ما بيئناها مما كان له أثره في اتجاهه إلى تصويرها.

٣ - تاريخ كتاب البخلاء

دعنا الآن نتبين قدر المستطاع الوقت الذي وضع فيه «كتاب البخلاء». وليس لدينا نص

قاطع نستطيع أن نتعرف به ذلك التاريخ على وجه يقيني أو أدق إلى اليقين.. وأكبر الظن عندنا أنه كتبه قبل وفاته بشهور.. ولقد مات الجاحظ سنة ٢٥٥ هـ.

٤ - أسلوب الجاحظ التأليفي

أما الأسلوب التأليفي «الكتاب البخلاء» فيتخلص فيما وصفه به مؤلفه من أنه في «نوادير البخلاء واحتجاج الأشحاء وما يجوز من ذلك في باب الهزل وما يجوز في باب الجبد».

فعل هذا بنى الكتاب كله إلا ما قبله به من حديث العرب والأعراب، فهو بين أحاديث يسوقها على لسان بعض من عرفوا بالبخل من معاصريه كسهل بن هارون، والحرامي، والحارثي، والكندي، والثوري، وابن أبي المؤمل، وابن التوأم، والأصمعي يحتجون لمذهبهم في الاقتصاد في النفقة والتشهير للمال، أو مذهب «الجمع والمنع» كما يحلر للجاحظ أحياناً أن يذكره بهذا الوصف ويدافعون عنه ما ينز به. فيأخذ الجاحظ في إيراد هذه الحجج مذاهب مختلفة، فهو يسوقها مرة بمساق الجبد والسخرية تفرق في خلالها، ويعرضها أخرى في معرض السخرية الصريحة والتهزؤ المكشوف، وهو في ذلك كله يحكي حركاتهم النفسية حكاية دقيقة. ويعرض ما تورده خواطرهم أساليبهم المختلفة التي تحكمهم من بواطنهم عرضاً رائعاً.

٥ - الوضع الفني عند الجاحظ

كان وضع الأحاديث وتوليدها باباً من الأبواب التي اتسمت بها نزعة الجاحظ الأدبية، ووجدت فيها متاعاً لها وبجلاً لعبقريتها. وقد يتألم بعض المتزمتين من أن نُسند إلى الجاحظ أنه كان وضاعاً مولداً، ويرون في هذا المنهج من التكذيب والتزوير ما يجعلون به الجاحظ ويرفعونه من أن يندى إليه.

أما أن الجاحظ كان يولد الأقوال ويضع الأحاديث ويفتن في ذلك شتى الأفانين، فأمر ظاهر كل الظهور في هذه الأحاديث المستطيلة والرسائل المستفيضة والقصص المقتنة التي ضمنها كتابه هذا ونسبها إلى هذا أو ذاك من رجال عصره، فإن



أسلوبها وطريقة وضعها ومنحى الاستدلال فيها كل ذلك شاهد قوي المحجة واضح الدلالة على أن الجاحظ هو صاحبها .

٦ - أبرز الخصائص الفنية في البخلاء

والآن نأخذ في إلقاء نظرة سريعة أبشاً على أبرز الصفات الفنية في «كتاب البخلاء» . ولعل أول هذه الصفات جلباً لقارئ ذلك الكتاب هو البراعة في الوصف والدقة في التصوير . ونحن حين نطلق الوصف نعني به ما يشمل الوصف الحسي والوصف النفسي جميعاً . على أن كل قطعة من «كتاب البخلاء» شاهد قوي لا يجتمل الجدل على قوة تصويره ودقة ملاحظته وخصوصية خياله وعنايته بالتفاصيل التي تحلج الصورة وتبرزها من جميع نواحيها ، وتضمها أمام القارئ وقد اجتمعت لها خصائص الوضوح وبلاغة التعبير وقوة التأثير

وأسلوب الجاحظ في الوصف هو - في حقيقة الأمر - وجه من وجوه الواقعية الغالبة عليه ، وقد أعانه على أن يبلغ بأسلوبه هذا ذلك المبلغ من دقة التصوير وروعته قوة إدراكه لقيم الكلمات وإحساسه الملهم بالظلال التي تنتشر عنها .

٧ - السخرية في البخلاء وبعض سمات الجاحظ الفنية الساخرة

نستقل بعد هذا إلى الكلام عن صفة أخرى من أبرز الصفات الفنية التي تبدو هنا في «كتاب البخلاء» وهي (السخرية) ، فنلقي عليها نظرة سريعة فدر ما يعيننا على تفهم هذا الكتاب واستبطان روحه .

ترجع السخرية إلى طبيعة الجاحظ ومزاجه ، فقد كان رجلاً مرح النفس متلهلاً للخفايا منطلق الوجه نزاعاً إلى الضحك . ومن ذلك ما نجده لديه من الدعوة إلى الضحك والمزاح والفكاهة والدفاع عنها ورد ما يعترض به عليها . كما نرى صورة بينة من ذلك في مقدمة البخلاء ، وفي ذلك الفصل الطويل القيم الذي تحدث فيه عن المزاح وعرض لوجهة النظر المختلفة فيه في رسالة الترييح والتدوير . ولقد كان يرى أن الميل إلى المزاح والتقبل له إنما يكون من

سهولة الخلق وسعة الأفق ، إذ يقول في موضع آخر من هذه الرسالة :

«ومن يغضب من المزاح إلا كثر الخلق ومن يرغب عن المفاكهة إلا ضيق العطن» .

كما كان يحكي عن نفسه كيف كان يسترسل في الضحك ويفرق فيه . ونرى مثلاً من ذلك في القصة التي قصها عن نفسه مع محفوظ النقاش .

فأكثر الظن عندنا أن مبل الجاحظ إلى السخرية وما إليها إنما جاء - أول شيء - عن هذه الطبيعة المرحبة المتبسطة الضاحكة ، ثم من أنه كان - إلى هذا - رجلاً سهلاً الجانب لين الحاشية محباً للناس عطوفاً عليهم . لا يضيق بهم ولا يتبرم بعيوبهم ولا يتسخط عليهم . . وإنما هم في مختلف أشكاهم وشتى مسالكهم صورة من هذه الحياة التي يحبها ، وأمثلة من الإنسانية التي يقدرها ويعطف عليها .

ومن هنا سلكت نفسه في تقديم مسلك السخرية اللطيفة التي تشير إلى مواطن العيوب ، وتصورها في جو مرح تتخلله بسيمات الاستحسان وتغمره ضحكات السرور . فالجاحظ نقاد بطبيعته ولكن لين جانبه وحبه للحياة نكبا به كثيراً كثيراً عن طريق الجد الصارم في النقد . وما يكون في هذا الطريق كثيراً من الغضب والتسخط والبغضاء وما إليها من المعاني المبينة للحب المزورة عن سبيل الحياة . وله في هذا كلمة دقيقة لعل فيها بياناً لتلك الطبيعة وتفسيراً لذلك المذهب وهي قوله :

«الجد ميغضة والمزح محبة» .

وجملة القول إن قوة حيوية الجاحظ هذه تعتبر من أول العوامل في هذه الزعة الساخرة العابثة . ذلك هو الجاحظ الساخر العابث . «وكتاب البخلاء» هو من أكثر آثاره الأدبية تأثراً بهذه السخرية وكشفاً عن هذه الطبيعة المرحبة إذ تكاد كل قطعة من قطعه وكل صفحة من صفحاته تجلو لنا صورة كاريكاتورية رائعة لا نقضي منها عجباً وحتى النهاية .

وقبل أن نفرغ من هذه النظرات العابرة والملاحظات على بعض وجوه الجاحظ الفنية نحب أن نشير إلى بعض السمات التي تتسم بها سخرية الجاحظ :

من أي نوع كانت هذه السخرية وأي لون كانت تصطنعه ؟ أكانت سخرية عارية

فاقة تبالغ في إبراز ما تريده وفي الألوان التي تسبغها عليه مبالغ صارخة كما هو الشأن في أكثر سخرية العامة ؟ .

كلا . . لما كان من الجاحظ ليلجأ إلى هذا الأسلوب الفج الذي يفسر به العامة ضحك العامة . وهو رجل الفن . . الصناعات الدقيق الذهن . . الجيد السبك ، وإنما هي السخرية التي تقصد إلى الأدواق المترفة والمدارك المرفهة حتى لقد يرى البعض من القراء هذه الصورة أو تلك من صور السخرية فلا يكاد يتنبه إلى مواطن السخرية فيها . إذ كانت سخرية الذهن الدقيق والذوق الرفيع المهذب والفن الخالص الممكن .

وقد أشار الجاحظ - إشارة ما - إلى مذهبه هذا في التعليق على قصة ما كان يتناقله الناس عن رجل عرف بأشنع البخل فلما مات قدم ابنه فسأل عن آداهم فإذا هو قطعة من الجبن وإذا فيها حزم من أثر مسح اللقمة فرأى في هذا الخزم ما يدل على الإسراف فغضب . . فقبل له :

«فأنت كيف تريد أن نصنع ؟» . فقال : «أضعها من بعيد فأشير إليها باللقمة» .

قال الجاحظ في التعليق على هذه النادرة : «ولا يعجبني هذا الحرف الأخير لأن الإفراط لا غاية له . وإنما يحكي ما كان في الناس وما يجوز أن يكون فيهم . . مثله أو حجة أو طريقة فأما مثل هذا الحرف فليس مما نذكره» . فني هذا التعليق ما قد يشير إلى مذهب الجاحظ في التصوير الساخر وهو المذهب الذي نستطيع أن نراه مطرداً في «كتاب البخلاء» .

وبعد فهذا ما قصدنا إلى ما تقدم به للقارئ ذلك الأثر الرائع من آثار الجاحظ ولم نرد أن يكون دراسة تحليلية مستفيضة له . . فذلك ما لا تتسع له هذه المقدمة .

وحسبنا أن نكون بما قدمناه قد استطعنا - فيما نرجو - أن نعين القارئ على الإحاطة بما لهذا الأثر من خطر في تاريخنا الأدبي وفي ثروتنا الفنية .



الأوبرا



تشايكوفسكي ، بيتر :

ولد في ٧ مايو (أيار) سنة ١٨٤٠ م ، بروسيا . ظهر نبوغه الموسيقي وهو في سن الرابعة عشرة من عمره . بدأ دراسته الجديدة للموسيقى عام ١٨٦٣ م ، بعد استقالته من وظيفته الحكومية . وضع العديد من المؤلفات الموسيقية أثناء دراسته ولم يظفر بالنجاح إلا في «افتتاحية العاصفة» . كتب العديد من الأوبرات إلى جانب مؤلفاته الموسيقية المتنوعة . من أوبراته : «الفيفودا» (١٨٦٩ م) - «أونوين» (١٨٦٩ م) - «الحارس» (١٨٧٤ م) - «عذراء أورليان» (١٨٨١ م) - «أوبرشينك» (١٨٧٣ م) - «مازيبا» (١٨٨٤ م) - «بولانتا» (١٨٩٢ م) . أشهر أوبراته : «إوجين أوفيجن» (١٨٧٨ م) و «ملكة البستوني» (١٨٩١ م) .



جيرشوين ، جورج :

يعد واحداً من أبرز من نجحوا في إيجاد الأوبرا الأميركية الخالصة ممن سبقوه في هذا المجال أمثال «هانسون» و «ديمز تايلور» و «لويس جروينبرج» . من أشهر أعماله أوبراه الشهيرة «بورجي وبيس» المأخوذة عن رواية «ديبون هيوارد» باسم «بورجي» وتدور أحداثها في حي الزنوج بمدينة شارلستون .



حلاق إشبيلية :

أوبرا مرحلة من فصلين . وضع أليساندرو بوتشيني الإيطالي «جواكينو



أوبرا :

لفظة أوبرا مشتقة من كلمة Opera باللاتينية بمعنى «عمل» ولا يوجد لها معنى محدد تماماً . بل اختلف معناها من عصر إلى عصر ومن مكان لآخر . ويطلق الاسم بصفة عامة على «لون موسيقي من الدراما يتألف من الحان وأشعار وأناشيد يتخللها موسيقى ومناسظر وتمثيل» . ويرجع نشأة الأوبرا إلى عام ١٦٠٠ م ، عندما مثلت في «فلورانس» أوبرا «إيريديس» للموسيقى «يري» . ثم تلاحت التطورات على الأوبرا ، فظهرت الأوبرا «الفينيسية» (نسبة إلى مدينة فينسيا) وعلى رأسها «كلوديو منتفردى» . التي أعطت مزيداً من الاهتمام بالموسيقى حتى جاء الموسيقار النمساوي «جلوك» وأعاد للكلمة مكانتها ، وهكذا تعاقبت التطورات على الأوبرا في أكثر من مكان ، وكل منها يمثل الصراع بين الكلمة والموسيقى من أجل استخلاص فن جديد قائم بذاته .



بوتشيني ، جياكو :

من مواليد مدينة «لوكا» بإيطاليا في ٢٢ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٨٥٨ م . نشأ في أسرة اشتهرت بالنبوغ في الموسيقى . ترك حصيلته كبيرة من التراث الفني مثل «لافيل» و «ادجار» ، إلا أن شهرته الحقيقية جاءت عام ١٨٩٦ م ، حين ظهرت أوبراه المشهورة «البوهيمية» ثم «توسكا» سنة ١٩٠٠ م ، و «مدام بترفلاي» سنة ١٩٠٤ م ، وهي أشهر أوبراته بين العديد من الأوبرات . توفي في «بروكسل» سنة ١٩٢٤ م .

«البريخ» أن يصمد فلم يقع في الحب ليصل إلى الكنز والحانم الذي يضمن لصاحبه السلطان والقوة .



روسييني ، جواكينو :

مؤلف إيطالي مشهور . من مواليد مدينة بيسارو في ٢٩ يناير (كانون الثاني) سنة ١٧٩٢ م . بدأ أعماله الأوبرالية عام ١٨١٠ م ، حيث قدم أول أوبرا له من فصل واحد باسم «كمبيالة الزواج» . وفي سنة ١٨١٣ م ، وضع أول أوبرا خلدت اسمه وهي «تاتكريدي» ثم «إيطالية في الجزائر» في نفس العام ، و «العصابات» عام ١٨١٥ م . وفي الرابعة والعشرين من عمره وضع أوبراه الشهيرة «حلاق إشبيلية» سنة ١٨١٦ م . من أوبراته الأخرى «عطيل» و «سميراميس» ثم «ولهم تل» .



زواج فيجارو :

أوبرا في أربعة فصول . موسيقى «فولفانج موتسارت» عن تمثيلية لبير دي بومارشيه . عرضت لأول مرة في فيينا أول مايو (أيار) سنة ١٧٨٦ م . ويعتبر بعض النقاد هذه الأوبرا واحدة من أعظم ثلاث أوبرات هزلية وضعها «موتسارت» مع «مدرسة العشاق» و «دون جوفاني» .



سميتانا ، بيدريس :

واحد من أبرز رؤاد الموسيقى القومية في تشيكوسلوفاكيا ١٨٢٤ - ١٨٨٤ م ، أخرجت أولى أوبراته «البراند نبرجيون» سنة ١٨٨٦ م ، وتعتمد على قصة مثيرة تدور أحداثها في القرن الثالث عشر وفيها تبرز آثار فاجنر . أما ثاني أوبراته وأكثرها شهرة فهي «الخطيئة المباحة» وأخرجت في نفس العام . . وهي تتبع التقاليد الإيطالية في التقسيمات الغنائية إلى عدة فقرات مع استغلال للرقصات والأغاني الشعبية الشعبية .



شتراموس ، ريتشارد :

من مواليد عام ١٨٦٤ م ، بمدينة ميونخ . عيّن عام ١٨٩٨ م ، قائداً

روسييني . قدمت لأول مرة بمدينة روما في ٢٠ فبراير (شباط) سنة ١٨١٦ م ، وتعتمد على مسرحية للكاتب الفرنسي «بومارشيه» تحمل نفس الاسم . وقد فقدت الافتتاحية الموسيقية لها مما جعل مؤلفها يستخدم بدلاً منها افتتاحية أوبرا أخرى له تحمل اسم «اليزابيث ملكة إنجلترا» ووافقت مقدمتها المرحلة أوبرا «حلاق إشبيلية» فاقترنت بها دون غيرها .



الخيالية ، الكوميديا :

لون من الأوبرا ظهر على يد «دانييل أوبر» (١٧٨٢ - ١٨٧١ م) ويختلف عن «الأوبرا كوميك» ، ويشتمل على أجزاء يستعمل فيها الكلام غير الملحن بدلاً من أجزاء الإلقاء الملحن الذي يجري على وتيرة واحدة . وبهذا النموذج أصبحت التفرقة واضحة بين الأوبرا و «الأوبرا كوميك» . وقد سار على هذا الأسلوب فيما بعد «أمبرو ازتوما» (١٨١١ - ١٨٩٦ م) في أوبراه «حلم ليلة صيف» . وأشهر أعمال هذا اللون أوبرا «ميثيو» .



دونيزيتي ، جيتانو :

موسيقى إيطالي ولد في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٧٩٧ م . بدأت شهرته وهو في الحادية والعشرين من عمره بظهور أول أوبرا له . قدم عام ١٨٣١ م ، أولى أوبراته المميزة للشخصية وهي «أنا بولينا» وخلال أربع سنوات قدم أكثر من ٢٢ أوبرا أشهرها : «إكسبير الحب» - «مارينو فاليرو» - «لوكرسيا بورتيا» - «لوتشيا دي لامرمور» . وفي عام ١٨٣٤ م ، عيّن أستاذاً ورئيساً لمعهد الموسيقى بنابولي . وقدم عام ١٨٤٠ م ، أهم أوبراته «المرغوبة» و «بنت الكتبية» . توفي في ١٨ أبريل (نيسان) سنة ١٨٤٨ م .



ذهب الراين :

أوبرا في أربعة فصول . شعر وموسيقى ريتشارد فاجنر . عرضت لأول مرة بميونخ في ٢٢ سبتمبر (أيلول) سنة ١٨٦٩ م ، وهي أول حلقات أوبرا «حلقة النيبلونج» وتعتبر بمنابة الأوبرا التمهيدية لها ، تبين كيف تعاقد «فغان» مع المردة لبناء قلعة تحميهم . وفي «فرايا» بين المردة كضمان لسداد أجورهم . وكيف استطاع القزم

مرة على مسرح الأوبرا المصرية في الرابع والعشرين من ديسمبر (كانون الأول) عام ١٨٧١ م.



الغسق :

أوبرا في ثلاثة فصول شعر وموسيقى ريتشارد فاغنر . عرضت لأول مرة في ١٧ أغسطس (آب) عام ١٨٧٦ م . وتعتبر هذه الأوبرا الجزء الأخير من رباعيته المسماة «خاتم نيبيلونج» التي تتكون من أربع أوبرات من بالتعاقب : «ذهب الراين» (١٨٧٦ م) - «فالكيريه» (١٨٧٠ م) - «زنجفريد» (١٨٧٦ م) - «الغسق» (١٨٧٦ م) . وتقوم على أسطورة ألمانية قديمة تحمل نفس الاسم حول سلالة من الأقزام تحرس كنزاً . وقد أمضى «فاغنر» ما يقرب من واحد وعشرين عاماً في وضعها .



فاغنر ، ريتشارد :

من أبرز من أحدثوا تطوراً في تاريخ الأوبرا ١٨١٣ - ١٨٨٣ م . بدأت سمات هذا التطوير تدريجياً منذ أوبرا «الهولندي الطائر» (١٨٤٣ م) ، إذ أصبحت أعماله بعدها تهدف إلى تحقيق ما أسماه «بالفن من أجل المستقبل» . وذلك بإدماج كل الفنون في خدمة ما أطلق عليه «الدراما الموسيقية» بالاستغناء عن التقسيمات الموسيقية السائدة بموسيقى متكاملة من بداية الفصل وحتى نهايته . . وربط جملة موسيقية واحدة بشخصية أو فكرة من داخل العمل الدرامي ذاته أو ما عرف بالالحن الدال . . وإسناد دور أكبر إلى الأوركسترا . وتعتبر أعماله التي تحمل اسم «خاتم نيبيلونج» تطبيقاً عملياً لنظريته في الدراما الموسيقية حتى أنه أنشأ مسرحاً خاصاً لأوبراته (سنة ١٨٦٤ م) هو مسرح «بايرويوت» ليقدم عليه أعماله .



القناص :

واحدة من أشهر ثلاث أوبرات وضعها «كارل ماريا فون فيبر» (١٧٨٦ - ١٨٢٦ م) الذي يعتبر مؤسس الحركة الرومانتيكية في الموسيقى الألمانية . والأوبرات الثلاث هي : «القناص» (١٨٢١ م) - «إيسريانت» (١٨٢٣ م) - «أوبرن» (١٨٢٦ م) . وتدور أحداث الأوبرا حول حطّاب يدخل في مباراة للرمية للفوز بيد فتاته باستخدام رصاص مسحور يكاد يقتل حبيبته لولا نجاتها بأعجوبة .

لاوبرا برلين ثم مديراً لها وتولى قيادة «أوبرا فيينا» عام ١٩٣٩ م . من أشهر مؤلفاته الأوبرالية : «سالوم» ١٩٠٥ م ، وهي دراما موسيقية من فصل واحد عن مسرحية «لأوسكار وايلد» . أما الأوبرا الثانية التي لاقت نجاحاً فهي أوبرا «الليكترا» (١٩٠٩ م) . هذا عدا مؤلفاته السيمفونية وأعماله الموسيقية الأخرى .



صوت :

يقسم فن الموسيقى أصوات كل من الذكر والأنثى إلى ثلاثة أقسام طبقاً لحدة الصوت أو توسطه أو غلظه . وللتمييز بينها أطلق اسم لكل قسم . فأصوات الرجال الثلاثة هي :

- (١) تينور : الصوت الحاد أو الصارح .
- (٢) باريتون : الصوت المتوسط أو الجهير الأول .
- (٣) باص : الصوت الغليظ أو الجهير الثاني .

أما أصوات النساء فهي :

- (١) سوبرانو : .. أي الصوت الحاد أو «النوى الأول» .
- (٢) ميتسور سوبرانو : .. (المتوسط) أو «النوى الثاني» .
- (٣) كونتر الطو : .. الصوت الغليظ أو «الرنان» .



الطبقة الصوتية :

هي درجة الحدة أو الغلظة (الارتفاع أو الانخفاض) للصوت الموسيقي . وتحدد الطبقات علمياً بمقدار عدد الذبذبات التي تصدر عن الصوت في الثانية الواحدة . والمعروف أن أكثر الأصوات الموسيقية انخفاضاً يكون ترددها بمقدار ٢ / ١ ذبذبة في الثانية بينما تبلغ ذبذبة أكثر الأصوات الموسيقية حدة ٤١٨٦ ذبذبة في الثانية .



عايدة :

أوبرا في أربعة فصول . من أشهر أوبرات «جوسيبي فريدي» (١٨١٣ - ١٩٠٣ م) قام بكتابتها بناء على طلب الحديوي إسماعيل عام ١٨٧١ م ، لتكون ضمن فقرات الاحتفال بافتتاح قناة السويس ، التي من أجلها أقيمت دار الأوبرا المصرية ، قام بإعداد مادتها لأول



كاميراتا . جامعة .

في عام ١٦٠٠ م، اجتمع عدد من المؤلفين والشعراء بقصر الكونت «باردي» بفلورنسا بغرض إحياء الدراما الإغريقية الكلاسيكية بإحلال الموسيقى محل الكورس الإغريقي وأن تخدم الموسيقى الكلمة . كان من أبرز هذه الجماعة «فنشيتزو جالييلو» و «جوليو كانشيني» و «يعقوب ييري» الذي اعتبر أول مؤلف أوبرا في العالم بعد عرض عمله «دافني» سنة ١٥٩٧ م، ثم «أوريديس» سنة ١٦٠٠ م، ومن هنا يعتبر النقّاد هذا العام البداية الحقيقية لتاريخ الأوبرا . وعلى يد هذه الجماعة ظهرت صفتان أساسيتان للأوبرا، الأولى : الاهتمام بإظهار الكلمات المسرحية في المقام الأول، والثانية : المظهر الأرستقراطي لها .



ليونكفاللو ، روجيرو :

من مواليد مدينة «نابولي» في ٨ مارس (آذار) سنة ١٨٥٨ م . بدأ حياته بتلميح المسرحيات الغنائية ، وبعد فشل أول أوبرا له «شاترتون» اكتفى بإعطاء الدروس الخصوصية في الموسيقى . . وسافر إلى فرنسا وإنجلترا وهولندا وألمانيا بحثاً عن الرزق . . كما سافر إلى مصر أيضاً ولحن لها أوبرا «بيدتي» ، وفي ١٧ مايو (أيار) سنة ١٨٩٢ م، قدّم أشهر أوبراته «المهرجون» وهو العمل الذي أدخله في تاريخ الأوبرا . توفي في ٩ مارس (آذار) سنة ١٩١٩ م .



متوتي . جيان كارلو :

إيطالي الأصل ولد بمدينة ميلانو سنة ١٩١١ م، ثم أقام بالولايات المتحدة وحصل على الجنسية الأميركية ، يعد واحداً من رواد الأوبرا الأميركية مع «كورت فايل» و «دوجلاس مور» و «مارك بليتزشتاين» . أول أعماله أوبرا هزلية من فصل واحد بعنوان «إميليا في حفلة رقص» عام ١٩٣٧ م، ومن أعماله الأخرى ثلاث أوبرات جادة هي : «الجزيرة» (١٩٤٢ م) - «الوسيط» (١٩٤٦ م) - ثم «القنصل» (١٩٥٠ م) .



نابولي ، مدرسة .

بدأت مدينة نابولي منذ أواخر القرن السابع عشر تحتل مركزاً هاماً في

تطوير الأوبرا . اشتهرت بكبار مغنيها ومعاهدا الموسيقية التي أصبحت تعرف بمعاهد «الكونسيرفتوار» . من أشهر هذه المعاهد : «معهد سانتا ماريا» (١٥٨٩ م) ، ومعهد «سان افنوريدي» (١٥٧٦ م) ، ومعهد «دي بوفيري كريستو» (١٥٨٩ م) ، ومعهد «ديلك بيتا دي توركيني» (١٥٨٤ م) . كان هدف مدرسة نابولي براعة الصوت في الغناء . من أشهر نجوم هذه المدرسة : «فارينيللي» و «برناكي» .



هاندل ، جورج .

مؤلف موسيقى إنجليزي ١٦٨٥ - ١٧٥٩ م، له تأثير في تطور الدراما الموسيقية خاصة في إنجلترا ، بدأ كتابة الأوبرا منذ عام ١٧٠٣ م، على الطريقة الإيطالية . كتب للأكاديمية الملكية أكثر من عشرين أوبرا في السنوات من ١٧٢٠ - ١٧٣٧ م . وفي عام ١٧٢٩ م، كوّن فرقة موسيقية ألف لها خمس عشرة أوبرا ، من أعماله الأوبرالية : «دوفين» (١٧٠٦ م) - «ريتاالدو» (١٧١١ م) - «سيلا» (١٧١٤ م) - «رودريجو» (١٧١١ م) - «جوليو وسيزار» (١٧٤٥ م) - «هرقل» (١٧٤٥ م) .



لا تراقيانا

من أشهر الأوبرات التي وضعها «جيو سيبي فردي» وهي مأخوذة عن «غادة الكاميليا» للكاتب الفرنسي ألكسندر دوماس (الابن) التي أثارت الإعجاب عند ظهورها عام (١٨٤٨ م) ، وكان «دوماس» قد استوحى القصة عن حياة غنائية فرنسية تدعى «الفونسين ميليسيبي» وعرضت الأوبرا لأول مرة بالبندقية في ٦ مارس (آذار) سنة ١٨٥٣ م . وبعد النقّاد هذه الأوبرا نقطة تحول في تاريخ الأوبرا العالمية لمعالجتها موضوعاً واقعياً في حين كانت الأوبرات قبلها تعتمد على الخيال أو التاريخ .



ينوها

من أهم الأوبرات التي وضعها المؤلف التشيكي «ليون يافاتشيك» (١٨٥٤ - ١٩٢٨ م) ، وهي مأخوذة عن مسرحية وضعها «جابريل برايسوفا» وتروي قصة الأرملة «كدستيلينا» التي تشمل ابنة زوجها بالعطف والحب إلى الحد الذي ترتكب فيه جريمة قتل من أجلها بقتل الشاب العريس الذي يغري «ينوها» ابنة زوج الأرملة .

مناقشات

و تعاليقات

أسماء الإبل

طالعت العدد رقم (٤٦) من مجلة « الفصيل » الغراء وقرأت (دائرة المعارف) الخاصة بهذا العدد وكانت تدور حول أسماء الإبل .

ولما كنت قد قرأت ديوان عمر بن أبي ربيعة وقرأت مرادفات الكلمات والأسماء التي تضمنتها قصائده هذا الديوان وجدت بينها كثيراً من أسماء الإبل وقد ألفت بمقارنة هذه الأسماء بالأسماء الواردة في دائرة معارف مجلتكم الغراء وجدت أنها أغفلت عن ذكر عدد من هذه الأسماء وهأنا أرسلها إلى سيادتكم مؤيدة بآيات شعرية من الديوان .

الأدماء : هي الناقة المشربة سواداً أو بياضاً واضحاً :

بيننا كذلك إذ عجاجة موكب

رفعوا ذميل العيس بالصحراء

قالت لجارتها : انظري ها ، من إلى ؟

وتأملي مَنْ راكب الأدماء ؟

النجيب : الفحل الكريم من الإبل ، الجواد الكريم :

بكل قياد سلهبة سبوح

وسامي الطرف ذي حضر نجيب

الذعلبية : هي الناقة السريعة :

وكان وساده أحناء رحل

على أصلاب ذعلبة هبوب

البُخت : هي الإبل الحرسانية :

جدها الفالج الأشم أبو البُخت

ونحالاتها انتخين عرابا

البُغام : هو قطع الناقة الحنين دون أن تمده :

ترجُع الصوت بالبُغام إلى

جوف تُناغي به الشعابا الرغابا

البيزل : ج . بازل وهو الجمل في تاسع نيه :

لما تنادوا للرحيل وقربوا

بُزل الجمال لطبة وذهب

العلائف : ج . العليفة وهي الناقة التي تُعلف ولا ترسل إلى المرعى :

وفالين الحمول على نواج

علائف لم تلودها المروج

الحرف : الناقة الضامرة :

ما إن يهال غير سيني صاحب

وذراع حرف كاهلال وسادي

الخصوص : هي الإبل والحيل الغائرة العيون :

ينصون بالمومة خصوصاً كأنها

شرايح وينع أو سراء معطل

الأجد : هي الناقة الموثقة الخلق :

ياراكباً نحو المدينة حسرة

أجدأ تُلعب حلقة وذماما

محمد أحمد عويس

عزبة النخل - القاهرة

أخطاء عروضية

لفت نظري - وأنا أقرأ قصيدة للشاعر أحمد مرتضى عبده بعنوان (الأقنعة) في العدد (٦٠) من مجلة « الفصيل » الغراء - كثرة الأخطاء العروضية فيها إذ تجاوزت تقريباً نصف عدد أبياتها التي لا تزيد على تسعة عشر بيتاً ، وتلك الظاهرة مدعاة للاستغراب لأن (الفصيل) مجلة فكرية معروفة ذات وزن ثقيل بين المجالات الفكرية والأدبية المختلفة لا تحتضن صفحاتها إلا نتاجات ضخمة في شتى ميادين المعرفة ، ثم إن المجلة تضم - فيمن تضم - لجنة مشرفة على اختيار النتاجات التي تصلح للنشر . وإنني - انطلاقاً من النقد أهداف البناء - أعرض لهذه الأخطاء آملاً أن أكون عند حسن ظن الأستاذ الفاضل أحمد مرتضى عبده وحسن ظنكم جميعاً فيما أقوله إذ إن هدفي من وراء ذلك عرض الحقيقة ولا شيء غيرها أبغي والله من وراء القصد .

و تعليقات

الشاعر الجاهلي .. بين الزمان والمكان

«إن الإحساس بالزمن قديم في الشعر العربي . ففي الجاهلية لم يكن الإنسان يقيم وزناً للمكان لأنه دائم الترحال ، كان يسعى وراء الماء والكلأ في أي مكان وبالتالي زاد ارتباطه بالزمان .. » .

العبارات السابقة من مقالة «الزمن في الشعر العربي الحديث» بقلم هدية الأيوبي وذلك في العدد (٤٣) من مجلة «الفصل» .

وقد أردت التوقف عن هذه النقطة بالذات أسوق من الأدلة ما استطعت محاولاً البرهان على أن الجاهلي كان اهتمامه بالمكان أكثر من اهتمامه بالزمان ، وأجد أن الحقيقة ليست كما وردت في العبارة السابقة ، ولكن - كما هو معروف لدى الكثيرين وخاصة من يهتم بالشعر الجاهلي - بأن الشاعر الجاهلي أكثر من ذكر الأماكن فيما قاله من شعر وذلك يؤكد بأن المكان له صفة الرابطة العضوية - إن صح التعبير - أكثر منه بالنسبة للزمان .

فالشاعر الجاهلي ارتبط بأرضه التي ولد فيها ، وعاش عليها وهذا الارتباط ليس فقط حبه لتلك البقعة الجرداء ولكن أحبها وذكرها في مواقف كثيرة لأنه ارتبط بهذا المكان بأناس أحبهم وأحبوه ، كانوا معه في هذه الأرض .

لماذا لم يكن الشاعر أو الإنسان الجاهلي على وفاق مع الزمن وكان ارتباطه الأشد بالمكان ، ثمة سؤال يحظر بالبال ؛ ولكن إذا تمثلنا حياة هذا الإنسان وكيف كانت فهي حياة صاخبة تتقاذفه إلى أين لا يدري ، ففي الزمان يتمثل التغيير والحركة ، والحركة حياة ففيها من عدم الاستقرار والاضطراب أكثر من الهدوء والراحة ، أما المكان فيمثل السكون والثبات ، ففي الأرض السدفء والجاهلي ذلك الضائع في الصحراء أحوج ما يكون إلى الاستقرار والراحة من تنقله ، وذلك لا يكون إلا في حضن الأهل والأحباب ، والأهل والأحباب لا بد وأن يكونوا في مكان أو أنهم كانوا فيه لهذا أحب الجاهلي المكان ، وكرر ذكره لأنه بهذا كان يعبر عن حبه للاستقرار والهدوء المرتبطين بمكان ولهذا كان تعاطفه مع المكان نوعاً من الرد على القلق الذي يسببه الفراغ والتنقل ، إذن الشاعر الجاهلي انتصر للمكان ضد الزمان . يقول الشاعر الجاهلي :

وقبل أن أسرد هذه الأخطاء لا بد من القول إن القصيدة قد نظمت على بحر الرمل الذي يقوم على ثلاث تفعيلات في الصدر على (فاعلاتن) وثلاث تفعيلات أخرى مثلها في العجز كما يتضح في مطلع القصيدة :

من تراه الآن يهوى مصرعة

والأمانى في الخنايا مودعة

أما الأخطاء العروضية فتتضح في الأبيات الآتية :

١ - البيت الرابع (عشت أبحث عن مكان للسرى) ولا يستقيم الوزن إلا بتسكين (أبحث) ونحن نعلم أنه لا يجوز جزم هذا الفعل إذ لا شيء يجزئه فلا بد للشاعر أن (يبحث) عن كلمة أخرى ليستقيم بها الوزن .

٢ - البيت السادس (والذي يهوى العناء هو الذي) .

٣ - البيت السابع (فالورى سرب تخادعه متى) .

٤ - البيت الثامن (يستريح إلى خنوع المعمعة) وتلافياً لهذا الخطأ العروضي من الأفضل أن يقول (يستريح لخنوع المعمعة) .

٥ - البيت التاسع (..... أمنيات راح يسأل ضائعة) .

٦ - البيت الرابع عشر (ثم رحت - كأي طفل - للسما) .

٧ - البيت الخامس عشر بشطريه :

ثم لذت مع السكون برىبي

وانتظرت - مع العجائز - فاجعة

٨ - البيت السادس عشر (إنه زمن يضاجع زيفة) .

٩ - البيت السابع عشر (ليس فيه من النقاوة ومضة) ولو أنه قال (ليس فيه من نقاء ومضة) لاستقام الوزن .

وختاماً أتوجه بالشكر الجزيل لمجلة الفكر المبدع والثقافة الأصيلة مجلة (الفصل) الغراء . كما أرجو أن يستفيد الأستاذ الفاضل أحمد مرتضى عبيد من هذه الأخطاء فيما ينظم من قلائد البيان في المستقبل ومن الله التوفيق .

عبد المنعم محمد جاسم

الجمهورية العراقية/ ذي قار/ الشطرة

إعدادية الشطرة للبنين

مناقشات و تهليلات

ويقول امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها
لما نسجتها من جنوب وشمال
ترى بمر الأرام في عرصاتها
وقيعانها كأنه خبء فلفل

فالوقوف على الأطلال ليس بمجرد تقليد درج الشاعر الجاهلي على اتباعه ولكن لهذا التقليد أساس فكري يتبعه الجاهلي مدفوعاً بعواطف وإدراكات خاصة ذات أثر عميق في حياته . فالملاحظ أن الجاهلي كان من خلال محتويات المكان وارتباطها بالذين حلوه يرتبط بالمكان فقول امرؤ القيس (تري بمر الأرام ..) هو تعبير عن ارتباط الجاهلي بالحياة التي كان يحياها في مكانه .

ويقول النابغة :

فما وجدت بها شيئاً أود به
إلا القمام وإلا موقد النار

فالشاعر لم يرتبط بالموقد ، وإنما ارتبط باللواق كن يطبخن على هذا الموقد ، بل بكل الذين يستدفئون عليه .

ويقول عنتره :

كيف المزار وقد ترع أهلها
بمئزتين وأهلنا بالفيلم

فهو لا يستطيع زيارتها ، فقد أقام أهلها زمن الربيع بهذين الموضعين وأهله بهذا الموضع وبينها مسافة بعيدة ومشقة مديدة ، فهو لا يقدر أن يزورها بسبب المسافة التي بينها ، فبعد أن كانا بموضع واحد أصبحا بعيدين عن بعضهما .

ويكفي ذلك من أمثلة وهي كثيرة وخاصة عند شعراء المعلقات .

عمر معيدي الهزاع

حصص - سورية

المراجع

- شرح المعلقات السبع للزركلي
- مجلة العلم العربي عدد (٢) ١٩٦٣ م .

زعم البوارح أن رحلتنا غدا

ويذاك خبرنا الغراب الأسود
لامرحباً بغد ولا أهلاً به
إن كان تفريق الأحبة في غد
يلاحظ هنا كيف ارتبط الزمان بذهن الشاعر بفراق الأحبة والأهل .

ويقول زهير :

وقفت بها من بعد عشرين حجة
فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أنافي سفعاً في معرس مرجل
ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

بعد عشرين سنة لم يبق إلا أطلال فهو يقول وقفت بدار أم أوفى بعد مضي عشرين سنة من بينها ، وعرفت دارها بعد التوهم بمقاساة جهد ومعاناة مشقة ، وعرفت حجارة سوداً ينصب عليها القدر ، وعرفت نهيراً كان حول بيت أم أوفى بقي غير مثلم كأنه أصل حوض ، نرى أن الشاعر يقاوم الزمن لم يستطع أن ينسيه هذه الديار بل إن الزمن لم يستطع أن يؤثر في المكان (ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم) .

إذن فالإنسان والمكان أقوى من الزمان ، وهكذا ينتصر المكان على الزمان عند الشاعر الجاهلي بل قد يكون الزمان أحياناً وسيلة عند الجاهلي بينما يكون المكان أقرب إلى الغاية كقول الحارث :

فحبست فيها الركب أحدهس في
كل الأمور وكنت ذا حدس
حتى إذا التفع الظباء باط
راف الكناس وقلن في الكنس
ويشنن مما قد شغفت به
منها ولا يسلبك كاليأس
أتمني إلى حرف مذكرة
نهصل الحص بمواقع خنس

ويقول النابغة :

يا دار مية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأمد
وقفت فيها أصيلاً أسانلها
عيت جواباً وما بالربع من أء

الفائزون في المسابقة

سبق لي أن شاركت في مسابقة مجلة «الفصل» في أعداد سابقة، ولكن لم أوفق في الأجوبة الصحيحة، وفي العدد (٥٣) سبتمبر (أيلول) ١٩٨١م، شاركت في مسابقة هذا العدد وكانت إجابتي كلها صحيحة. ولكن للأسف لم أر اسمي ضمن الفائزين مع العف بأن أجوبتي كلها صحيحة. لهذا بادرت إلى الكتابة إليكم مستفسراً عن سبب عدم فوزي في هذه المسابقة.

وقد لاحظت أن هناك تناقضاً بين ما طلبم في أسئلة مسابقة العدد المذكور (٥٣) وبين ما نشرتموه. وذلك في السؤال الثالث حيث كان نصه كالتالي: السؤال الثالث: هذه أسماء (دواوين) لعدد من الشعراء السعوديين المعاصرين اذكر أسماءهم: وحي الخمران - فصائد في زمن السفر - معركة بلا راية - أغنيات لبلادي.

ففي العدد (٤٠) من المجلة لشهر (أغسطس) (آب) سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠م وتحت عنوان: (دائرة المعارف): أدباء سعوديون نشرتم: الفصل (الأمير عبد الله): من دواوينه المطبوعة: (وحي الخمران). القصص (غازي عبد الرحمن): من دواوينه (معركة بلا راية).

وفي العدد (٤٩) من المجلة لشهر (مايو) حزيران ١٩٨١م، وتحت عنوان: كتب جديدة نشرتم ما يلي:

أغنيات لبلادي: مجموعة شعرية للشاعر: سعد البواردي - فصائد في زمن السفر: ديوان شعر جديد للشاعر: أحمد صالح الصالح (مسافر) .. فل تنشروا كلمة (الدكتور) للشاعر القصصبي. بل نشرتم: القصصبي (غازي عبد الرحمن).

كما أنكم نشرتم في هذه الأجوبة كلمة (شعر) لكل من الشعراء السعوديين الأربعة بدلاً من أن تنشروا كلمة (ديوان) كما جاء ذلك في صيغة أسئلتكم.

وهذا تناقض. وإن كان معنى الديوان هو: مجموعة شعرية. أما الشعر فليس هو الديوان إذ قد يكون الشعر قصيدة خاصة وليس ديواناً. لأننا نراعي في أجوبتنا لكم التقيد بلفظ أسئلتكم حرفياً. فإذا طلبم منا كلمة: ديوان يكون جوابنا بلفظة (ديوان)، وإذا طلبم منا كلمة: (شعر) يكون جوابنا بكلمة: (شعر) وهكذا تبعاً لصيغة أسئلتكم. إن أجوبتي التي بعثت بها إليكم بتاريخ: (١٢) سبتمبر - أيلول ١٩٨١م) أي بعد وصول المجلة عندنا لمدينة فاس بـ: ١٢ يوماً فقط، هي مطابقة تمام الانطباق حرفياً لما نشرتموه في أجوبة هذه المسابقة. ولكن مع هذا وذاك لم أك من بين الفائزين لا من الصنف الأول ولا من الصنف الثاني ولا من الأخير. (إن لم يصبها وابل فطل) لما هو السبب إذن؟ هل هذا من سوء حظي كما قال الشاعر (قاتل بسعد ولا فدهع) أم أجوبتي لم تصلكم؟ أم هناك شيء آخر غير

هذا وذاك؟ أرجو منكم إيضاح ذلك وعن طريق أعمدة المجلة طبعاً في ركن: (مع الأصدقاء) ليظمن قلبي وأرجو الله أن لا يتكرر مثل هذا مستقبلاً.

أعانكم الله ووفقكم وأطال عمركم جميعاً حتى تزودوا رسالتكم العلمية النبيلة عن طريق مجلتنا المحبوبة: «الفصل» وحفظ الله جميع من يعمل بإدارة هذه المجلة الغراء. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

محمد العلمي
فاس - المغرب

● المجلة: المعروف أن توفيق أي مشترك في الإجابات الصحيحة على أسئلة المسابقة ليس بالضرورة توفيقه في الفوز بإحدى جوائزها. لأن كثيراً من المشتركين في المسابقة يوفقون في الإجابات الصحيحة، وعددهم يفوق عدد الجوائز، وفي هذه الحالة تقوم لجنة المسابقة بإجراء القرعة بين القراء الذين وفقوا في الإجابات الصحيحة. ومن ثم معرفة أسماء الفائزين في القرعة. فالإجابة الصحيحة على أسئلة المسابقة لا يعني ضرورة الفوز بإحدى الجوائز إذا لم يقدر له الفوز بالقرعة. وهذه القاعدة متبعة في كل المسابقات المشابهة لمسابقة مجلة «الفصل».

أما إشارتك إلى المعلومات الواردة في دائرة معارف المجلة بذكر الاسم الأخير للشخص سواء كان شاعراً أو أديباً وهو اسم العائلة

عادة فهذه قاعدة علمية تتبعها أغلب المعاجم ودوائر المعارف فاسم غازي عبد الرحمن القصصبي يرد في حرف (القاف) بحيث يكون (القصصبي: غازي عبد الرحمن) وهكذا.

وسألنا كما أشرت في رسالتك عن دواوين الشعراء، وليس شعرهم. .. والإجابة لم تخرج عن السؤال. .. وليس في الأمر ما يدعو إلى الالتباس بين كلمتي «شعر» و«ديوان».

رابع المستحيلات

● من بورسعيد في مصر يسأل القارئ (محمد فكري عبد الجليل علي) عن مضمون عبارة «من رابع المستحيلات» .. ولماذا تميز أمر ما برابع المستحيلات مع أن المستحيلات عديدة لا حصر لها؟

● وردت هذه العبارة في كتب الأدب العربي. .. قال الشاعر:

لما رأيت بني الزمان وما بهم خل وفي للشدائد أصطفي أبقت أن المستحيل ثلاثة

الغول والعنقاء والخل الوفي

وهذا يعني أن المستحيلات في أيامهم ثلاثة هي «الغول» و«العنقاء» و«الخل الوفي»، فإذا صادفهم مستحيل عدوه رابع المستحيلات. .. وهذا لا يمنع أن يوجد مستحيل خامس، وسادس، وعاشر.

عن المتصورة

ورد في مجلتكم «الفصل» في العدد (٤١) موضوع «المنصورة .. عروس دلتا مصر» في باب «مدينة وتاريخ».

وأحب أن أشيد بمجهود المجلة التي غطت تاريخ وحاضر هذه المدينة العريقة .. وفقكم الله في رسالتكم لزيادة الروابط بين أفراد الأمة العربية.

ولكن ورد خطأ في هذا الموضوع هو في «ص ٣٩» تحت الصورة المنشورة تعليق بأن الصورة لدار ابن لقمان التاريخية كما تبدو من الخارج.

ولكن أحيط سيادتكم علماً بأن الصورة «لقصر الثقافة» وهو من المباني الحديثة المطلّة على النيل ولم يستكمل بناؤه بعد ولكنه في طريقه إلى الاستكمال، ولهذا أردت التنويه وشكراً.

وفقكم الله في أداء رسالتكم في خدمة الوطن العربي وإثراء اللغة العربية.

عاطف محمود أبو العينين

محافظة الدقهلية - مصر

قصة الخلق من النطفة إلى الجنين . وسؤال

طالعت في مجلتكم الغراء العدد (٤٠) موضوعاً أعجبني هو «قصة الخلق من النطفة إلى الجنين» بقلم الأستاذ عبد الرحمن حريثاني وقد أعجبني المقال جداً ولكن نتيجة قراءتي

للموضوع برز لي استفسار احترت في توصيله للأستاذ عبد الرحمن لعدم معرفتي لعنوانه ولذلك كتبت إليكم لتوصيل هذا الاستفسار للأستاذ عبد الرحمن أو إرسال عنوانه لي.

بالنسبة للاستفسار هو أنه ورد في هذا المقال في «ص ١٠١» السطر (١٥) هذه العبارة:

«ولعل هذا يفسر حياة المواليد الذين يأتون قبل اكتمال مواعيدهم المحددة».

ولقد فهمت من هذا الكلام أن هذا النوع من المواليد يكون كثير الاستفسار.

أرجو من الأستاذ توضيح هذه العبارة أو بيان طبيعة حياة هذا النوع من المواليد.

وأحب أن أنبه إلى نقطة أخرى وهي أنه ورد في العدد (٤١) صفحة (٣٩) وتحت الصورة كلام يدل على أن هذه الصورة لدار ابن لقمان وهذا خطأ، فالصورة لقصر الثقافة في المنصورة ولا يحتاج الإنسان لاكتشاف ذلك إلا تدقيق بسيط فالبناء جديد جداً.

فوزي عبد الحليم الصادي

المنصورة - مصر

قصة الخلق

قرأت في العدد (٤٠) من مجلتكم موضوعاً خاصاً حول قصة الخلق من النطفة إلى الجنين بقلم الأستاذ عبد الرحمن حريثاني .. وفيه يتناول مع الصور الملونة تطور مراحل الخلق، وهذا يدل دلالة واضحة على قدرة الخالق سبحانه وتعالى، أرجو أن تتابع المجلة نشر

مثل هذه القضايا والأمور الهامة والحيوية.

وسألكم هل التعليق على الكتب التي ترد إليكم في باب (كتب وردت إلى المجلة) يتم من جانبكم أم من جانب المؤلف.

محمد محب الدين

القصر، حمص - سورية

● المجلة:

نشكر لك أيها الصديق اشارتك حول موضوع قصة الخلق، ونسأل الله أن يوفقنا للقيام بدورنا على الوجه المطلوب، وبما نمنع القراء .. أما فيما يتعلق بالكتب فيم التعليق عليها من جانبنا بعد الاطلاع على الكتاب الذي يصل إلى المجلة كهدية من المؤلف.

تنقيط المصحف الشريف

● من دير الجبال في سورية يسأل القارئ (محمود حسن حميدو) عن تنقيط المصحف الشريف .. متى وفي عهد من .. ولماذا؟

● الجواب:

إن نقط المصحف لم يحدث على المشهور إلا في عهد عبد الملك بن

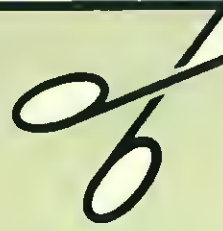
مروان، إذ رأى أن رقعة الإسلام قد اتسعت، واختلط العرب بالعجم، وكادت العجمة تحس سلامة اللغة، وبدأ اللبس والإشكال في قراءة المصاحف يلح بالناس، حتى ليشق على السواد منهم أن يبتدوا إلى التمييز بين حروف الصحف وكلماته وهي غير منقطعة.

هنالك رأى بناتق نظره أهمية انقاذ الأمر، فأمر الحجاج أن يُعنى بهذا الأمر، ونسب الحجاج رجلين جليلين هما (نصر بن عاصم الليثي)، و (يحيى بن يعمر العدواني) فقاما به خير قيام، وهما من أهل الصلاح والورع، والخبرة بأصول اللغة، ووجوه قراءة القرآن .. وقد تعلمنا وأخذنا عن أبي الأسود الدؤلي.

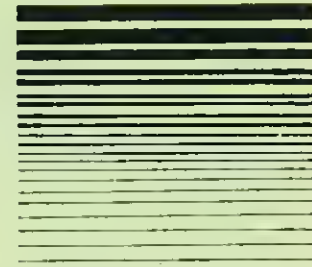
ويمكن للقارئ الكريم أن يراجع «مناهل العرفان في علوم القرآن»، للزرقاني، وكتاب «الاتقان في علوم القرآن» للسيوطي، وكلاهما مطبوع، ولا يستبعد وجودهما في أغلب المكتبات العربية .. وفيها مزيد من البحث في موضوع تنقيط المصحف، وغيره من البحوث النافعة.



شروط المسابقة وإيضاحات أخرى



مسابقة مجلة الفيصل



١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

ج - الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) .
وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. ورافقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل -
ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

● أجوبة مسابقة العدد (٦٩) ●

ج ٣ أ - المستنقع : هو المكان الذي ينقطنى بالماء ، وليس له مجرى ، مياهه ثابتة .

ب - المور : هو بقعة من الأرض الرطبة اللينة ، تكون عادة ذات منسوب منخفض وتغطيها المياه كلياً أو جزئياً ، ويميزها عن المستنقع أنها لا تنقطنى بالماء إلا مؤقتاً .

ج ٤ عرف شجر المطاط منذ « ٤٥٠ » سنة ، والذين اكتشفوه الباحثون الإسبان في أمريكا الجنوبية أثناء بحثهم عن الذهب والفضة .

ج ٥ يعتبر حوض « جون » أكبر حوض للأسماك في العالم شيد في « شيكاغو » ويحتوي على (١٠) آلاف صنف من الأسماك التي تعرض للزوار .

ج ١ مؤلفو الكتب التالية هم :

عقد الجهان في تاريخ أهل الزمان : بدر الدين العيني .

الصحاح : إسماعيل بن حماد الجوهري .

زاد المعاد في هدي خير العباد : ابن قيم الجوزية .

الإصابة في غريب الصحابة : ابن حجر العسقلاني .

ج ٢ عبد الملك بن فريب بن عبد الله الأصمعي ينتهي نسبه إلى فيس

عيلان .. هو صاحب لغة ونحو وغريب وأخبار وملح .. كان من أهل

البصرة ، ولد عام ١٢٢ هـ .. قدم بغداد أيام الرشيد .. كان يحفظ سنة

عشر ألف أرجوزة .. من كتبه « الأصمعيات » ، و « تاريخ العرب قبل

الإسلام » ، و « فحولة الشعراء » .

قسيمة
مسابقة مجلة
الفيصل
العدد (٦٩)

الاسم :
المهنة :
العنوان :

٥ - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

السؤال الأول :

أين توجد هذه الجوامع والمساجد :

مسجد الغمامة - الجامع الأزهر - جامع عقبة بن نافع - جامع القرويين .

السؤال الرابع :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

العقد الفريد - بدائع البدائ - صبح الأعشى - عيون الأنباء في طبقات الأطباء .

السؤال الثاني :

أحد البلدان التالية عرف بأنه البلد الذي يوجد به خمسة آلاف نهر (الفيليبين - بريطانيا - الصين - البرازيل) . اذكره في إجابتك .

السؤال الخامس :

«أما أنا فأرى واجباً أن يدعى النبي محمد منقذ الإنسانية . واعتقد أن رجلاً مثله لو تولى زعامة العالم الحديث لنجح في حل مشكلات هذا العالم ، وأحل فيه السلام والسعادة» . هذه العبارة قالها أحد الكتّاب الآتية أسماءهم : (توينبي - كارليل - برنارد شو - راسل) .

السؤال الثالث :

اذكر اسم أول جامعة أنشئت في أوروبا . . وأين توجد اليوم ؟ (لندن - السوربون - درم - كامبريدج) .

● نتيجة مسابقة العدد (٦٢) ●

● فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخ علي بن علي صالح الرويشان ، اليمن ، صنعاء ، ص . ب . (١١١٦) .

● وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ عماد أحمد أديب ، ميشيجان ، الولايات المتحدة الأمريكية .

● وفاز بالجائزة الثالثة وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ شاهر علي حمدان ، الكويت ، وزارة الكهرباء والماء المشاغل الرئيسية ص . ب . (٥١٦) بواسطة علي محمد حمدان .

وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماءهم :

● من الرياض ، منفوحة ، بقالة الوادي الحديث ، الأخ حمدان مبارك محمد القدان .

● من الأردن - عمان ، ماركا الجنوبية ص . ب . (٤٢٠١٤٤) ، الأخ أحمد عطية محمد علي .

● من المدينة المنورة ، ص . ب . (١٧٩٧) طبيب سمير إسماعيل خليل .

● من المغرب - تطوان ، الأخت أنيسة أولاد عيسى .

● من العراق - بغداد ، ٢٦ / ٢٦ حي اليرموك ، الأخ عبد الرزاق حمادي الجزائر .

● من سورية - دمشق ، الأخت رجاء محمد حطيفي .

● من السودان - المهديّة ، ص . ب . (٩٤) ، الأخ روهينج دبلايه .

بالإضافة إلى عشر جوائز قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماءهم :

● من الأردن - عمان ، الأخت هيام إسماعيل ضمرة .

● من الرياض ، أمانة مدينة الرياض ، القسم الهندسي ، الأخ عبد العزيز يوسف بن رشيد .

● من السودان ، الخرطوم ، جامعة الخرطوم ، الأخ خليل عباس إبراهيم بواسطة أخيه موسى عباس إبراهيم .

● من سورية - حلب ، الأخت رتيبة حمزة صالح .

● من تونس - المرسى ، 11 برج الحوكي نهج (6) ، الأخ عادل السمعي .

● من المغرب - الدار البيضاء ، حي للا مريم بلوك (105) الرقم (15) ، الأخ الشوكي عبد اللطيف .

● من مصر - الإسكندرية ، سيدي بشر ، الأخت إيمان نبية خليل البدراري .

● من مصر - القاهرة ، مساكن عبي ، مدخل ٢٨ شقة (٦) ، مبدان الخلفاوي شبرا ، الأخ فاروق يوسف إسكندر .

● من تونس - تطاوين ، الأخت آمنّة الحبيب الناجح .

● من الجزائر - جيجل ، متوسطة بلال الطاهير ، الأخ غراز الشريف .

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح أمام القارئ آفاقاً أوسع وأرحب وأبعد مدى».



كتب
وردت إلى
المجلة

الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا

من تأليف الدكتور عبد المنعم رسلان يتضمن دراسة عن الحضارة الإسلامية بجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا بتركيز على المميزات الفنية لنشاط المسلمين في تلك المناطق. وقد جاءت الدراسة مزودة بتأذج مصورة من الخط العربي والتفويش والزخارف المختلفة. الكتاب يأتي ترتيبه الرابع ضمن سلسلة الكتاب الجامعي التي تصدرها تهامة بجدة يقع في (٣٥٠) صفحة من القطع المتوسط.

منية السؤل في تفضيل الرسول صلى الله عليه وسلم

كتيب يشتمل على مضمون نسخة مخطوطة من تأليف الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المتوفي سنة ٦٦٠ هـ، ورواية الحافظ شرف السدين أبي عبد الله الميديمي. وتناولت الرسالة بإيجاز أسباب تفضيل الرسول عليه الصلاة والسلام. يقع الكتيب في (٤٠) صفحة من الحجم المتوسط وصدر عن دار الكتاب الجديد ببيروت.

اجتمع الإسلامي في ظل الإسلام

الكتاب من تأليف الأستاذ محمد أبوزهرة. تناول فيه موضوع ثمانية الإسلام على المبادئ

الإنسانية الكفيلة بمعالجة أدواء البشرية وإيقاظ الضمير الإنساني، وذلك بما كفله الإسلام من عدالة وحرية وتهذيب للنفس. الكتاب أصدرته الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة ويقع في (٢٨٨) صفحة من الحجم المتوسط.

عثمان بن عفان

هذه هي الطبعة الثانية من كتاب «عثمان بن عفان» للأستاذ صادق إبراهيم عرجون. تناول فيه المؤلف سيرة ثالث الخلفاء الراشدين «عثمان بن عفان» رضي الله عنه. متتبعا الروايات التاريخية المختلفة استجلاء للحقيقة في فترة اكتنفها الكثير من الغموض. يقع الكتاب في (٢٢٤) صفحة من الحجم المتوسط، أصدرته الدار السعودية للنشر والتوزيع بجدة.

الطائف في العصر الجاهلي وصدر الإسلام

بحث من ثلاثة أبواب تناولت فيه الدكتورة نادية حسني صقر تاريخ مدينة الطائف حسب المراحل التاريخية التالية: العصر الجاهلي، عصر النبي عليه الصلاة والسلام، ثم تناول الباب الأخير تاريخ الطائف في عهد الخلفاء الراشدين والعصر الأموي إلى مرحلة تكوين وقيام الدولة العباسية حيث اتخذها العباسيون مركزاً دينياً في البداية. يقع الكتاب في (١٧٦) صفحة من الحجم

المتوسط. وصدر عن دار الشروق بجدة.

العلاقات الدولية في القرآن والسنة

رسالة من أربعة أبواب أعدها الدكتور محمد علي الحسن تناول فيها موضوع العلاقات الدولية من وجهة النظر الإسلامية معتمداً على ماورد في القرآن والأحاديث النبوية والوقائع التاريخية وماكتبه المستشرقون. يقع الكتاب في (٤٣٢) صفحة من القطع الكبير أصدرته مكتبة النهضة الإسلامية بعمان - الأردن.

التخلف الإملائي

دراسة ميدانية لمشكلة التخلف الإملائي أعدها نوال عبد المنعم قاضي تناولت فيها بالبحث الميداني والتحليل أسباب التخلف الإملائي، مقترحة الوسائل العملية لعلاج هذه الظاهرة. يقع الكتاب في (١٥٢) صفحة من الحجم المتوسط وأصدرته تهامة في جدة.

وجوه وملامح: صور شخصية لبعض رجال السياسة والقلد

الكتاب من تأليف الأستاذ سليمان موسى وهو عبارة عن تقديم لسيرة ثمانية من أعلام الأردن جمعهم فترة زمنية واحدة لعبوا خلالها دوراً بارزاً في مجالات السياسة والأدب. ومن خلال

تقديم المؤلف لهذه السيرة قدم عرضاً موجزاً للتاريخ السياسي والأدبي للأردن خلال فترة عطاء هذه الشخصيات. الكتاب من منشورات وزارة الثقافة والشباب الأردنية ويقع في (٢٠٤) صفحات من الحجم المتوسط.

علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية: دراسة فقهية مقارنة

من تأليف الدكتورة سعاد إبراهيم صالح، وترتيبه السابع من سلسلة الكتاب الجامعي التي تصدرها تهامة بجدة وهو عبارة عن دراسة فقهية شملت ثلاثة عشر مبحثاً في علاقات الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية أعدتها المؤلفة مستندة في ذلك على الآيات القرآنية وما ورد بالأحاديث النبوية وآراء الفقهاء في بيان هذه الحقوق. يقع الكتاب في (٣١٢) صفحة من القطع المتوسط.

القول القيم مما يرويه ابن تيمية وابن القيم

كتيب من إعداد الإمام حامد الحضار جمع فيه خلاصة ما جاء بكتب شيعي الإسلام ابن تيمية وابن القيم عن فضائل أهل البيت النبوي الشريف. يقع الكتيب في (٧٢) صفحة من الحجم الصغير، أصدرته دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة بجدة.

كلاسيكية وعصرية وباعثة على الاعجاب .

سيكو تقدم مجموعة فاخرة من ساعات
الكوارتز للرجال في المناسبات .

كلاسيكية في اهتمامها بالتفاصيل والمهارة في دقة الصنع . وعصرية
في تصميمها الحديث وحركات كوارتز سيكو المتناهية الدقة .
وباعثة على الاعجاب بمنظرها الأنيق وهي تزيّن معصم أي رجل .
انها نخبه ساعات كوارتز سيكو للرجال في المناسبات .



الحصيف وشركاه

سيكو
SEIKO

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

اتَّقُوا خُفَاةً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...

صدق الله العظيم

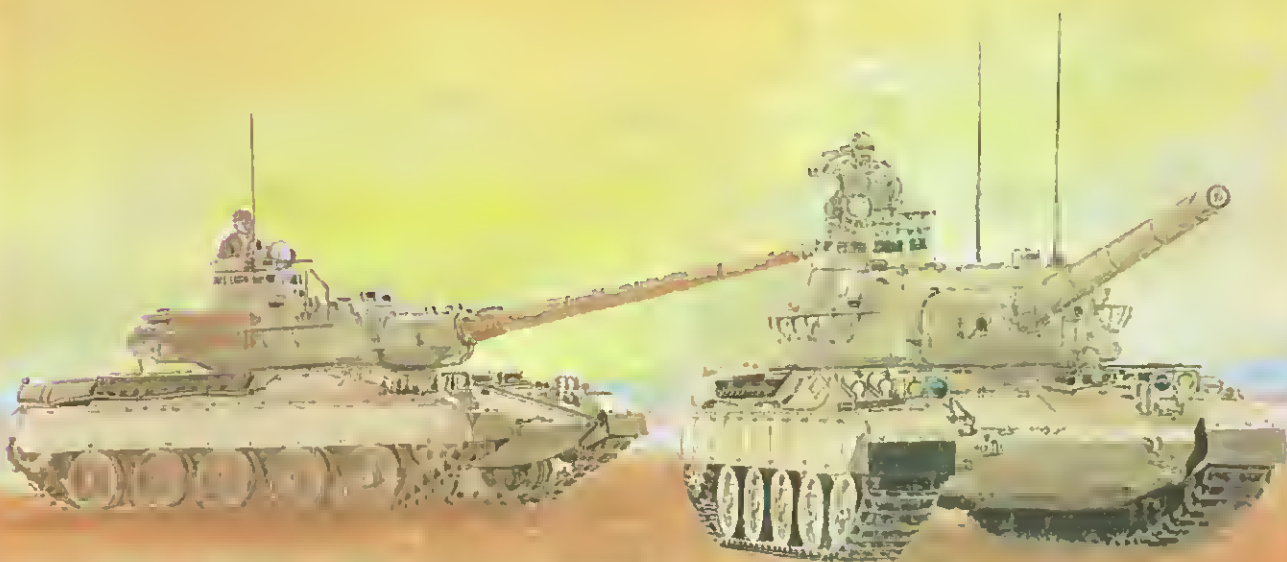
الآية رقم ١١ سورة التوبة



سلاح المدرعات

بالجيش العربي السعودي

يَدْعُوكَ لِلِلْتَحَاقِ جُنْدِيًّا فِي صُفُوفِهِ



بارك الله في قيادة المنطقة العسكرية التي تسكن فيها أروا قيادة وبلغ المدرعات لهم في المنطقة الرياض
ولمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالشعب رقم ١١٣٠٠١٣ / ١٧٧٠٥١٧ / ١٧٧٠٥١٧ الرياض